المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب

وهو جزء من كتاب

المسالك والممالك

تأليف

أبي عبيد البكري

المتوفى سنة ٤٨٧ هـ

يطلب من مكتبة المثنى ببغداد

المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب

وهو جزء من كتاب

المسالك والممالك

تأليف

أبي عبيد البكري

المتوفى سنة ٤٨٧ هـ

يطلب من مكتبة المثنى ببغداد

هذا كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب
وهو جزء من اجزاء الكتاب المعروف بالمسالك
والممالك تاليف الشيخ العالم العلامة
الحبر الفهامة ابي عبيد عبد الله
ابن عبد العزيز البكري
رضى الله عنه
امين

بســـــم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على خير المرسلين

المشهور من المدن والقرى في الطريق من مصر الى برقة والمغرب

ترنوط وهي قرية جامعة على النيل بها اسوان ومسجد جامع وكنيسة وخراب كثير خربته كتامة اذ كانوا هنالك مع ابي القـــاسم بن عبيد الله الشيعي واكثر بنيانها بالاجر وبهـــا معاصر سكر فمن ترنوط الى المنى وهي ثلاثة مدن قايمة البنيـة خالية فيهـــا قصور شريفة في صحراء رمل ربما قطع فيهـــا الاعراب على الرفـــاق وتلك القصور محكمة البناء منجدة الجدر اكثرها على ازاج معقودة يسكن بعضها رهبان وبها ابار عذبة قليلة الماء ومنها الى ابي ميني وهي كنيسة عظيمة فيها عجايب من الصور والنقوش توقد قناديلها ليلا ونهارا لا تطفا وفيها قبو عظيم في اخر مبانيها فيها صورة جملين من رخام عليهما صورة انسان قايم رجلاه على الجملين احدى يديه مبسوطة والاخرى مقبوضة يقال انها صورة ابي ميني كل ذلك من رخام وفي هذه الكنيسة صـور الانبيـــاء كلهم عليهم السلام صورة زكرياء .

ويحيى وعيسى في عمود رخام عظيم على ذات يمين الداخل يغلف عليها باب وصورة مريم قد اسدل عليها ستران وصور ساير الانبياء ومن خارج الكنيسة صور جميع الحيوان واهل الصناعات من جملتها صورة تاجر الرقيق ورقيقه معه وبيده خريطة مفتوحة الاسفل يعني ان التاجر بالرقيق لا ربح له وفي وسط الكنيسة قبة فيها ثماني صور يزعمون انها صور الملايكة وفي جهة من الكنيسة مسجد محرابه الى القبلة يصلي فيها المسلمون حولها ثمار كثيرة وعامتهـا اللوز الاملس والخروب المعسّل الرطب يعقد منه الاشربة وكروم كثيرة يحمل اعنابها وشرابها الى مصر ويقولون ان سبب بنيـان هذه الكنيسة ان قبرا كان في موضعها وكان بالقرب منه قرية وان رجلا من اهلها كان مقعدا فزال عنه حماره فزحف في طلبـه ليصرفه حتى وصل الى القبر فلما صار عليه انطلق ماشيا فمشى الى حماره واستوى عليه راكبا وانصرف الى موضعه صحيحا فتسامع الناس ذلك فلم يبق عليل الا قصد ذلك القبر فجلـس عليه فافاق فبنيت عليه هذه الكنيسة وقصدها اولوا الاسقام ليستشفوا بهـا فبطل ذلك بعد بنايها ويودى من القسطنطينية الى هذه الكنيسة في كل عام الاف دينار ۞ وذات الحمام وهي سوق جامعة بهـا جامع بناه زيادة الله بن الاغلب منصرفه من المشرق الى افريقية بازايـه بير غزيرة طيبة حولها جباب وبساتين وبهـا قصر خرب يتداولون سكانه روابط صاحب مصر وسميت ذات الحمـام لان كل من شـرب من مايها حمّ الا من عافاه الله ولذلك يقول الحداة رب سلمنـا من الحجاز وغلاها ومن مصر ووباها ومن ذات الحمام وحماها ۞ واما الحنيّة فهي شطر حنية قايمة في وسط قحص بينها وبين البحر شرف يقال انها كانت باب الاسكندرية وينزل حولها مزاتة ولواتة خصايص وبين

الحنية وذات الحمام مايدة رخام اسود يقال انهـــا كانت مايدة
برعون تحتها جب يعرب بالتنيس ۞
والكنايس وهي ثلاثـــة قصـــور مهدمـــة بالغرب منهـا عقبـــة
تعرب باباربيس وها بيران عذبتا الماء بعيدتا الارشية ۞ وقـــال
غيرة من جب العوسج الى قباب معـان بينهمـــا ثلاثون ميلا وهي
المعروفة بخرايب القوم قال محمد خرايب القوم مدينة خربها الروم
بيها جباب وبغربي خرايب القوم قصر ابي معد نزار بن خلد بن
يحيى بن بابان ينزله من قريش من قرابة جبير بن مطعم نحـــو
عشرين بيتا واحياء كثيرة من بني مدلج ومن قبايل البربر نحـو
الف بيـت من باضلة وبني عقيدان ويذكر ان كثيرامـا تتبدل
صورة المولودة عندهم بتصير في خلق الغول والسعلاة وتعدو على
الناس حـتى تغل وتقيد ۞ قال محمد بن يوسف اخبرني محمد بن
قاسم صاحب اسنجة انه صح عنده ذلك او شاهده ومنهـــا الى
مدينة الرمادة وهي مدينة لطيفة بقرب البحر لهـا سور ومسجد
جامع وحولها بساتين بانواع الثمار وبالغرب منها قصـر الشمـاس
وبيه عمارة يسيرة ومن خرايب القوم الى مدينة الرمادة خمســـة
وثلاثون ميلا ومنهـا الى خرايب ابي حليمة وهو قصر معمور وبـه
سوق وابار خمس وجباب على البعد باذا اتيت قصر الروم وهي اقباء
طوب يشرب عليها جبل في صحبه جباب ماء اكبرها تعرب بالمطقّلة
باذا جيت وادي مخيل وهو حصن بيه جامع وله سوق عـــامرة
حواليه جبـاب ماء وبرك وليس ينبط بيه ماء وهو راخـي السعر
كثير الخير وبينه وبين اجدابية خمس مراحل ۞ برقة واسمها بالرومية
الاغريقيـة بنطابلس تعسيرة خمس مدن وصـــار اليها عمـــرو بن
العاصي حتى صالح اهلها على ثلاثة عشر الفا يودونهـا اليه جزية

على ان يبيعوا من احبوا من ابنايهم في جزيتهم قال الليث بن سعد كتب عمرو بن العاصي على لواتة في شرطه عليهم ان تبيعوا ابناءكم فيما عليكم من الجزية وسُمع عمرو يقول على المنبر لاهل انطابلس عهدٌ يوفى لهم به ومدينة برقة في صحراء حمراء التربة والمباني فتحمر لذلك ثياب ساكنيها والمتصرفين فيها وعلى ستة اميال منها الجبل وهي دايمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بها السايمة وتنمى على مراعيها واكثر ذبايح اهل مصر منها ويحمل منها الى مصر الصوف والعسل والقطران وهو يعمل بها بقرية من قراها يقال لها مقة فوق جبل وعر لا يرقى اليها فارس على حال وهي كثيرة الثمار من الجوز والاترج والسفرجل واصناف الفواكه ويتصل بها شعراء عريضة من شجر العرعر وبمدينة برقة قبر رويفع صاحب رسول الله صلى عليه وسلم وحول مدينة برقة قبايل من لواتة ومن الافارق وفي الطريق من برقة الى افريقية وادي مسوس فيه قباب خربة وجباب يقال ان عددها ثلاث ماية وستون وبها بساتين وفي هذا الوادي التربة التي يغلى منها العسل ۞ ومدينة اجدابية وهي مدينة كبيرة في صحراء ارضها صفا وابارها منقورة في الصفا طيبة الماء وبها عين ماء عذب ولها بساتين لطاف ونخل يسير وليس بها من الاشجار الا الاراك وبها جامع حسن البناء بناه ابو القاسم بن عبيد الله له صومعة مثمنة بديعة العمل وحمامات وفنادق كثيرة واسواق حافلة مقصودة واهلها ذوو يسار اكثرهم اقباط وبها نبذ من صرحاء لواتة ولها مرسىً على البحر يعرف بالماحور لها ثلاثة قصور بينه وبينها ثمانية عشر ميلا وليس لمباني مدينة اجدابية سقوف خشب انما هي اقباء طوب لكثرة رياحها ودوام هبوبها وهي راخية الاسعار كثيرة التمر ياتيها من مدينة

اوجلة اصناف التمور ومدينة سرت وهي مدينة كبيرة على سيف البحر عليها سور طوب وبها جامع وحمام واسواق ولها ثلاثة ابواب قبلى وجوفي وباب صغير الى البحر ليس حولها ارباض ولهم نخل وبساتين وابار عذبة وجباب كثيرة ذبايحهم المعز ولحمانها عذبة طيبة ليس يوكل بطريق مصر اطيب من لحومها واهل سرت من اخسس خلق الله خلقا واسويهم معاملة لايبيعون ولا يبتاعون الابسعر قد اتفق جميعهم عليه وربما نزل المركب بساحلهم موسوقا بالزيت وهم احوج الناس اليه فيعمدون الى الزقاق الفارغة فينفخونها ويوكونها ثم يصفونها في حوانيتهم وافنيتهم ليرى اهل المركب ان الزيت عندهم كثير باير فلو اقام اهل المركب ما شاء الله ان يقيموا ما باعوا منهم الا على حكمهم واهل سرت يعرفون بعبيد قرلة وهم يغضبون من ذلك قال الشاعر يهجوهم

عبيد قرلّة شر البرايا   معاملة واقبحهم فعالا
فلا رحم المهيمن اهل سرت   ولا سقاهم عذبا زلالا

وقال اخر

ياسرت لا سرّت بك الانفس   لسان مدحى فيكم اخرس
البستم القبح فلا منظر   يرون منكم لا ولاملبس
بخستم في كل اكرومة   وفي الخنا واللوم لم تبخسوا

ولهم كلام يتراطنون به ليس بعربي ولا عجمي ولا بربرى ولا قبطى ولا يعرفه غيرهم وهم على خلاف اخلاق اهل اطرابلس فان اهل اطرابلس احسن خلق الله معاشرة واجودهم معاملة وابرهم بغريب ومن سرت الى اطرابلس عشر مراحل ومن سرت الى اجدابية ست مراحل ومن اجدابية الى برقة ست مراحل ايضا ۞ مدينة اطرابلس ويذكر ان تفسير اطرابلس بالاعجمية الاغريقية ثلاث

مدن وسماها اليونانيون طربليطة وذلك بلغتهم ايضا ثلاث مدن لان طر معناه ثلاث وبليطة يعنى مدينة ويذكر ان اشبـاروس فيصر هو الذى بناها وتسمى ايضا مدينة اطرابلس مدينة اناس وعلى مدينة اطرابلس صور صخر جليل البنيان وهى على شاطى البحر ومبنى جامعها احسن مبنى ولها اسواق حافلة جامعة وحمامات كثيرة فاضلة وباطرابلس مسجد يعرف بمسجد الشعاب مفصود وحولها افباط فى ذى البربر كلامهم بالفبطية فى فرارات فى شرفيها وغربيها مسيرة ثلاثة ايام الى موضع يعرف ببنى السابرى وفى الفبلة مسيرة يومين الى حد هوارة وفيها رباطـات كثيرة ياوى اليهـا الصالحون اعمرها واشهرها مسجد الشعاب ومرساها مامون من اكثر الرياح ۞ ومغمداس ومنها الى فصور حسان مرحلة ومن سرت الى مغمداس مرحلة ومن فصور حسـان الى الراشدة وهى بير شريب سماها بهذا الاسم حسان بن النعمـان هذا وانت تتوجـه من مصر الى المغرب ومغمداس هو صنم فايم على شـاطى البحر حوله اصنـام وبه فصر بنـاه الاعرابى عامـل سرت لبنى عبيد الله وبمغمداس التفا ابو الاحوص عمرو العجلى مع ابى الخطـاب عبد الاعلى بـن السـمح الفايم بدعوة الاباضية فافتتلـوا على البحـر فانهزم ابو الاحوص العجلى الى مصـر واحتـوى ابـو الخطاب على معسكره وفتل بشرا كثيرا من اصحـابه وانصرف الى اطرابلس وذلك سنة اثنتين واربعين ومائة ولما فتل زهير بن فيس ببرفة استعمل عبد الملك بن مروان حسان بن النعمان الغسانى على افريفية فخرج اليها فى المحرم سنة ثمان وستين فلفى عسـاكر الكاهنة بارض فابس وعلى مفدمتها الفايد الذى كان مع كسيلة بن لمزم فافتتلوا فتالا شديدا ففتل صاحب خيل حسان بن النعمان

وانهزم حسان واصحابه الى المنهل المعروف بقصور حسان بطريق مصر وقتل من اصحابه عدد كثير واسر منهم نحو ثمانين رجلا فاحسنت الكاهنة اليهم واطلقتهم غير واحد وهو يزيد بن خالد القيسى فوصلوا الى حسان واخبروه بخبر يزيد فسر بذلك حسان وكتب الى عبد الملك يعلمه بما نزل به من الكاهنة ويسأله ان يمده بالجيوش فكتب اليه عبد الملك ان يقيم بمكانه فبنى هناك قصرين وهما اليوم خربان حولهما زعان نزر في بيرين وبها جنات كثيرة ۞ القصر الابيض وهو قصر خرب وهو ادنى المراحل الى خرايب ابى حليمة على ظهر العقبة بقربه جب خرب قال محمد اخبر بعض الاسكندرانيين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كثرت ذنوبه فليلقى لوبيا وراء ظهره قال والقصر الابيض اخر حد لواتة ايضا ويسكن تحت تلك العقبة مزاتة ومدينة اطرابلس كثيرة الثمار والخيرات ولها بساتين جليلة في شرقيها ويتصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح الكثير وداخل مدينتها بير يعرف ببير ابى الكنود يعيرون به ويحمق من شرب منه فيقال للرجل اذا اتى بما لا يلام لا يعتب عليك لانك شربت من بير ابى الكنود واعذب ابارها بير القبة ۞ وذكر الليث بن سعد قال غزا عمرو بن العاصى مدينة اطرابلس سنة ثلاث وعشرين حتى نزل القبة التى على الشرف من شرقيها فحاصرها شهرا لا يقدر منهم على شىء فخرج رجل من مدلج ذات يوم من عسكر عمرو متصيدا في سبعة نفر فمضوا غربي المدينة فاشتد عليهم الحر فاخذوا راجعين على ضفة البحر وكان البحر لاصقا بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور وكانت سفن البحر شارعة في مرساها الى بيوتهم ففطن المدلجى واصحابه فاذا البحر قد غاض من ناحية المدينة فدخلوا

منه حتى اتوا من ناحية الكنيسة فكبروا فلم يكـــن للروم مفزع الا سفنهم واقبل عمرو بجيشه حتى دخـل عليهم فلم يفلت الروم الا بما خف لهم في مراكبهم وغنم عمرو ماكـان في المدينة ۞ وانما بنى سور مدينة اطرابلس مما يـــلى البحر هرثمة بن اعين حين ولايته القيروان ۞

ولمدينة اطرابلس فحص يسمى سوفجين يصـاب فيه بعض السنين الحبة ماية حبة وهم يقولون فحص سوفجين يصيب سنـة في سنين ومن اطرابلس الى جبل نفوسـة مسيرة ثلاثة ايام وجبل نفوسـة على ستة ايام من القيروان وطول جبل نفوسة من الشرق الى الغرب ستة ايام وتليهم قبيلة يقـال لهم بنو زمّور ولهم حصــــن يسمى تيرفت في غاية المنعة لا يطمع فيه ولايقدر احد عليه وبعد هذا الحصن قبيلة بـــنى تدرميت لهم ثلاثة حصـون وفي وسط هـذه القبايل مدينة كبيرة تسمى جادوا لها اسواق ويسكنها يهود كثير قال محمد بن يوسف ام قرى جبل نفوسة مدينة شروس وهي كبيرة اهلة جليلة اهلها اباضية ليس بها جامع ولا في ما حولهــــا من القرى وهي ازيد من ثلاث مــــاية قرية اهلة لم يتفقوا على رجـل يقدمونه للصلاة بهم وبين اطرابلس ومدينة شروس خمسـة ايام بينهما حصـن لبدة حصن من بناء الاول بالصـاروج والحجر حوله اثار عجيبة للاول وخرايب كثيرة يسكن هذا الحصن قوم من العرب جملتهم نحو الف فارس وهم محاربون لجميع من يجاورهم من قبـايل البربر وهم ازيد من عشرين الف بين راجل وفارس وظاهرون عليهم وفي وسط جبل نفوسة النخيـل والزيتون الكثير والفواكه ويجتمع فيما حوله من القبايل اذا تداعوا ستـــة عشر الف رجل وافتتح عمرو بن العاصى رحمه الله نفوسة وكانوا نصارى ومن نفوسة رجع

عمرو بكتاب عمر رضى الله عنه ۞ ومن اراد الطريف من نفوسة الى مدينة زويلة فانه يخرج الى مدينة جادوا المذكور ثم يسير ثلاثة ايام فى صحراء ورمال الى موضع يسمى تيرى وهو فى سفح جبل فيه ابار كثيرة ونخيل ثم يصعد فى ذلك الجبل فيمشى فى صحراء مستوية نحو اربعة ايام لايجد ماء ثم ينزل على بير تسمى اودرف ومن هناك يلقى جبالا شامخة تسمى تارغين يسير فيهـا الذاهب ثلاثة ايام حتى يصل الى بلد يسمى تامرما فيه نخيـــل كثير يسكنه بنـو فلدين وفزانة وعندهم غريبة وهو ان الســـارق اذا سرق عندهم كتبوا كتابا يتعارفونه فلا يزال الســارق يضطرب فى مـوضعه ذلك ولا يفتر حتى يقرّ ويردّ ما اخذ ولا يسكن عنه ما به حتى يمحى ذلك الكتاب وتسير من هذا البلد الى بلد يسمى سبـاب يومين وهو بلد كثير النخل وكذلك الذى قبله واهل سباب يزدرعون النبات الذى يكون منه الصبغ المعروف بالنيل وتسير من سبــاب فى صحراء مستوية لا شىء فيها غير رمل رقيف لا يشوبه حجر ولا مدر اذا راى الرايى العظم فى تلك الصحراء من بعيد حسبه قصـرا وان راى بعرة حسبهــا رجلا ومن هذه الصحراء الى زويلة يـــوم وهى نحو فى مدينة اجدابية وهى مدينة غير مسورة فى وسط الصحـراء وهى اول حد بلاد السودان وبها جامع وحمام واسواق يجتمع بها الرفاق من كل جهة منها ومنهـا يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم وبها نخيل وبساط للزرع يسقى بالابل ۞ ولما فتح عمرو برقة بعـــث عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين وبزويلة قبر دعبل بن على الخزاعى الشاعر قال بكر بن حماد

الموت غادر دعبلا بزويلة   وبارض برقة احمد بن خصيب

وبين زويلة ومدينة اجدابية اربعة عشر مرحلة ولاهـل زويلة

حكمة في احتراس بلدهم وذلك ان الذى عليه نوبة الاحتراس منهم يعمد الى دابة فيشد عليها حزمة حطب كبيرة من جرايد النخل تنال سعفها الارض ثم يدور بها حوالى المدينة فاذا اصبح من الغد ركب ذلك المحترس ومن يتبعه على جمال السروج وداروا بالمدينة فان راوا اثرا خارجا من المدينة اتبعوه حتى يدركوه اينما توجه لصا كان اوعبدا او امة اوبعيرا ۞ وزويلة من اطرابلس بين المغرب والقبلة ويجلب من زويلة الرقيق الى ناحية افريقية وما هنالك ومبايعاتهم بثياب قصار حمر وبين زويلة وبلد كانم اربعون مرحلة وهم وراء صحراء بلاد زويلة لايكاد احد يصل اليهم وهم سودان مشركون ويزعمون ان هنالك قوم من بنى امية صاروا اليها عند محنتهم بالعباسيين وهم على زى العرب واحوالها وبين مدينة زويلة ومدينة سبهى مسيرة خمسة ايام وهي مدينة كبيرة بها جامع واسواق وبين مدينة سبهى ومدينة هل مثل ذلك وهي مدينة عامرة كثيرة النخل وعيون الماء ومن مدينة هل الى مدينة ودان يوم ولها قلعة حصينة وللمدينة دروب وهي مدينتان فيها قبيلتان من العرب سهميون وحضرميون فتسمى مدينة السهميين دلباك ومدينة الحضرميين مدينة بوصى وجامعهما واحد بين الموضعين وبين القبيلتين تنازع وتنافس قد ادال ذلك بهم مرارا الى الحرب والقتال وعندهم فقهاء وقرّاء وشعراء واكثر معيشتهم من التمر ولهم زرع يسير يسقونه بالنضح ومن مدينة ودان الى مدينة تاجرفت ثلاثة ايام وهي مدينة اهلة بها جامع يسكنها اهل ودان والتمر بها كثير واكثر اجناسه البرنى ومنها يخرج الى مدينة سرت وبينها وبين زويلة مسيرة اثنى عشر يوما وبينها وبين مدينة ودان مثل ذلك وهي متوسطة بينهما زويلة بغربيها

وودان بشرقيها هكذا قال محمد والذى مر هنا من ذكر المسافة بين تاجرفت وزويلة اربعة عشر يوما على الطريق الاقصد ومن تاجرفت الى البسطاط تسع وعشرون مرحلة ۞ وطريق اخر من زويلة الى تاجرفت من زويلة الى مدينة تمسّى يومان ومدينة تمسى كبيرة بها جامع واسواق يسيرة ومنها الى مدينة زلهى ثمانية ايام فى صحراء وفى وسط الطريق منزل لاهل ودان ومدينة زلهى كبيرة واسعة فيها جامع ولها نخل كثيرة وعين ماء نزة يسكنها مزاتة ثم تمشى ستة ايام الى قصر بركانة ثم الى العاروج وهو قصر قد خرب يجاوره جب وحوله سبخة وبينه وبين سرت خمس مراحل ثم الى مدينة اجدابية مرحلة ثم منها ثلاثة ايام الى قصر زيدان الفتى ثم تمشى اربعة ايام الى مدينة اوجلة وهى مدينة عامرة كثيرة النخل واوجلة اسم الناحية واسم المدينة ارزاقية واوجلة قرى كثيرة فيها نخل وشجر كثير وفواكه وبمدينتها مساجد واسواق ثم اربعة ايام الى مدينة تاجرفت ومن سلك من اطرابلس الى ودان فانه يسير فى بلد هوارة نحو الجنوب فى فياطن وبيوت شعر وهناك مرعيات ومنازل الى قصر ابن ميمون وذلك كله من عمل اطرابلس ثم من قصر ابن ميمون ثلاثة ايام الى صنم من حجارة مبنى على ربوة يسمى كرزة ومن حواليه من قبايل البربر يقربون له القرابين ويستشفعون به من ادوايهم ويتبركون به فى اموالهم الى اليوم ومن هذا الصنم الى ودان مسيرة ثلاثة ايام ۞ وكان عمرو بن العاصى قد بعث الى ودان بسر بن ارطاة وهو محاصر اطرابلس فافتتحها وذلك سنة ثلاث وعشرين قال ابن عبد الحكم ثم انهم نقضوا عهدهم ومنعوا ما كان بسر بن ارطاة فرض عليهم فخرج عقبة بن نافع الفهرى الى المغرب بعد معوية بن حديج وذلك سنة ست واربعين

ومعه بسر بن ارطاة وشريك بن سُحيم المرادى فاقبل حتى نزل
بغدامس من سرت فخلف عقبة جيشه هنالك واستخلف عليهم
زهير بن قيس البلوى ثم سار بنفسه فى اربع ماية فارس واربع
ماية بعير وثمانماية قربة ماء حتى قدم ودان فافتتحها واخذ
ملكهم فجدع اذنه فقال لمَ فعلت هذا وقد عاهدنى المسلمون قال
ادبا لك اذا مسست اذنك ذكرت فلم تحارب العرب واستخرج
منه ما كان بسر فرض عليه ثلاث ماية راس وستين راسا ثم سالهم
عقبة هل وراءكم احد قالوا جرمة وهى مدينة فزان العظمى فسار
اليها ثمانى ليال من ودان فلما دنا منها ارسل فدعاهم الى الاسلام
فاجابوا فنزل منهم على ستة اميال وخرج ملكهم يريد عقبة
وارسل عقبة خيلا حالت بينه وبين موكبه فامشوه راجلا حتى
اتى عقبة وقد لغب واعيّ وكان ناعما فجعل يبصق الدم فقال لمَ
فعلت هذا وقد اتيتك طايعا قال عقبة ادبا لك اذا ذكرته لم
تحارب العرب وفرض عليه ثلاث ماية عبد وستين عبدا ثم مضى
عقبة من فورة الى قصور فزان فافتتحها قصرا قصرا حتى انتهى الى
اقصاها ثم سالهم هل وراءكم من احد قالوا نعم اهل جاوان
وهو قصر عظيم على راس المفازة على راس جبل وعر وهو قصبة كوّار
فسار اليهم خمس عشرة ليلة فحاصرهم شهرا فلم يستطع لهم بشىء
فمضى امامه على قصور كوار فافتتحها حتى انتهى الى اقصاها وفيه
ملكها فاخذه وقطع اصبعه فقال لمَ فعلت هذا بى قال ادبا لك
اذا انت نظرت الى اصبعك ذكرت فلم تحارب العرب وفرض عليهم
ثلاثة ماية وستين راسا ثم سالهم هل من ورايكم احد فلم يعلموا
من ورايهم احدا فكرّ راجعا الى قصر جاوان فلم يعرض له ولا نزل
به وسار ثلاثة ايام فامنوا وانبسطوا واقام عقبة بمكان اسمه اليوم

ماء الفرس فنفد ماؤهم واصابهم عطش كاد يهلكهم فصلى عقبة
باصحابه ركعتين ودعوا الله عزّ وجلّ فجعل فرس عقبة يبحث
بيديه في الارض حتى انكشف عن صفا فانبجس منها الماء فنادى
عقبة في الناس ان احتفروا فاحتفروا ماء معينا طيبا فسمى لذلك
ماء الفرس ثم كر راجعا الى جاوان من غير طريقه التى اقبل
منها فلم يشعروا به حتى طرقهم ليلا فوجدهم مطمئنين قد امنوا
فاستباح ما في مدينتهم من ذراريهم ونسايهم واموالهم وقتل
مقاتليهم ثم انصرف راجعا حتى اتى زويلة ثم ارتحل حتى قدم
عسكره بعد خمسة اشهر فسار متوجها الى المغرب وجانب الجادّة
واخذ الى ارض مزاتة فافتتح كل قصر بها ثم سار الى قفصة
فافتتحها وافتتح قسطيلية ثم انصرف الى القيروان ۞

۞ الطريق من اوجلة المتقدمة الذكر الى الواحات ۞

من اوجلة الى بلد سنترية عشر مراحل في صحراء ورمال قليلة
الماء وسنترية هذه كثيرة العيون والثمار والحصون اهلها بربر لا عرب
فيهم وتسير من سنترية على طرق شتى الى اودية الواحات ومن
سنترية الى بهنسى الواحات عشر مراحل وهى غير بهنسى الصعيد
ومن بهنسى الواحات الى اريش الواحات ثمانى مراحل ۞ بهنسى
الواح مدينة مسورة فيها اسواق ومساجد وذكر محمد بن سعيد
الازدى رجل من ابناء مدينة سفاقس انه دخلها وراى فيها في يوم
عيد النصارى واهلها عرب مسلمون وقبط نصارى تابوتا فيه رجل
ميت يجعلونه على عجلة يسمونه ابن قرىّ ويزعمون انه من الحواريين
يتطوفون به في سكك البلد ويتبركون بذلك ويتقربون الى الله

تجرّ تلك العجلة البقر فان نفرت من موضع ولم تسر فيه علموا ان في
ذلك الموضع نجاسة ۞ واريش بلد كثير العيون الحارّة والثمار والنخيل
مياهها كلها حامة ومن اريش ثلاثة ايام الى البربرون وبالبربرون
معادن الشبوب المريّش والقصبى وفيه انواع الزاج وفيه العيون الحامضة
وغير ذلك من المياه المختلفة الاطعمة والبربرون هذا بلد كثير
الاشجار والنخيل وفيه قرى كثيرة واهلها قبط نصارى وتسير من
البربرون الى الواح الداخل اربع مراحل في صحراء لا ماء فيها
ولا عمارة وهذا الواح الداخل كثير الانهار والعمارات والحصون
منها حصن يسمى بالقصر في وسط عين ماء ثرثار يتشعب منه انهار
تسقى زرعهم ونخلهم وثمارهم وتسير منه في قرى متصلة الى حصن
يسمى قلمون مياهه حامضة منها يشربون ويسقون وبها قوامهم
وان شربوا سواها من المياه العذبة استوبؤوه واخر هذا الواح
الداخل قرية كبيرة تسمى القصبة لها مياه عذبة سايحة تسقى
نخلها وثمارها ولها ثلاث اعين ملحة يجتمع ماؤها في سباخ فيكون
ملحا ملح العين الواحدة ابيض وملح العين الثانية احمر وملح
العين الثالثة اصفر وهذا الاصفر هو المستعمل بمصر وبرقة /ومن
هذا الواح الى الواحين الخارجين ثلاث مراحل وهو اخر بلاد
الاسلام وبينه وبين بلاد النوبة في صحراء ست مراحل وفي بعض
الواحات قبايل من لواتة وزعموا ان في اقصى الواحات بلد يقال له
واح صبرو وانه بلد لا يقع عليه الا من قد ضل في الصحراء في النادر
من الزمان فالواقع عندهم يقول انه يكون في بلادهم ما شاء وهم في
اخصب عيش فاذا اراد الرجعة اروه صوب بلاده وقد وقع في هذا
البلد من عرب بنى قرّة رجمة بن قايد القرى ورجع الى موضعه
ثم طلبه بعد ذلك فلم يقدر عليه فاعدّ مغرب بن ماضى امير

بنى فرة بعد عشرين واربعماية من الهجرة زادا وماء كثيرا وظهرا وذهب في الصحراء يطلب واح صبروا وبقى يجول في الصحـــراء مدة فلم يقدر عليها حتى خاب من نعاد الزاد فكر راجعا فنزل ذات ليلة ربوة من الارض في بهماء تلك الصحارى فوجد بعض اصحابه في ناحية من تلك الربوة بنيانا للاول فبحثوا عنه فاذا هو لبن نحاس احمر محيط بالربوة اساس سور للاول فاوفروا منه جميع مـا كان عندهم من الظهر ورحلوا عنه ولو قدروا على اصـابة موضعه لم يفرغ من نقل ما فيه من النحاس الا في الزمان الطويل واتى مغرب في منصرفه الواح الخارج فاخبره رجل من اهله انه غدا الى حايطه فوجد اكثر ثمرة قد اكل ووجد اثر قدم انسان لا يشبه هذا الخلف في العظم فاحترسه هو واهله ليالى حتى طرقهم في بعـض الليالى خلف عظيم لم يعهد مثله وجعل ياكل التمر فلما اهمّوا به واحسّ بهم بارى الريح حضرا ولم يعلموا له امرا فنهض معهم مغرب الى الاثر حتى وقف عليه فاستعظمه وامرهم ان يحفروا زبية في الموضع الذى كان يدخل منه ويغطوا اعلاها بالحشيش ويرقبوه ليالى تباعا ففعلوا فلما كان بعد ليال اقبل على عادته فتردى في الزبيـة فبدروا فغلبوه بكثرتهم وترديه فاذا هى امراة ســوداء عظيمة الخلق مفرطة الطول والعرض لا يفقه منها كلمة فكلموها بكل لسان علم هنالك فلم تجاوب منهم احدا فبقيت عندهم اياما ياتمرون في امرها ثم اتفقوا على ارسالها وركوب النجب والخيـل في اثرها الى ان يقفوا منها وعن موضعها على حقيقة خبر فلما ارسلت لم يكن طرف العين يلحقها وفاتت شاو النجب والخيل ولم يقف احد من امرها على حقيقة ۞ ويذكرون ان هناك رمال عظيمة تعرف بالجزاير كثيرة النخل والعيون لا عمران فيهـا ولا انيس بهـا وان

عزيف الجن يسمع بها الدهر كله وربما اقام بهـا غزاة السودان ولصوصهم لانتهاز الفرصة في المسلمين ويتكادس التمر هناك اعواما لا يقع عليه احد ولا يبلغ اليه حتى ينتجعه النـاس في السنين الجدبة وعند الحاجة والضرورة ۞

۞ فاما الطريق من اطرابلس الى قابس ۞

فمن اطرابلس الى صبرة وهو بلد معمور يسكنه زواغة ثم الطريق من صبرة على مـا تقدم قبل هذا عند ذكر الطريق الى القيروان ومدينة قابس مدينة جليلة مسورة بالصخر الجليل من بنيان الاول ذات حصن حصين وارباض واسواق وفنادق وجامع سرى وحمامات كثيرة وقد احاط بجميعها خندق كبير يجرون اليه الماء عند الحاجة فيكون امنع شيء ولها ثلاثة ابواب وبشرقيها وقبليها ارباضها ويسكنها العرب والافارق وفيها جميع الثمار والموز بها كثير وهي تمير القيروان باصناف الفواكه وبها شجر التوت الكثير ويقوم من الشجرة الواحدة منها من الحرير ما لا يقوم من خمس شجرات من غيرهـا وحريرهـا اطيب الحرير وارقه وليس في عمـل افريقية حرير الا في قابس واتصال بساتين ثمارها مقدار اربعة اميـال ومياهها سايحة مطردة يسقى بها جميع اشجارها واصل هذا المـاء من عين خرارة في جبل بين القبلة والغرب منها يصب في بحرها وبها قصب السكر كثير وبقابس منار منيف ويحدو الحادى عند قدومه من مصر الى افريقية فيقول

لا نومَ لا نوم ولا قرارا حتى ارا قابس والمنارا

وساحل مدينة قابس مرفا للسفن من كل مكـان وحوالى قابس

قبايل من البربر لواتة ولماية ونفوسة ومزاتة وزواغة وزوارة وقبايل شتى اهل اخصاص وكانت ولايتها منذ دخل عبيد الله افريقية تتردد في بنى لقمان الكتامى قال الشاعر

لولا ابن لقمانَ حليف الندَى   سُلّ على قابس سيف الردَى

ويجاورها جزيرة في البحر تعرف بجزيرة رازوا بينهما مسيرة اكثر من يوم عامرة اهلة وكثيرا ما يمتنع اهلها على السلاطين وبين مدينة قابس والبحر ثلاثة اميال ومما يذكرون من معايبها ان اكثر دورهم لا مذاهب فيها وانما يتبرزون في الافنية ولا يكاد احد منهم يفرغ من قضاء حاجته الا وقد وقف عليه من يبتدر اخذ ما يكون منه لتدمين البساتين وربما اجتمع على ذلك النفر فيتشاحّون فيه فيخصّ به من اراد منهم وكذلك نساؤها لا يرين في ذلك عليهن حرجا اذا استرت احداهن وجهها ولم يعلم من هي ويذكر اهل قابس انها كانت اصح البلاد هواء حتى وجدوا بها طلسما ظنوا ان تحته مالا فحفروا موضعه فاخرجوا منه تربة غبراء فحدث عندهم الوباء من حينئذ بزعمهم واخبر ابو الفضل جعفر بن يوسف الكلبى وكان كاتبا لمونس صاحب افريقية انهم كانوا في ضيافة ابن وانمّو الصنهاجي صاحب مدينة قابس فاتاه جماعة من اهل البادية بطاير على قدر الحمامة غريب اللون والصورة ذكروا انه لم يروه قبل ولا عهدوه كان فيه من كل لون اجمله وهو احمر المنقار طويله فسال ابن وانمّوا من حضره من العرب والبربر وغيرهم هل رءاه احد منهم فلم يعرفه احد ولا سماه باسم ابن وانمّوا بقص جناحيه وارسل في القصر فلما جن الليل جعل في القصر مشعل نار فما هو الا ان رءاه ذلك الطاير فقصد قصده واراد الصعود اليه فدفعه الخدّام وجعل يلحّ في التكرار على المشعل

فاعلم ابن وانموا بذلك فقام وقام من حضر معه قال جعفر وكنت فيمن حضر فامر ابن وانموا بترك الطاير وشـــانه فصـار في اعلى المشعل وهو يتاج نارا واستوى في وسطه وجعل يتغلّى كما يفعل ساير الطير في الشمس فامر ابن وانموا بزيادة الوقود في المشعل من خرق القطران وغير ذلك فزاد تاج النار والطاير فيه على حالته لا يكترث ولا يبرح ثم وثب من المشعل بعد حين يمشى لم يربه ريب واخبر قوم من اهل افريقية انهم سمعوا خبر هذا الطاير بمدينة قابس والله اعـلم بحقيقة ذلك / وعلى مغربة من قابس جزيرة جربة فيها بساتين كثيرة وزيتون كثير واهلها مفسدون في البر والبحر وهم خوارج وبينهـا وبين البر الكبير مجاز ۞ قال حنش بن عبد الله الصنعاني غزونا مع رويفع بن ثابت الانصـارى المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة فقام فينا خطيبا فقال ايها النـاس لا اقول فيكم الا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فينا يوم خيبر قام فينـا رسول الله فقال لا يحلّ لامرىء يومن بالله واليوم الاخر ان يسقى ما زرع غيره يعنى اتيان الحبـالى من السبى

۞ الطريق من مدينة قابس الى سفاقس ۞

من مدينة قابس الى عين الزيتونة وهى عين جارية على بحر ميت عليها مرصد لجابى افريقية وهى عين مذكورة في كتب حدثان افريقية قال ابن اغلب في ارجوزته التى يذكر فيها وقايع افريقية

عند حلول الجيش بالزيتونة تكن هنـــاك الوقعة الملعونة

ومن عين الزيتونة الى تاورغى وهو منزل عامر في طرف ساحل الزيتون ومن هناك الى غافق وهو بلد معمور ومنه الى مدينة سفاقس وهى مدينة على البحر مسورة ولهـــا اسواق كثيرة ومساجد وجامع

وسورها صخر وطوب ولها حمامات وفنادق وبواد عظيمة وقصور جمة وحصون ورباطات على البحر منها محرس بطوبة وهو اشرفها وفيها منار مفرط الارتفاع يرقى اليه في مائة وست وستين درجة ومحرس حبلة ومحرس ابي الغُصن ومحرس مقدمان ومحرس اللوزة ومحرس الريحانة ۞ وسفاقس في وسط الذّ غابة زيتون ومن زيتها يمتار اهل مصر واهل المغرب وصقلية والروم وربما بيع الزيت منها اربعين رُبعًا قرطبية بمثقال واحد وفي تحط السفن فاذا جزر المـاء بقيت السفن في الحماة واذا مدّ رجعت السفن يقصدها التجـار من الافاق بالاموال الجزيلة لابتياع المتاع والزيت وتعمل اهلها في القصارة والكمادة كعمل اهل الاسكندرية واكثر واجود ويقابل سفاقس في البحر جزيرة تسمى قرقنة وهذه الجزيرة في وسط القصير بينها وبين مدينة سفاقس في ذلك البحر الميت القصير القعر نحو عشرة اميال وليس للبحر هناك حركة في وقت وبحذاء هذا الموضع في البحر على راس القصير بيت مشرف مبني بينه وبين البر الكبير نحو اربعين ميلا فاذا راى قلبَ البيت اصحابُ السفن الواردة من الاسكندرية والشام وبرقة اداروها الى مواضع معلـومة وجزيرة قرقنة المذكورة فيها اثار بنيان ومواجل للماء ويدخل فيها اهل سفاقس دوابهم ومواشيهم لانها خصبة

۞ الطريق من سفاقس الى القيروان ۞

من مدينة سفاقس الى طرق وهو بلد معمور ومنه الى قصر رباح وهو معمور ايضا ومن قصر رباح الى القيروان ۞

۞ الطريق من سفاقس الى المهدية ۞

من سفاقس الى لجم وهو حصن الكاهنة وهو طرف سوق الحُسيني

وفي هذا السوق قرية كبيرة اهلة تعرف بارزلس بها جامع وحمام واسواق وهي من قرى الساحل ومن لجم الى مدينة المهدية ۞

۞ ذكر افريقية وبلادها وحدودها ولم سميت افريقية وذكر غرايبها ۞

قال قوم انها افريقية اى صاحبة السماء وقال اخرون سميت افريقية لان افريقس ابن ابرهة بن الرايش غزا نحو الغرب حتى انتهى الى طنجة في ارض بربر وهو الذى بنى افريقية وباسمه سميت وقيل سميت بافريق ابن ابرهيم عليه السلام من زوجته الثانية قطورى وقال قوم انما سموا الافارقة وبلادهم افريقية لانهم من ولد فارق بن مصريم وقد زعموا ان اسم افريقية ليبية سميت ببنت يافوه بن يونش الذى بنى مدينة منفيش بمصر وهي التى ملكت ملك افريقية اجمع فسمى بها ۞ وحد افريقية طولها من برقة شرقا الى طنجة الخضراء غربا واسم طنجة مورطانية وعرضها من البحر الى الرمال التى هي اول بلاد السودان وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب الى الشرق وفيه يصاد الفنك الجيد وروى جماعة عن سحنون بن سعيد وموسى بن معوية بن جميعا عن ابن وهب عن سعيد بن ابى ايوب عن شرحبيل بن سويد عن ابى عبد الرحمن الجبلى قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فقفلوا فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم شدة برد اصابهم فقال رسول الله لكن افريقية اشد بردا واعظم اجرا واسنداه ايضا عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة الجذامى ان شيبين بن الحرث حدثهم عن اشياخهم انهم قالوا للمقداد بن الاسود صاحب النبى صلى الله عليه وسلم انك ثقلت وانت تخرج في هذه المغازى

فقال خفيفا كنت او ثقيلا لا اتخلف عنها لان الله تبارك وتعالى يقول انفروا خفافا وثقالا ثم قال فدمت سرية على النبى صلى الله عليه وسلم فذكروا البرد فقال قال رسول الله ان البرد الشديد والاجر العظيم لاهــل افريقية وروى ابن ابى العرب قال حدثنى فرات حدثنى عبد الله بن ابى حسان عن عبد الرحمن بن زياد ابن انعم عن ابى عبد الرحمن الجبلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقطع الجهاد عن البلاد كلها فلا يبقى الا بموضع فى المغرب يقال له افريقية فبينا القوم بازاء عدوهم نظروا الى الجبال قد سيّرت فيخرّون لله تبارك وتعالى سجّدا فلا ينزع عنهم اخلافهم الا خدّامهم فى الجنة وكان عبد الرحمن بن زياد بن انعم يقول ينقطع الجهاد من كل بلد وسيعود الى افريقية وليضربنّ القبايل من الافاق الى افريقية لعدل امامهم ورخص اسعارهم وروى ابن ابى العرب عن عبد الله بن عمر العمرى عن ابن لهيعة عن ابى قبيل عن عبد الله ابن عمرو انه قال والله ليباعن الجمل بمصر بعشرة دنانير ثم ليباعنّ بماية دينار لمغالاة الناس بها وكانى اسمع صرير المحامل على عقبة الثنية من مصر الى افريقية يطلبون بها الجهاد والعدل وليملكنّ افريقية رجل يعدل فيهم اثنين وعشرين او اربعة وعشرين سنة

۞ ذكر مسجد القيروان ۞

قد تقدم ان اول من وضع محرابه وبناه عقبة بن نافع ثم هدمه حسان حاشى المحراب وبناه وحمل اليه الساريتين الحمراوين الموشّاتين بصفرة اللتين لم ير الراوون مثلها من كنيسة كانت للاول فى الموضع المعروف اليوم بالقيسارية بسوق الضرب ويقولون ان صاحب القسطنطينية بذل لهم فيهما قبل نقلهما الى الجامع

زنتها ذهبا فابتدروا الجامع بها ويذكر كل من راهما انه لم ير في
البلاد ما يفترن بها فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك كتب
اليه عامله على القيروان يعلمه ان الجامع يضيق باهله وان بجوفيه
جنة كبيرة لقوم من فهر فكتب اليه هشام يامر بشريها وان
يدخلها المسجد الجامع ففعل وبنى في صحنه ماجلا وهو المعروف
بالماجل القديم بالغرب من البلاطات وبنى الصومعة في بير الجنان
ونصب اساسها على الماء واتفق ان وقعت في نفس الحايط الجوفي واهل
الورع يكرهون الصلاة في هذه الزيادة ويقولون انه اكره اهل الجنة
على بيعها والصومعة اليوم على بنائه طولها ستون ذراعا وعرضها
خمسة وعشرون ولها بابان شرقي وغربي وعضايد بابيها رخام منقش
وكذلك عتبتها فلما ولى افريقية يزيد بن حاتم سنة خمس
وخمسين ومائة هدم الجامع كله حاشى المحراب وبناه واشترى
العمود الاخضر بمال عريض جزل ووضعه فيه وهو الذى كان يصلى
عليه القاضى ابو العباس عبدون فلما ولى زيادة الله بن ابراهيم
ابن الاغلب هدم الجامع كله واراد هدم المحراب فقيل له ان من
تقدمك من الولاة توقفوا عن ذلك لما كان واضعه عقبة بن نافع
ومن كان معه فلج في هدمه لئلا يكون في الجامع اثر لغيره حتى
قال له بعض البناة انا ادخله بين حايطين ولا يظهر في الجامع اثر
لغيرك فاستصوب ذلك وفعله فهو على بنائه الى اليوم والمحراب كله
وما يليه مبنى بالرخام الابيض من اعلاه الى اسفله مخرّم منقوش
كله منه كتابة تقرا ومنه تدبيج مختلف الصناعة يستدير به
اعمدة رخام في غاية الحسن والعمودان الاحمران المذكوران يقابلا
المحراب عليهما القبة المتصلة بالمحراب وعدد ما في الجامع من
الاعمدة اربع مائة واربعة عشر عمودا وبلاطاته سبعة عشر بلاطا

وطوله مايتان وعشرون ذراعا وعرضه ماية وخمسون ذراعا وكانت فيه مقصورة فلم يزل بناء زيادة الله فيه والمقصورة اليوم انما هى دار يقبلى الجامع بابها فى رحبة التمر لها باب عند المنبر يدخل منه الامام بعد ان ينزل فى هذه الدار حتى تقرب الصلاة وبلغت النفقة فى بنيانه ستة وثمانين الف مثقال ولما ولى ابراهيم بن احمد ابن الاغلب زاد فى طول بلاطات الجامع وبنى القبة المعروفة بباب البهو على اخر بلاط المحراب وفى دورها اثنان وثلاثون سارية من بديع الرخام وفيها نقوش غريبة وصناعات محكمة عجيبة يشهد كل من راها انه لم ير مبنى احسن منه وقد فُرش من الصحن بين ايدى البلاطات نحو خمس عشرة ذراعا وللجامع عشرة ابواب ومقصورة للنساء فى شرقيها بينها وبين الجامع حايط اخر مخرّم محكم العمل ۞ ومدينة القيروان فى بساط من الارض مديد من الجوف منها بحر تونس وفى الشرق بحر سوسة والمهدية وفى القبلة بحر اسفاقس وقابس واقربها منها البحر الشرقى بينها وبينه مسيرة يوم وبينها وبين الجبل مسيرة يوم وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم وشرقيها سبخة ملح عظيم طيب نظيف وساير جوانبها ارضون طيبة كريمة واحسنها الجانب الغربى وهو المعروف بفحص الدرّارة يصاب فيه فى السنة الخصبة للحبة ماية وَهَوَاءُ هذا الجانب طيب صحيح وكان زياد بن خلفون المتطبب اذا خرج من القيروان يريد مدينة رقّادة وحاذى باب اصرم رفع العمامة عن راسه يباشر الهواء براسه كالمتداوى به لصحته وللقيروان من القديم سبع محارس اربعة خارجها وثلاثة داخلها وكان للقيروان فى القديم سور طوب سعته عشرة اذرع بناه محمد بن الاشعث ابن العقبة الخزاعى سنة اربع واربعين وماية وهو اول قايد دخل

افريقية للمسوّدة وكان في قبليه باب سوى الاربعة وهو بين القبلة والمغرب وبين القبلة والشرق باب ابى الربيع وفي شرقيه باب عبد الله وباب نافع وفي جوفيه باب تونس وفي غربيه باب اصرم وباب سلم بهدم هذا السور زيادة الله بن ابراهيم المعروف بالكبير سنة تسع ومايتين لما قام عليه اهل القيروان مع المنصور المعروف بالطنبذى فلما انهزم عن القيروان يوم الاربعاء للنصف من جمادى الاولى من هذه السنة وخرج اهل القيروان الى زيادة الله فرغبوا في العفو عنهم والصفح هدم سور القيروان عقوبة لهم ثم بناه المعز بن باديس بن منصور الصنهاجى سنة اربع واربعين واربعماية ومبلغ تكسيره اثنان وعشرون الف ذراع وجعل السور مما يلى صبرة كالفصيل حايطان يتصلان الى مدينة صبرة وبينهما نحو نصف ميل ولا سبيل لتاجر ولا وارد ان يُدخل مدينة القيروان ما يجب عليه فيه المكسُ الا بعد جوازه على مدينة صبرة وللمدينة اليوم اربعة عشر بابا منها المذكورة وباب النخيل والباب الحديث والفصيل بابان وباب الطراز والباب الحديث وباب القلّالين وباب ابى الربيع وباب سحنون الفقيه ومدينة صبرة متصلة بالقيروان بناها اسماعيل سنة سبع وثلاثين وثلاثماية واستوطنها وسماها المنصورية وهى منزل الولاة الى حين خرابها ونقل اليها معد بن اسماعيل اسواق القيروان كلها وجميع الصناعات ولها خمسة ابواب الباب القبلى والباب الشرقى وباب زويلة وباب كتامة وهو جوفى وباب الفتوح ومنه كان يخرج بالجيوش ويذكر انه كان يدخل واحد ابوابها كل يوم ستة وعشرون الف درهم وكان سِماط سوق القيروان قبل نقله الى المنصورية متصلا من القبلة الى الجوف وطوله من باب ابى الربيع الى الجامع ميلان غير ثلث ومن الجامع الى باب تونس ثلثا

ميل وكان سطحا متصلا فيه جميع المتاجر والصناعات وكان امر بترتيبه هكذا هشام بن عبد الملك وخارج مدينة القيروان خمسة عشر ماجلا للماء سقايات لاهلها منها من بنيان هشام بن عبد الملك وغيره واعظمها شانا وافخمها منصبا ماجل ابى ابراهيم احمد ابن محمد بن الاغلب بباب تونس وهو مستدير متناهى الكبر فى وسطه صومعة مثمنة فى اعلاها قصبة لرقبة مفتحة على اربعة ابواب على احد عشر رجلا لا خلل بينهم كيلا يصل محط فاذا امتلا الماجل كان ذلك وسطح هذه القصبة نحو ذراعين كان ابن الاغلب يدخل الى هذه القبة فى مركب يسمى بالزلاج ويتصل بهذا الماجل فى قبليه اقباء طويلة معقودة ازاجا على ازاج وكان زيادة الله قد بنى على غربى هذا الماجل قصرا وبجوفى هذا الماجل ماجل لطيف متصل به يسمى الفسقية يقع فيه ماء الوادى اذا جرى ينكسر فيه شدة جريان الماء ثم يدخل منه الى الماجل الكبير اذا ارتفع الماء فى الفسقية قدر قامتين على باب بين الماجلين يسمى السرح وهذا الماجل عجيب الشان غريب البنيان وكان عبيد الله يقول رايت بافريقية شيئين لم ار مثلهما بالشرق الحفير الذى بباب تونس يعنى الماجل والقصر الذى بمدينة رقادة المعروف بقصر البحر وفى القيروان ثمانية واربعون حماما واُحصى ما ذبح بالقيروان فى بعض ايام عاشورا من البقر خاصة فانتهى تسع ماية وخمسين راسا ومن عجايب القيروان انهم يحتطبون الدهر من زيتونها ليس لهم محتطب غيرة وان ذلك لا يؤثر فى زيتونها ولا ينقص منه وسنة اثنتين وخمسين سُبيت القيروان واخليت ولم يبق فيها الا ضعفاء اهلها ۞ والقفيز بالقيروان واعمالها ثمانى ويبات والويبة اربعة اثمان والثمنة ستة امداد بمد اوفى من مد النبى صلى

الله عليه وسلم ومقدار تلك الزيادة في القفيز كله اثنا عشر مدا فصار القفيز القروى مايتى مد واربعة امداد بمد النبى وذلك بكيل قرطبة خمس اقفزة غير ستة امداد ورطل اللحم والتين وساير الماكولات عندهم عشرة ارطال بلفلية وقفيز الزيت عندهم ثلاثة ارطال بلفلية والمطر عندهم كيل يسع خمسة اقفزة من زيت ۞ مدينة رقّادة وهى من القيروان على اربعة اميال ودورها اربعة وعشرون الف ذراع واربعون ذراعا واكثرها بساتين وليس بافريقية اعدل هواء ولا ارقّ نسيما ولا اطيب تربة من مدينة رقادة ويذكر ان من دخلها لم يزل ضاحكا مستبشرا من غير سبب وذكروا ان احد بنى الاغلب ارق وشرد عنه النوم اياما فعالجه اسحق الذى ينسب اليه اطريفل اسحق فلم ينم فامر بالخروج والمشى فلما وصل الى موضع رقادة نام فسميت من يومئذ رقادة واتخذت دارا ومسكنا وموضع فرجة للملوك والذى بنى مدينة رقادة واتخذها دارا ووطنا ابراهيم بن احمد وانتقل اليها من مدينة القصر القديم وبنى بها قصورا عجيبة وجامعا وعمّرت بالاسواق والحمامات والفنادق ولم تزل بعد ذلك دار ملك لبنى الاغلب الى ان هرب عنها زيادة الله من ابى عبد الله الشيعى وسكنها عبيد الله الى ان انتقل الى المهدية سنة ثمان وثلاثماية وكان ابتدا تاسيس ابراهيم لها سنة ثلاث وستين ومايتين فلما انتقل عنها عبيد الله الى المهدية دخلها الوهن وانتقل عنها ساكنوها ولم تزل تخرب شيًا بعد شىء الى ان ولى معد بن اسماعيل فخرب ما بقى منها وعفا اثارها وحرث منازلها ولم يبق منها غير بساتينها ولما بناها ابراهيم بن احمد وجعلها دارة منع بيع النبيذ بمدينة القيروان واباحه بمدينة رقادة فقال بعض الظرفاء من اهل القيروان

يا سيّد الناس وابن سيدهم   ومن اليه الرقاب منقادَهْ
ما حرّم الشرب في مدينتنا   وهو حلال بارض رقّادَهْ

قال محمد بن يوسف انما سميت بهذا الاسم لان ابا الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى القايم بدعوة الاباضية باطرابلس لما نهد الى القيروان لقتال ورفجومة وكانوا قد تغلبوا عليها مع عاصم ابن جميل التقى بهم بموضع رقادة وهي اذذاك مُنية فقتلهم هناك قتلا ذريعا فسميت رقادة لرقاد جثثهم بعضها فوق بعض ۞ فاما مدينة القصر القديم فان الذى اسسها ابراهيم بن الاغلب بن سالم سنة اربع وثمانين ومائة وصارت دار امراء بنى الاغلب وهي بقبلى مدينة القيروان وعلى ثلاثة اميال منها بها جامع له صومعة مستديرة مبنية بالآجر والعمد سبع طبقات لم يبن احكم منها ولا احسن منظرا وحمامات كثيرة وفنادق واسواق جمة ومواجل للماء واذا قحطت القيروان وفقد الماء في مواجلها نقلوا الماء من مدينة القصر وكان لها من الابواب باب الرحمة قبلى وباب الحديد قبلى وباب غلبون شرقى وباب الريح شرقى وباب السعادة غربى يقابل المقبرة الكبيرة وداخل المدينة رحبة كبيرة واسعة تعرف بالميدان ويجاور مدينة القصر بنية تعرف بالرصافة ولما اتى ابراهيم مدينة القصر وانتقل اليها خرّب دار الامارة التى كانت بالقيروان بقبلى الجامع منذ فتحت واذا خرج المتوجه الى مصر من القيروان على باب الطراز يلقى مدينة القيروان يسرة ويسلك بين مدينة رقادة ومدينة القصر فاول ما يلقى وادى السراويل شتوى ثم المنية المعروفة وهي كبيرة اهلة ثم قرية زرور وهي كثيرة البقول لا سيما الجزر واهلها قوم يضرب بهم المثل في سوء الحال بافريقية يقال مشايخ زرور شهد منهم سبعة على قبضة اسفنارية فقال الحاكم للطالب زد

بيّنه ثم وادى الطرباء كبير شتوى اذا حمل اهلك ما حوله من
القرى والمنازل وسعته اذا حمل اربد من ثلاثة اميال ثم مدينة
فلشانة من القيروان اليها اثنا عشر ميلا كبيرة اهلة بها جامع
وحمام ونحو عشرين فندقا وهي كثيرة البساتين وشجر التين واكثر تين
القيروان الاخضر منها وابواب الدور بمدينة فلشانة قصار ليس
يدخلها الدواب فعلوا ذلك خوفا من نزول العمّال والجباة ۞
مدينة المهدية منسوبة الى عبيد الله المهدى الذى بناها على
ما ذكر فى التاريخ وبينها وبين القيروان ستون ميلا تخرج من
القيروان فتنزل منزل كامل ثم تخرج منها فتاتى المهدية وطريق
اخر تخرج من القيروان الى مدينة تُماجِر مرحلة الى المهدية
مرحلة اخرى ومدينة تماجر كبيرة اهلة بها جامع واسواق
وفنادق وحمام وماؤها زعاق وفى وسطها غدير ماء وحولها غابة
زيتون وشجر اعناب وبين مدينة تماجر والمهدية الوادى الملح الذى
كانت فيه الوقعة المشهورة بين ابى يزيد وابى القاسم فقتل فيها من
اصحاب ابى القاسم عدد لا يحصى ففر منه ابو القاسم فيمن كان
يختص به والبحر قد احاط بها من ثلاث جهاتها وانما يُدخل
اليها من الجانب الغربى ولها ربض كبير يعرف بزُويلة فيه الاسواق
والحمام ومساكن اهلها وبنى على الربض المعز بن باديس سورا
يحيط به وطولها اليوم نحو ميلين وعرضها يضيق ويتسع واوسعه
اقلّه من بسط طولها وجميع بنيانها بالصخر ولمدينتها بابا حديد
لا خشب فيهما زنة كل باب الف قنطار وطوله ثلاثون شبرا فى كل
مسمار من مساميرها ستة ارطال وفى البابين صور الحيوان وفى المهدية
من المواجل العظام ثلاث ماية وستون غير ما يجرى اليها من القناة
التى فيها والماء الجارى بالمهدية جلبه عبيد الله من قرية مَنانُش وهى

على مغربة من المهدية في افداس ويصب في صهريج داخل المهدية عند جامعها ويرفع من الصهريج الى القصر بالدواليب وكذلك يستقى ايضا بقرب منانش من الابار بالدواليب ويصب في محبس يجرى منه في تلك القناة وهي مرفا لسفن الاسكندرية والشام وصقلية والاندلس وغيرها ومرساها منقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركبا على طرف المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد فاذا اريد ادخال سفينة فيه ارسل حرّاس البرجين احد طرفي السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدوها كما كانت بعد ذلك لئلا يطرقها مراكب الروم وعرض المدخل الى المهدية من القبلة الى الجوف قدر غلوة وردم عبيد الله من البحر مثل ذلك وادخله في المهدية فاتسع الموضع وفيه ستة عشر برجا ثمانية منها في السور الاول وثمانية في الزيادة منها برج ابي الوزان النحوى وبرج عثمان وبرج عيسى وبرج الدهّان نسبت اليهم لقرب مساكنهم منها والجامع ودار المحاسبات فيما ردم من البحر وغير ذلك من المنازل والجامع سبعة بلاطات متقن البناء حسنه وقصر عبيد الله كبير سريّ المباني بابه غربي وقصر ابنه ابي القاسم بازائه بابه شرقي بينهما رحبة فسيحة ودار الصناعة بشرقي قصر عبيد الله تسع اكثر من مايتى مركب وفيها قبوان كبيران طويلان لالات المراكب وعددها لئلا ينالها شمس ولا مطر وكان سبب بنيان عبيد الله للمهدية قيام ابي عبد الله وجماعة كتامة عليه وما حاولوه من خلعه وقتل اهل القيروان رجال كتامة فكان ابتداؤه بالنظر فيها سنة ثلاث مائة وكمل سورها سنة خمس وانتقل اليها سنة ثمان في شوال وكان لها ارباض كثيرة اهلة عامرة اقربها اليها ربض زويلة فيه الاسواق والحمامات وربض الحمى كان مسكنا لاجناد افريقية من العرب والبربر وقصر ابي سعيد

وبقّة وفاساس والغبيطنة وربض فبصة وغيرها ولم تزل دار ملك لهم الى ان ولى الامر اسماعيل بن القايم سنة اربع وثلاثين وثلاثماية فسار الى القيروان محاربا لابى يزيد واتخذ مدينة صبرة واستوطنها بعده ابنه معدّ وخلت اكثر ارباض المهدية وتهدمت ومن المهدية الى مدينة سلقطة ثمانية اميال ومن المهدية الى قصر لجم وهو المعروف بقصر الكاهنة ثمانية عشر ميلا ويذكر ان الكاهنة حصرها العدو فى ذلك القصر فحفرت سربا فى صخرة صمّاء من هذا القصر الى مدينة سلقطة يمشى فيه العدد الكثير من الخيل وكان ينتقل اليها فيه الطعام وساير ما تحتاج اليه ومن مدينة سلقطة الى قصر لجم هذا ثمانية عشر ميلا ايضا وفى دور قصر لجم نحو ميل وهو مبنى بحجارة طول الحجر منها خمسة وعشرون شبرا ونحوها وارتفاعه فى الهواء اربعة وعشرون قامة وهو من داخله مدرّج كله الى اعلاه وابوابها طاقات بعضها فوق بعض باحكم صناعة ۞ وترنوط حصن على ستة اميال من المهدية ومنها زاحف ابو يزيد مخلد المهدية وبهذا الحصن كانت محلته ايام حصاره المهدية وفى كتب الحدثان ۞ اذا ربط الخارج خيله بترنوط ۞ لم يبق لاهل السواد محلول ولا مربوط ۞ اهل السواد اهل الساحل وفيه ۞ ويل لاهل السواد ۞ من مَخْلَد بن كيداد ۞ والاخوان منزل بين القيروان والمهدية وفى هذا المنزل قتل ابو يزيد لميسرة الفتى يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين وثلاثماية قال على بن على بن ظلم يمدح ابا يزيد

هذا وكم من وقعة مشهورة ابقيتها مثلا لكل ممثّل

بثنية الاخوين يوم تركتهم متوسّدين وسايدا من جندل

ومن القيروان الى مدينة جلولا اربعة وعشرون ميلا وبجلولا اثار

وابراج قايمة للاول وابار عذبة وخرايب وجد بيها بعض الرعاة تاج ذهب بجوهرة باخذه منه ابن الاندلسى وبقرب جلولا منتزه يعرب بسردانية ليس بافريقية موضع اجمل منه بيه ثمار عظيمة وبيه من النارنج خاصة نحو الب اصل وجلولا مدينة لها حصن وهى مدينة اولية قديمة مبنية بالصخر وبيها عين ثرة بى وسطها وهى كثيرة الاشجار والثمار واكثر رياحينها الياسمين وبطيب عسلها يضرب المثل لكثرة ياسمينها وجرس نحلها له وبها يربب اهل القيروان السمسم بالياسمين للزنبق وبالورد والبنبسج وبها قصب السكر كثير ومنها كان يرد كل يوم الى القيروان من احمال البواكه والبقول ما لا يحصى كثرة وحولها الجنات وقبايل ضريسة بى القرارات وبتح مدينة جلولا كان على يدى عبد الملك بن مروان وذلك انه كان مع معوية بن حديج التجيبى بى جيشه ببعثه الى مدينة جلولا بى الب رجل بحاصرها اياما بلم يصنع شيا بانصرب راجعا بلم يسر الا يسيرا حتى راى بى سافة الناس غبارا شديدا بظن ان العدو يتبعهم بكر جماعة من النـــاس لذلك وبقى من بقى على مصابهم باذا مدينة جلولا قد تسافط من سورها حايط بدخلها المسلمون وغنموا ما بيها بانصرب عبد الملك الى معوية بن حديج باختلب الناس بى الغنيمة بكتب بى ذلك الى معوية براجع يقول ان العسكر ردة للسرية بقسم البىء بينهم باصاب كل رجل منهم لنبسه مايتى درهم وللفرس سهمان قال عبد الملك باخذت لنبسى ولبرسى ستماية درهم واشتريت بها جارية ويقال بل نازلها معوية بن حديج بكان يقاتلهم على باب المدينة صدر النهار باذا مال البىء انصرب بقاتلهم يوما بلما انصرب نسى عبد الملك قوسه معلقة بشجرة بانصرب اليها باذا جانب من المدينة قد انهدم بصـــاح بى اثر

الناس فرجعوا ففد راوا غبرة شديدة فظنوا ان العدو فد ضرب في سافتهم فغنموها فالوا ولما كان من عبد الملك بن مروان ما كان ومنازعته لمعوية بن حديج على فيئها ثفل على معوية بن حديج فكان يتجهمه ولا يفبل عليه فراى حنش الصنعانى عبد الملك بن مروان وهو متفكر متغير اللون ففال له مـا شانك ففال انى ابعد فريش مجلسا من الامير ففال له حنش لا تغتم فوالله لتلين الخلافة وليصيرن هذا الامر اليك فلما افضت الخلافة الى عبد الملك وبعث الحجاج لفتال عبد الله بن الزبير اخذ حنشا الصنعانى اسيرا فبعث به الى عبد الملك ففال له الست الذى بشرنى بالخلافة فال بلى فال فلم ملت عنى الى ابن الزبير فال رايته يريد الله ورايتك تريد الدنيا فملت اليه فعفا عنه واطلفه ۞

۞ ومن الغرايب بافريفية ببلاد كتامة منها ۞

فال ابو جعفر احمد بن محمد بن ابى خلد المتطبب وفد ذكر الماء الذى يجرى في الاشهر الحرم خاصة ان عندنا بالمغرب ببلاد كتامة عين الاوفات معلومة انما يجرى ماؤها خمس مرات في اليوم والليلة في اوفات الصلوات الخمس وتنفطع ما بين ذلك وفد ذكرنا موضع هذه العين عند ذكر المراسى بعد هذا وفد حدث جماعة ممن فصد اليها وراها ووفف عليها بمثل ذلك وببلاد كتامة حجر اللازورد الجيد ومعادن النحاس والحديد وكانت بكنيسة شفبنارية في سلطان الروم المجوبة مرءاة كانت اذا اتهم الرجل امراته نظر في تلك المرءاة فيرى وجه المبتلى بها (وكانت البربر فد تنصرت) فكان منهم بربرى فد اظهر اجتهادا في النصرانية حتى صار شماسا واتهم رجل من الروم امراته فنظر في المرءاة فاذا بوجه

البربرى الشماس فدعا به الملك فقطع انفه ومثل به وطرده من الكنيسة فطرق فومه المرءاة فكسورها وارســل الملك الى حيهم فاستباحه ۞ ومن القيروان الى مدينة سوسة ستة وثلاثون ميلا قد احاط بها البحر من ثلاث نواح الشمال والجنوب والشرق وسورها صخر منيع حصين متقن البنـــاء يضرب فيه البحر ويدخل الى دورها من فنى من الجهة الشرقية وفى ركن مدينة سوسة الذى بين المغرب والقبلة منار عال يعرف بمنار خلف الفتى وبهـا ثمانية ابواب احدها باب كبير جدا شرقى دار تعرف بدار الصناعة منها تدخل المراكب وتخرج ولمدينة سوسة بابان غربيان يقابلان الملعب والملعب بنيان عظيم للاول افباء مرتفعة واسعة معقودة بحجر النشفة الخفيف الذى يطفو على الماء المجلوب من بركان صقلية وحوله افباء كثيرة يفضى بعضها الى بعض وحول مدينة سوسة اثار عظيمة للاول وبنيان سوسة كلها بالصخر المحكم وبسوسة اسواق كثيرة وهى مخصوصة بكثرة الامتعة والثمر ولحم سوسة اطيب اللحوم وهى رخيصة الاسعار والفواكه كثيرة الخير وهى قديمة البناء وكان معوية ابن حديج قد بعث اليها عبد الله بن الزبير فى جمع كثيف وكان بلغه ان نقفور بطريقا من بطارقة الروم انفذه ملكهم فى ثلاثين الف مقاتل فنزل بذلك الساحل فسار عبد الله حتى نزل شرفا عاليا ينظر منه الى البحر بينه وبين سوسة اثنا عشر ميلا فلما بلغ ذلك نقفور رجع الى مراكبه وصدر عن ذلك الساحل فركب عبد الله بن الزبير فى جيشه حتى بلغ البحر ونزل على باب مدينة سوسة وانحط عن فرسه وصلى بالناس صلاة العصر والروم يتعجبون من امره وقلة اكتراثه بهم فاخرجوا اليه جمعا منهم كثيرا من كماتهم رجـــالا وركبانا فزحفوا اليه وهو مقبل على صلاته لا يروعه ذلك ولا يهوّله

حتى اذا قضى صلاته شد على فرسه فركبه وحمل عليهم فانكشفوا عنه فهزمهم وولوا ادبارهم حتى لجوا الى مدينتهم وانصرف عنهم ۞ ومدينة سوسة ممتنعة على من رامها قد جُبل على الشدة والباس اهلها وحاصرها ابو يزيد مخلد شهورا ثم انهزم عنها وكان عليها في ثمانين الف حصان ففى ذلك يقول سهـــل بن ابراهيم الورّاق

ان الخوارج صدّها عن سوسة   منّــا طعان السمر والاقدامُ
وجِلاد اسيـــاف تطاير بينها   في النقع دون المحصنات الهام

وقال احمد بن بلح السوسى

الم بسوســـة وبغى عليها   ولاكـــن الالاه لهـــا نصيرُ
مدينة سوســـة للغرب ثغر   تدين لهـا المداين والقصور
لقد لُعن الذين بغوا عليها   كما لعنت قريظـة والنضير
اعزّ الدين خالقُ كل شىء   بسوسة بعد ما التوت الامور
ولولا سوســـة لَدَهَتْ دواهٍ   يشيب لهولها الطفل الصغير
سيبلغ ذكر سوسة كل ارض   ويعشى اهلَها العدد الكثيرُ

والخروج من سوسة الى القيروان على الباب القبـــلى المعروف بباب القيروان ومقبرة سوسة عن يمين هذا الطريق وكان زيادة الله بنى سورها وكان يقول ۞ ما ابالى ما قُدّمتُ عليه يوم القيامة وفي صحيفتى اربع حسنات بنيانى مسجد الجامع بالقيروان وبنيانى قنطرة الربيع وبنيانى حصن مدينة سوســـة وتوليتى احمد بن إبى محرز قضاء افريقية ۞ وخـــارج مدينة سوســـة محارس وزوابط وجامع للصالحين وداخلها محرس عظيم كالمدينة مسور بسور متقن يعرف بمحرس الرباط هـو ماوى للاخيـــار والصالحين داخله حصن ثانى يسمى القصبة وهو بجوفى المدينة متصل بدار الصناعة بسفح الجبل الذى هو في سنده شرقى واعلى المدينة غربى ومدينة سوسة في سند

عال ترى دورها من البحر ووراء سورها هناك هيكل عظيم يسمونه البحريون البنطاس وهـــو اول ما يرون من البحـر اذا قصدوا من صقلية وغيرها ولهذا الهيكل اربعـة ادراج يصعد من كل واحد منها الى اعلاه وهو هيكل واسع بين بابه الذى يدخل منه والثانى الذى يخرج منه مسافة طويلة وللحياكة بسوسة كثيرة ويغزل بها غزل يباع زنة المثقال منه بمثقالين من ذهب وبسوسة تقصر ثياب القيروان الرفيعة وجباية ساحل القيروان سوسة والمهدية وسفاقس وتونس لبيت المال خاصة غير الدخل والخرج الذى لغير بيت المال ثمانون الف مثقال ومن محارس سوسة المذكورة محرس المنستير الذى جاء فيه الاثر المتقدم الذكر ويذكر ان الذى بنى القصر الكبير بالمنستير هرثمة بن اعين سنة ثمـــانين ومائة وله فى يوم عاشورا موسم عظيم ويجمع كثير وبالمنستير البيوت والحجر والطواحين الفارسيـــة ومواجل المـــاء وهو حصن عالى البنا متقن العمل وفى الطبقة الثانية منه مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مدار القوم عليه وفيه جماعة من الصالحين والمرابطين قد حبسوا انفسهم فيه منفردين دون الاهل والعشاير وقال محمد بن يوسف هو قصر كبير عال داخله ربض واسع وفى وسط الربض حصن ثان كبير كثير المساكن والمساجد والقصاب العالية طبقات بعضها فوق بعض وفى القبلة منه صحن فسيح فيه قباب عالية متقنة ينزل حولها النساء المرابطات تعرف بقباب جامع وبها جامع متقن البناء وهو ازاج معقودة كلها واقباء لا خشب فيهـا ولها حمامات كثيرة وكان اهل القيروان يخرجـــون اليهم بالاموال والصدقات الجزلة وبقرب المنستير ملاحة عظيمة تشحن فيها السفن بالملح الى البلاد وبقربه محارس خمسة متقنة البناء معمورة بالصالحين ۞

ومن القيروان الى مدينة تونس ماية ميل وهى ثلاث مراحل فالى فندن شكل مرحلة والى منستير عثمان مرحلة والى القيروان مرحلة وطريق اخرى الى منزل باشوا الى الدواميس الى القيروان ودور مدينة تونس اربعة وعشرون الف ذراع وفى سنة اربع عشرة وماية بنى عبيد الله بن الحبحاب الجامع ودار الصناعة بمدينة تونس واهلها موصوفون بدناءة النفوس واسم مدينة تونس فى الاول ترشيش ويقال لبحرها بحر رادس وكذلك يسمى مرساها مرسى رادس وافتتحها حسان بن النعمان بن عدى بن بكر بن مغيث ابن عمرو مزيقياء بن عامر الازدى وروى جماعة عن ابى المهاجر قال سار حسان بن النعمان الى ارطة فقاتل الروم بفحص تونس فساله الروم الا يدخل عليهم وان يضع الخراج عليهم ويقوموا له بما يحمله واصحابه فاجابهم الى ذلك وكانت لهم سفن معدة من ناحية الباب الذى يقال له باب النساء فاحتملوا فيها اهليهم واموالهم وهربوا ليلا واسلموا المدينة فدخلها حسان فحرق وخرب وبنى فيها مسجدا وبقى هناك طايفة من المسلمين وكذلك كان مكر صاحب قرطاجنة ايضا بحسان بن النعمان فان الروم لما فروا عنها وبقى فيها مرنان صاحبها ليس معه الا اهله بعث الى حسان هل لك ان تعاهدنى وولدى وتقطع لى قطايع اشترطها عليك وافتح لك بابا فتدخل المدينة على من فيها فاجابه الى مسئلته فاشترط عليه المنازل التى بين الجبلين التى يقال لها فحص مرنان وهى اذذاك ثلاث ماية وستون قرية ثم فتح لهم الباب فلم يجد بها احدا غيره وغير ولده واهله فتمم له حسان ما اشترطه وانصرف الى القيروان قال واغارت الروم من البحر على من كان بقى من المسلمين بمدينة تونس خرجت اليهم فى المراكب فقتلوا من

بها وسبوا وغنموا ولم يكن للمسلمين شيء يحصّنهم من عدوهم انما كانوا معسكرين هناك وبلغ حسان ذلك فرحل الى تونس وارسل اربعين رجلا من اشراف العرب الى عبد الملك بن مروان وكتب اليه بما نال المسلمين من البلاء واقام هناك مرابطا ينتظر راى عبد الملك فلما بلغ ذلك عبد الملك عظم عليه وكان اذذاك التابعون متوافرين فيهم اثنان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انس ابن ملك وزيد بن ثابت فقالا للمسلمين من رابط برادس يوما فله الجنة حتما وقالا لعبد الملك امدّ هذه البلاد وانصر اهلها ليامنوا من العدو ويكون لك ثوابها واجرها فانها من البلدان المقدسة المرحوم اهلها وهي حرس لمقدونية يريدون القيروان وروى ان بحر رادس خرق الخضر عليه السلام السفينة وان الملك الذى كان ياخذ كل سفينة غصبا الجلندى ملك قرطاجنة فخرق الخضر السفينة ببحر رادس وقتل الغلام بطنبذ وهي اليوم تسمى المحمدية وهناك فارق موسى الخضر عليهما السلام وطنبذ على اميال يسيرة من تونس فكتب عبد الملك بن مروان الى اخيه عبد العزيز وهو والى مصر ان يوجّه الى معسكر تونس الف قبطى باهله وولده وان يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا الى ترشيش وهي تونس وكتب الى ابن النعمان يامره ان يبنى لهم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين الى اخر الدهر وان يجعل على البربر جر الخشب لانشاء المراكب ليكون ذلك جاريا عليهم الى اخر الدهر وان يصنع بها المراكب ويجاهد الروم في البر والبحر وان يغار منها على ساحل الروم فيشتغلوا عن القيروان نظرا للمسلمين وتحصينا لشانهم فوصل القبط الى حسان وهو مقيم بتونس فاجرا البحر من مرسى رادس الى دار الصناعة وجر البربر الخشب وجعل فيها المراكب الكثيرة

وامر الفبط بعمارتها ۞ وبشرقى مدينة تونس بحيرة كبيرة دورها
اربعة وعشرون ميلا فى وسطها جزيرة تسمى شكلة مقدار ميلين
تنبت الكلخ وبها اثار قصر خرب فصارت دار صناعة تونس متصلة بالمينى
والمينى متصل بالبحيرة والبحيرة متصلة بالبحر وعلى شاطى المينى
مسجد يعرف بمسجد عبد الله وبقبلى المينى قصر مبنى بالحجارة
متقن البناء وفى الجوف منه حايط ضخم كالسور فصار المدخل
بالسفن فى هذا المينى بين حايط القصر وهذا السور وتعرض بينهما
سلسلة حديد تمنع المراكب من الدخول والخروج ما دامت
متعرضة وهذا القصر يعرف بقصر السلسلة وبقبلى القصر صهريجان
كان ملوك بنى الاغلب يرسلون فيهما ماء البحر ويملونهما بالسمك
وقد تقدم ان عبيد الله بن الحبحاب بنى دار الصناعة فلعل من
روى ذلك يريد ان عبيد الله جددها وزادها تحصينا فلم تزل
تونس معمورة من يومئذ يغزو منها المسلمون بلاد الروم ويكثرون
فيهم النكاية ولهم الاذاية ومدينة تونس فى سفح جبل يعرف
بجبل ام عمرو ويدور بمدينتها خندق حصين ولها خمسة ابواب
باب الجزيرة قبلى ينسب الى جزيرة شريك ويخرج منه الى القيروان
ويقابله الجبل المعروف بجبل التوبة وهو جبل عال لاينبت شيئا فى
اعلاه قصر مبنى مشرف على البحر وبشرقى هذا القصر غار تحتى
الباب يسمى المعشوق وبالغربى منه عين ماء وبغربى هذا الجبل جبل
يعرف بجبل الصيادة فيه قرى كثيرة الزيتون والثمار والمزارع وفى
هذا الجبل سبعة مواجل للماء اقبساء على غرار واحد وبغربى هذا
الجبل ايضا اشراف مزارع متصلة بموضع يعرف بالملعب فيه قصر
لبنى الاغلب قد غرس بجميع الثمار واصناف الرياحين وبشرقى
مدينة تونس المينى والبحيرة التى ذكرنا وسبخة وبشرقيها ايضا

باب قرطاجنة دونه داخل الخندق بساتين كثيرة وابار سوانى تعرف بسوانى المرج وباب السقّايين جوفى نسب الى السقايين لان بيرا تعرف ببير ابى القعار تقابله وهى بير كبيرة غزيرة عذبة الماء نميرة وهناك قصور لبنى الاغلب وبساتين فيها اصناف الثمار والرياحين ويتصل بها جبل اجرد يقال له جبل ابى خفاجة فى اعلاه اثار بنيان وباب ارطة غربى تجاوره مقبرة تعرف بمقبرة سوق الاحد ودون الباب من داخل الخندق غدير كبير يعرف بغدير الفحّامين وربض المرضى خارج عن المدينة وبقبلى ربض المرضى ملاحة كبيرة منها ملحهم وملح من يجاورهم وجامع مدينة تونس رفيع البناء مطلّ على البحر ينظر الجالس فيه الى جميع جواريه ويرقا الى الجامع من جهة الشرق على اثنتى عشرة درجة وبها اسوان كثيرة ومتاجر عجيبة وبمدينة تونس خمسة عشر حماما وفنادق كثيرة رفيعة وعضادات ابواب دور مدينة تونس كلها رخام بديع لوحان قايمان وثالث معترض عليهما مكان العتبة ومن امثالهم ۞ دور تونس ابوابها رخام وداخلها سخام ۞ ومدينة تونس دار علم وفقه ولى منها قضاء افريقية جماعة كثيرة ومع هذا الفضل الذى فيها هى مخصوصة بالقيام على الامراء والخلاف للولاة خالفت نحو عشرين مرة وامتحن اهلها ايام ابى يزيد بالقتل والسبى وذهاب الاموال

وقال الجرى صاحب الحدثان

فويل لترشيش وويل لاهلها   من الحبشى الاسود المتغاضب

وقال بعض الشعراء

لعمرك ما القيتُ تُونِس كاسمها   ولكننى القيتها وهى تُوحِش

ويصنع بتونس انية للماء من الخزف تعرف بالريحية شديدة البياض فى نهاية الرقة تكاد تشف ليس يعلم لها نظير فى جميع الاقطار وعامة

الامصار ومدينه تونس من اشرف مداين افريقية واطيبهــا ثمرة وانفسها فاكهة فمن ذلك اللوز الفريك يفرك بعضه بعضا من رقة قشره ويحتّ باليد واكثره حبّتان في كل لوز مع طيب المضغة وعظم الحبة والرمان الضعيف لا عجم لحبه البتة مع صدق الحلاوة وكثرة المائية والاترج الجليل الطيب الطعم الذكى الرايحة البديع المنظر والتين الخــارى اسود كبير رقيـق القشر كثير العســل لا يكاد يوجد له بزر والسفرجل المتناهى كبرا وطيبا وعطرا والعناب الرفيع في قدر الجوز والبصل الفلورى في خلق الاترج مستطيل ســابرى القشر صــادق الحلاوة كثير الماء وبهــا من اجناس الحوت الذى لا يكون مثله في غيرها ما لا يحصى كثرة اجنــاس تجـرى في البحر مع شهور العجم في كل شهر من تلك الشهور يجرى فيه جنس منه لا يوجد في البحر الى دخول ذلك الشهر من العام القابل فهم من تجددها في لذة موصولة ونعمة غير مملولة وكل جنس منها يُصيَّر فيبقى السنين صحيح الجرم طيب الطعم منها جنس يعرف بالفبانف وجنس يعرف بالاكتوبرى وجنس يعرف بالاشبــارس وجنس يعرف بالمنكوس وجنس يعرف بالبغونس ومن امثالهم ۞ لولا البغونس لم يخالف اهــل تونس ۞ وفي الطريق بينهــا وبين القيروان منزل يقال له مجقّة اذا كان اوان طيب الزيتون بالساحل قصدته الزرازر فباتت فيه وقد حمل كل طاير منهــا زيتونتين في مخلبيه فيلقى الزيتون هناك وله غلة عظيمــة تبلغ سبعين الـف درهم ۞ ومن مدينة تونس الى قرطاجنّة اثنا عشر ميلا ويقــال ان الذى بنى قرطاجنة ديدون الملك زمن داود عليه السلام ويقال ان بين بناء قرطاجنة وبناء مدينة رومية اثنتــان وسبعون سنة ولو دخلها الداخل ايام عمره وتدبر فيها لراى فيها كل يوم مستانف اعجوبة

لم يرها فى السالف وهى على شاطى البحر يصيب سورهـــا امواجه وكان تكسير سورها اربعة عشر الف ذراع وقال ابو جعفر احمد بن ابراهيم المتطبب القيروانى فى مغازى افريقية ان موسى بن نصير لما دخل الاندلس فاتى على ما اراد منها قال لهم دلّونى على اسنّ شيخ فيكم فاتى بشيخ قد وقعت حاجباه عن عينيه من الكبر فقال له موسى من اين انت يا شيخ قال من قرطاجنة افريقية فقال له موسى فما الذى اصارك هنا وكيف كان خبر قرطاجنة قال له الشيخ ان قرطاجنة بناها قوم من بقية العاديين الذين هلك قومهم بالريح فبقيت بعدهم خرابا الف سنة حتى بناها اردمين بن لاودين بن نمرود الجبار وجلب اليها الماء العذب من دلالا تحفرله فى الجبال وبنا القناطر فى بطون الاودية حتى استوى جرى الماء فيها بعد عمل اربعين سنة قال ولما حُفر اســـاس تلك القنـاطر فى طول الاودية اصيب فيه حجر عليه كتابة فاذا فيه ان هذه المدينة ليس تخرب الا اذا ظهر فيهـا الملح قال الشيخ فبينا نحـــن ذات يوم فى مجرىَ قرطاجنة جلوس اذا بملح على حجر فعند ذلك رحلت الى هنا وكان سبب خراب قرطاجنة ان انبيل ملك افريقية وكـانت قرطاجنة دار ملكه مضى الى بلد ايطاليـــة الذى فيه مدينة رومية ولاقى قوّاد رومية وكان اهل رومية يومئذ لا ملك لهم انما كان تدبير مملكتهم الى سبعين رجلا من كبرائهُم يخرجـون من انفسهـم كل عام اثنى عشر قايدا يفرقون بينهم على نواحيها فيخرج كل واحد الى الناحية التى وقعت عليهـــا قرعته فهزمهم انبيل وقتلهم فى عدة مواطن حتى بعـــث الى افريقية بثلاثة امداء من خـواتم الذهب التى كانت فى ايدى اشراف من قتـــل منهم وملوكـهم وكتب اليهم ۞ هـذا عدة من قتلته من الاشراف والقواد فضلا

عن غيرهم ۞ فاقام في بلاد ايطالية محاربا لمدينة رومية ومضيقا على نواحيها نحو من ستة عشر سنة فركب قايد من قوادهم يقــال له شبيون المراكب خفية حتى اتى صقلية فحشر من اجتمع له بها ثم مضى الى بلد افريقية وترك انبيل محاصرا لبلد رومية فنُصــر على الافريقيين وعم بلد افريقية قتلا وسبيا واحراقا وبـقى محـــاصرا لقرطاجنة فبعث اهلها الى اميرهم انبيل يعلمونه بما دهمهم من اهل رومية ويسئلونه الاسراع لغياثهم فعجب عند ذلك انبيل وقال انى كنت ارى ان التزام محاصرة هذه المدينة يقطع اسم الرومـانيين من الدنيا واظنّ ان اله السماء لا ياذن بذلك ثم ركـب المـراكب واسرع الرجوع الى افريقية فزحف اليه شبيون قايد الرومـانيين فهزمه في كل مشهد فجعل انبيل يخاطبه ويقول اين كـنتم معشر الرومانيين من هذه النجدة اذ كنا نقاتلكم ونهزمكم في افنيتـكم فقال له شبيون اذ كنتم في بلدنا قد بعد عنكم بلدكم وحصونكم ونحن في حصوننا وبلدنا كنّا اشدّ منكم خورا وكـنتم اشد منـا استثباتا فلما صرنا في بلدكم انتقل الامر وتبدل الحكم فغلب عند ذلك اهل رومية على اهل افريقية وهدموا مدينة قرطاجنـــة ۞ واعجب ما بقرطاجنة دار الملعب وهم يسمونها الطياطر قـد بنيـت اقواســـا على سوارى وعليها مثلها مـــا احاط بالدار وقد صور في حيطانها جميع الحيوان وصور اصحاب جميع الصناعات وجعلت فيه صور الرياح فجعل صورة الصبا وجهه مستبشر وصورة الدبور وجهه عابس ورخام قرطاجنة لو اجتمع اهل افريقية على نقله واستخراج جميعه ما امكنهم ذلك لكثرته وفيهـا قصــــر يعرف بالمعلقة مفرط العظم والعلو اقباء معقودة طبقات كثيرة مطل على البحر في غربيه قصر يعرف بالطياطر وهو الذى فيه دار الملاعب المذكورة وهـو كثير

الابواب والتراوح وهو ايضا طبقات على كل باب صورة حيوان رخام وصور جميع الصناع وقصر يقال له قومش طبقات كثيرة ايضـــا فى سوارى رخام مقرطة الكبر والعظم يتربع على راس السارية منهـا اثنا عشر رجلا وبينهم سفرة طعام او شـراب وهى مشطّبة كالثـلج بياضا والمهاة صفاء بعض تلك السوارى قايمة وبعضها ساقطة وبهـا قبو عظيم لا يدرك الطرف اخره فيه سبعة مواجل للماء كبار تعرف بمواجل الشياطين فيهـا ماء قديم لا يدرى متى دخلهـا وبقرب قصر قومش سجن اقباء بعضها فوق بعض مظلم مهيب الدخول فيه جثث الموتى على حالهم الى اليوم فاذا مسّوا تلاشوا وداخل المدينة مينى كانت المراكب تدخلها بشرعها وهى اليوم ملاحة عليها قصر ورباط يعرف ببرج ابى سليمان وفى وسط المدينة صهريج كبير حوله فى وقتنا هذا الف وسبع مائة حنية قايمة سوى مـا انهدم منها وكان يجرى الى هذا المصنع الماء المجـلوب من عين جقـار الى قرطاجنة على مسيرة ايام فى قناة عظيمة تغيب مـرة تحـت الارض وتكون فى موضع اخر فى قناطر فوق قناطر حتى تساوى السحـاب ومن عين جقار كـان عبيد الله الشيعى يشرب المـاء يرد عليه كل يوم منه احمـــال معروفة وبقرطاجنة قصران من رخام يعرفـــان بالاختين ليس فيهما حجر سواه محكم البناء رخـامه كله مدخـل بعضه فى بعض وبهذين القصرين مــاء مجلوب ياتى من قبل الجوف لا يعرف من اين منبعثه يصب فى البحر وعليه نواعير لغرى قرطاجنة وبها سوارى قايمة طول الظاهر فوق الارض منها اربعون ذراعا قد عقد عليه قبو من حجر النشفة وهو الحجر الخفيف الذى يطفو فوق الماء وبها قبة لا يلحقها الرامى باشدّ نزع السهـام علوا وسموا ولها سطح مفروش بالفُسَيْفِساء خمسون ذراعا فى مثلها وخرايب قرطاجنة

اليوم قرى ربيعة معيدة عامرة واصناف ثمارها متناهية في الطيب لا يكاد يرى ما يفضلها ۞ وروى الثقات عن عبد الرحمان بن زياد ابن انعم قال كنت انا وغلام مع عمى بقرطاجنة نمشى في اثارها ونعتبر بعجايبها فاذا بقبر مكتوب عليه بالحميرية انا عبد الله بن الاواش رسولُ رسول الله صالح ۞ وفي رواية اخرى ۞ معتّب بعثنى الى اهل هذه القرية ادعوهم الى الله اتيتهم ضحا فقتلونى ظلما حسيبهم الله ۞ وقال الحف بن عبد الملك الملشوفى لم يدخل افريقية نبى قط واول من دخلها بالايمان حوارى عيسى بن مريم عليهما السلام ۞ وفيما بين مدينة سوسة ومدينة تونس جزيرة شريك تنسب الى شريك العبسى كان عاملا عليها وامّ اقليم جزيرة شريك منزل باشوا وهى مدينة كبيرة اهلة بها جامع وحمامات وثلاثة رحاب واسواق عامرة وبها قصر احمد بن عيسى القايم على ابن الاغلب وبجزيرة شريك اجتمعت الروم بعد دخول عبد الله بن سعد بن ابى سرح المغرب وتبادروا منها الى مدينة اقليبية وما حوالها ثم ركبوا منها الى جزيرة قوسرة وهى بين صقلية وافريقية وكانت اذ ذاك عامرة فيقال انهم اقاموا بها الى خلافة عبد الملك ابن مروان فاغزى عبد الملك بن مروان عبد الملك بن قطن في البحر ففتح ما كان هنالك من الجزاير والقصور خربها وقتل ظافرا ۞ ومن تونس الى منزل باشوا هذا مرحلة بينهما قرى كبيرة اهلة كثيرة وحامة جليلة مجرّبة النفع ثم من باشوا الى قرية الدواميس مرحلة وهى قرية كبيرة اهلة كثيرة الزيتون والشجر بينهما قصر الزيت ووادى الدمنة وفندق ريحان ووادى الرمّان ومن قرية الدواميس الى القيروان مرحلة بينهما قصور ومنازل وقرى وبحذاء جزيرة شريك في البر نحو الجنوب جبل زغوان وهو جبل منيف

مشرب يسمى كلب الزفان لظهوره وعلوه واستدلال المسافرين به اين ما توجهوا فانه يرى على مسيرة الايام الكثيرة ولعلوه ترى السحاب دونه وكثيرا ما يمطر صحه ولا يمطر اعلاه واهل افريقية يقولون لمن يستثقلونه من الناس ۞ هو اثقل من جبل زغوان واثقل من جبل الرصاص ۞ وهو على تونس وقال الشاعر يخاطب حمامه ارسلها بكتاب من القيروان الى تونس

وفى زغوان فاستعلى علوا ودانى فى تعاليك السحابا

وبزغوان قرى كثيرة اهلة كثيرة المياه والثمار والبساتين منها يقدن شكل الحلة المعروفة وهى على مرحلة من تونس قرية كبيرة اهلة ومنها قرية فلجنة كان ابو القاسم بن عبيد الله شرع فى بنيانها واتخذها مدينة يسكنها الغريب السايل من هوّارة ونفوسة ۞ وهذا الجبل ماوى للصالحين وخيار المسلمين وبغربى جبل زغوان مدينة لربس بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة ايام وهى مدينة مسورة لها ربض كبير وبارضيها يكون اطيب الزعفران ويعرف ببلد العنبر وبها صار ابراهيم بن ابى الاغلب حين خرج من القيروان وفى سنة ست وتسعين ومايتين زحف اليها ابو عبد الله الشيعى ونازلها وبها جمهور اجناد افريقية مع ابراهيم ففر عنها ابن ابى الاغلب فى جماعة من القواد والجند الى اطرابلس ودخلها الشيعى عنوة ولجا اهلها ومن بقى فيها من فل الجند الى جامعها وركب بعض الناس بعضا فقتلهم الشيعى اجمعين حتى كانت تسيل الدماء من ابواب المسجد كسيلان الماء بوابل الغيث وقيل انه قتل داخل المسجد ثلاثين الفا وذلك من وقت صلاة العصر الى اخر الليل وكانت ولاية بنى الاغلب افريقية ماية سنة واحدى عشرة سنة ۞ ومن مدينة لربس الى مدينة الانصاريين مسيرة يوم نسبت الى

قوم نزلوها من الانصار من ولد جابر بن عبد الله وهى طيبة الارض كثيرة الريع وحنطتها اجل حنطة بافريقية ومن مدينة القيروان الى مدينة قفصة ثلاثة ايام وهى مدينة مبنية كلها على اساطين وطيقان رخام قد بنى خلالها بالصخر الجليل باحكم عمل ويذكر ان بانى هذا السور شنتيان غلام نمرود وقد زبر عليه اسمه وهو مقروء فيه الى اليوم وسورها كانما قد فرغ من عمله بالامس وداخل مدينة قفصة عينان نضّاختان ينبعان بنهرين خرّارين يسقيان بساتينها ومزروعاتها وفى داخل جامعها عين كبيرة مبنية بالصخر من بنيان الاول اربعون باعا فى مثلها وقفصة اكثر بلاد القيروان فستقا ومنها ينتشر بافريقية ويحمل الى مصر والاندلس وسجلماسة وبها تمر مثل بيض الحمام وهى تمير القيروان بانواع الفواكه والتمر وحولها اكثر من مايتى قصر عامرة اهلة تطرّد فيها وحواليها المياه تعرف بقصور قفصة وجباية قفصة خمسون الف دينار ومن قصور قفصة مدينة طراق وهى فى منصف الطريق من قفصة الى فج الحمار وانت تريد القيروان ومدينة طراق كبيرة اهلة بها جامع وسوق حافلة واليها ينسب الكساء الطراقى وهو من جهاز مصر وهى كثيرة الفستق وتسير من القيروان الى مدينة نفزاوة ستة ايام نحو الغرب ولمدينة نفزاوة عين تسمى بالبربرية تاورغى وهى عين كبيرة لا يدرك لها قعر ولمدينة نفزاوة سور صخر وطوب ولها ستة ابواب وبها جامع واسواق حافلة وهى على نهر كثير النخل والثمار وحواليها عيون كثيرة . فبليها مدينة اولية تعرف بالمدينة عليها سور وبها جامع وحمام وسوق وحولها عيون وبساتين وبين مدينة نفزاوة وقابس ثلاث مراحل وبينها وبين قفصة مرحلتان وهى على ثلاث مراحل من قيطون بياضة فمن قيطون بياضة الى مدينة

نبطة مرحلة الى مدينة توزر مرحلة الى مدينة نبزاوة مرحــــلة
ومن نبزاوة تسير الى بلاد فسطيلية وبينهما ارض سوّاخة لا يهتدى
للطريق فيها الا بخشب منصوبة وادلاء تلك الطريق بنو موليت
لان هناك ظواعينهم فان ضل احد يمينا او شمالا غرق فى ارض
دماس تشبه فى الرطوبة بالصابون وقد هلكت فيها العساكر والجماعات
ممن دخلها ولم يدر امرها وتتصل هذه الارض السواخة الى مدينة
غدمس ۞ فاما بلاد فسطيلية فان من مدنها توزر والحمّة ونفطة
وتوزر هى امها وهى مدينة كبيرة عليها ســـور مبنى بالحجر والطوب
ولها جامع محكم البناء واسواق كثيرة وحولها ارباض واسعة اهلة
وهى مدينة حصينة لها اربعة ابواب كثيرة النخل والبســـاتين
والثمار الا ان قصب السكر والموز لا يصلحان بها وحولها سواد عظيم
من النخل وهى اكثر بلاد افريقية تمرا ويخرج منها فى اكثر الايام
الف بعير موفورة تمرا وازيد شربها من ثلاثة انهار تخرج من رمال
كالدرمك رقة وبياضا يسمى ذلك الموضع بلسانهم سرش وانمـــا
تنقسم هذه الثلاثة الانهار بعد اجتماع مياه تلك الرمال بموضع
يسمى وادى الجمال يكون قعر النهر هناك نحــو مايتى ذراع ثـــم
ينقسم كل نهر من هذه الانهار الثلاثة على ستة جداول وتتشعب
من تلك الجداول سواقى لاتحصى كثرة تجرى فى قنوات مبنية بالحجر
على قسمة عدل لا يزيد بعضها على بعض شيئا كل ساقية سعة شبرين
فى ارتفاع فتر يلزم كل من يسقى منها اربعة اقداس مثقال فى العام
وبحساب ذلك فى الاكثر والاقل وهو ان يعمد الذى تكون له دولة
السقى الى قدس فى اسفله ثقبة بمقدار ما يسدّها وتر قوس الندّاف
فيملؤه بالماء ويعلقه ويسقى حايطه او بستانه من تلك الجداول حتى
ينفد ماء القدس ثم يملؤه ثانيا وهم قد علموا ان ســـقى اليوم

الكامل هو ماية واثنان وتسعون فدسا ولايعلم ي بلد مثل اترجها جلالة وحلاوة وبها الترنجبين والخيطا والاملج وجباية فسطيلية مايتنا الف دينار واهلها يستطيبون لحـــوم الكلاب ويسمنونهـا ي بساتينهم ويطعمونها التمر وياكلونها واخبرني من ضاف منهم رجلا باطعمه لحما استطابه واستحسنه بساله عنه بقال له لحم جـــرو مسمن ۞ ولا يُعرف وراء فسطيلية عمران ولا حيوان الا العنك انما هي رمال وارضون سواخة وهم يخبرون ان فوما ارادوا معرفة ما وراء بلادهم باستعدوا الازواد وذهبوا ي تلك الرمال اياما بلم يروا اثر العمران وهلك اكثرهم ي تلك الرمال ۞

۞ الطريف من مدينة الفيروان الى فلعة ابي طويل ۞

وهي فلعة كبيرة ذات منعة وحصانة وتمصرت عند خراب الفيروان انتفل اليها اكثر اهل افريفية وهي اليوم مفصد التجار وبهـا تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وساير بلاد المغرب وهي اليوم مستفر مملكة صنهاجة وبهذه الفلعة كان احتصن ابو يزيد مخلد ابن كيداد من اسماعيل على ما نذكره ي موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله ۞ تخرج من الفيروان الى وادى الرمل اربعون ميلا وهي فريـة زيتونها كثير ورمالها حمر ومنها الى سبيبة وهي مدينة اولية ذات انهار وثمار ومنها الى فلعة الديك فرية ومنها الى السكة فلعة جليلة وبها مجمع سوق ومنها الى مدينة مجانة المطاحن وهي مدينة فديمة وبها مفطع حجارة الارحي ليس على الارض مثله ومنها الى نهر ملّاق نهر عظيم عليه اثار فديمة وي الشرق منه مدينة تبسا وهي مدينة اولية بيها اثار للاول كثيرة وهي كثيرة الثمار والاشجار ومنها الى

قرية مسكيانة وهى على نهر وهذه المواضع كلها محلّاة باسم من ياتى بعد ان شاء الله ومنها الى مدينة باغاية وهى مدينة جليلة اولية ذات انهار وثمار ومزارع ومسارح وعلى مغربة منها جبل اوراس وهى المتصل بالسوس وبهذا الجبل قام مخلد بن كيداد الزناتى ومن باغاية الى مدينة فاساس وهى مدينة قديمة على نهر وفى غربيها جبل شامخ ومنها الى قبر مادغوس وهو قبر مثل الجبل الضخم مبنى باجرّ رقيق قد خرق وبنى طيقانا صغارا وعقد بالرصاص وصورت فيه صور الحيوان من الاناسى وغيرهم وهو مدرّج النواح وفى اعلاه شجرة نابتة وقد اجمع على هدمه من سلف فلم يقدر على ذلك وفى الشرق من هذا القبر بحيرة مادغوس وهى مجمع لكل طاير وتسير من هناك الى بلزمة لمزاتة حصن اولى وهو فى بساط من الارض كثير المزارع والقرى وهى مدينة كثيرة الانهار والثمار والمزارع وبشرقيها مدينة اللوز وتسير من نقاوس الى مدينة طبنة وهى مدينة كبيرة سورها اليوم من بناء المنصور ابى الدوانيف وهى مما افتتح موسى بن نصير فبلغ سبيها عشرين الفا وهرب ملكهم كَسِيلة وسورها مبنى بالطوب وبها قصر وارباض وداخل القصر جامع وصهريج كبير يقع فيه نهرها ومنه تسقى بساتينها ويقال ان الذى بناها ابو جعفر عمر بن حفص المهلبى المعروف بهزارمرد يسكنهـا العرب والعجم بينهم الاختلاف والحرب ويسكن حولها بنو زقراح وقال محمد بن يوسف ان قصر طبنة قديم اولى كبير جليل مبنى بالصخر عليه ازاج كثيرة ينزله العمّال وهو ملاصق لسور المدينة من جهة القبلة عليه باب حديد ولمدينة طبنة من الابواب باب خاقان مبنى بالحجر عليه باب حديد وهو سرىّ وباب الفتح غربى باب حديد ايضا وبينهما سماط يشقّ المدينة من الباب الى الباب

وباب تهوذا فبلى عليه باب حديد وهو سرى ايضا والباب الجديد حديد ايضا وباب كتامة جوفى وخارج المدينة بازاء باب الفتح سور مضروب على خحص فسيح يكون مفدار ثلثى مدينة طبنة بناه عمر بن حفص ويشف سكك المدينة جداول المـــاء العذب وبها اسوان كثيرة غير السماط المذكور ولها بســـاتين يسيرة ملاصفة للربض ومفبرتها بشرفيها وبغرب المفبرة غدير يعرف بغدير برغان وهو يجرى فى مصلى العيد وليس من الفيروان الى سجلماسة مدينة اكبر منها واسم نهرهـــا بَيْطام واذا حمل ســـفى جميع بساتينها ونحوصها ويفول اهلها ۞ بيطام بيت الطعام ۞ لجودة زرعها واذا كانت الحرب بين العرب والمولدين استمد العرب بعرب مدينـــة تهوذا وسطيف واستمد المـولدون باهل بسكرة وما والاها وفـــال احمد بن محمد المروذى فى فصة اسماعيل بن ابى الفـــــــاسم

سرنا وفد حل بغرب طبنه
وصار منهـا اهلها فى محنه
فاعظـــم الله العزيز المنّه
وبُدّلوا من بعد نار جنّه

وفى زيدان يطل على مدينة طبنه واياه عـنى ابو عبد الله الشيعى فى فوله

من كان مغتبطا بلين حشيّة ... فحشيتى واريكـــــتى سرجى
من كـــان يعجبـه ويبهجه ... نغمُ الدفوف ورنّـــة الصنج
فانا الذى لا شىء يعجبـــنى ... الا افتحامى لجّـــة الـــرهج
سل عن جيوشى اذ طلعتُ بها ... يوم الخميس ضحى من الـــفج

ومن طبنه الى مدينة مَفّرة وهو بلد كبير ذو ثمـار وانهـار ومزارع ومنها الى فلعة ابى طويل ۞ ومن باغاية الى بلد بَسْكرة اربعة ايام

وبسكرة كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة وهي مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون واصناف الثمار وهي مدينة مسورة عليها خندق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات وحواليها بساتين كثيرة وهي في غابة كبيرة مقدار ستة اميال فيهـــا اجناس التمور منها جنس يعرفونه بالكسبا وهو الصيحاني يضرب به المثل لفضله على غيره وجنس يعرف بالليارى ابيض املس كان عبيد الله الشيعي يامر عماله بالمنع من بيعه والتحظير عليه وبعث ما هنالك منه اليه واجناس كثيرة يطول ذكرها لايعدل بها غيرها وحول بسكرة ارباض خارجة عن الخندق المذكور وببسكرة علماء كثير واهلها على مذهب اهل المدينة ولها من الابواب باب المقبرة وباب الحمام وباب ثالث سكّانها المولدون وحولها من قبايل البربر سدراتة وبنو مغراوة اهل بيت بنى خرز وبنو يزمرتن وداخل مدينة بسكرة ابار كثيرة عذبة منها في الجامع بير لاتنزف وداخل المدينة جفان يدخل اليه الماء من النهر وبها جبل ملح يقطع فيه الملح كالصخر الجليل ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملون في اطعمتهم وتعرف ببسكرة النخيل قال احمد بن محمد المروذى

ثم اتى بسكرة النخيل

قد اغتدى في زيّه الجميل

ومن مدنها مدينة جمونة ومدينة طولقة ومدينة مليلى ومدينة بنطيوس وهي من بنيان الاول وشرب بسكرة من نهر كبير يجرى في جوفيها منحدر من جبل اوراس وقرية من قرى بسكرة تسمى ملشون منها ابو عبد الله الملشونى وابنه اخف عالمان يحمل عنهما العلم سمع منهمـــا ابو عبد الله بن ميمون ومقاتل وغيرهما اخبرنى احمد بن عمر بن انس قـــال اخبرنى قاسم بن عبـد العزيز ان في

الطريق الى بسكرة جبل يعرف بزيغيزى فى وسطه كهف فيه رجل قتيل لم يغيره مر الزمان وتقادم الدهور تبض جراحه دما كانما قتل منذ يومين وتخبر الكافة انهم لايعلمون متى قتل قدما وقد نقله اهل تلك النواحى ودفنوه بافنيتهم تبركا به ثم لم ينشبوا ان وجدوه فى الكهف على حاله يحدث بذلك ثقات اهل تلك الناحية والله فعال لما يشاء وقال محمد بن يوسف فى كتابه ان هذا القتيل فى شق جبل بشرقى عين اربان وهذه العين بين مدينة مرماجنة ومدينة سبيبة المذكورة ايضا وذكر انه كما ذبح من يومه وانه هناك من قبل فتوح افريقية ولم يذكر امر دفنه فالله اعلم بامره ۞

۞ وطريق اخر من القيروان الى قلعة ابى طويل ۞

من القيروان فى قرى وعمارات الى مدينة ابّة ثلاثة ايام وهى مدينة اولية يكون بها الزعفران الجيد وعلى ستة اميال منها مدينة لُرْبُس المذكورة قبل هذا ومن مدينة ابة الى نهر ملّان وهو نهر عظيم يسقى نواحى قصر بُسّل ومن نهر ملان الى مدينة تامَديت وهى مدينة فى مضيق بين جبلين فى سند وعر ولها مزارع واسعة وحنطتها موصوفة ومنها الى مدينة تيفاش وهى مدينة اولية شامخة البناء وتسمى تيفاش الظالمة وفيها عيون ومزارع كثيرة وهى فى صفح جبل وفيها اثار للاول كثيرة ومنها الى قصر الافريقى وهى مدينة جامعة على شرف من الارض ذات مسارح ومزارع كثيرة ومنها الى واد يعرف بوادى الدنانير وهو واد خصيب ومنها الى مدينة تيجس وهى مدينة اولية شامخة البناء كثيرة الكلاء والربيع ومنها الى

مدينة توبوت على بلاد كتامة ويسمى هذا الطريف بالجناح الاخضر
ومنها الى مدينة تابَسْلكى وهى صغيرة فى صحج جبل يسمى انسب
النسر ومنهـا الى النهريين وهى فرى كثيرة فى فحص عريض وبساط
من الارض مديد ومنها الى مدينة تامسلْت وهى مدينة جليلة
للزرع والضرع ومنها الى مدينة دكّه وهى على نهر كبير ذات مزارع
ومسارح ومنها الى مدينة الغدير تخرج منه عيون نهر سهر وهو نهر
المسيلة وهو المعروب بالوادى الرييس على ما نذكره بعد ان شاء الله
ومنها الى فلعة ابى طويل ۞

۞ الطريف من الفيروان الى مدينة بونه ۞

من الفيروان الى جلولا كما تفدم ومنها الى اجّر ولها حصن وبها
فنطرة وهو موضع وهو كثير الجارة المتكابد المسالك ماسدة
لاتكاد يخلو من اسد دايم الريج العاصبة ولذلك يفولون ۞ اذا
جئت اجّرْ فجرّْ بان بيه اسدا يعرى وحجرا يبرى وريحا تذرى ۞
وحول اجر فبايل من العرب ومن البربر ضريسة ومرنيسة ومنها
الى العهمين وهى فرية وبها سوف جامعة ومنها الى جزيرة ابى حمامة
ومنها الى الانصاريين وفد تفدم ذكرها وبغرب هذا الموضع فحص
بل وهو من اطيب ارض افريفية مزدرعا ومن جزيرة ابى حمامة
خمس مراحل الى مدينة بونة فى فرى وعمارة ۞ اول المراحل من
مدينة بونه الى الفيروان ۞ زانه خصوص وفرارات للبربر بها عيون
ماء فى شعراء عظيمة شجرها كلها زان ومنها يجلب الى افريفية ومدينة
بونه اولية وهى مدينة افشتين العالم بدين النصرانية وهى على
ساحل البحر فى نشز من الارض منيع مطل على مدينة سبوس

وتسمى اليوم مدينة زاوى وبينها وبين المدينة الحديثة نحو ثلاثة اميال ولها مساجد واسواق وحمام وهى ذات ثمر وزرع وقد سورت بونة الحديثة بعد الخمسين واربعماية وفى بونة الحديثة بير على ضفة البحر منقورة فى حجر صلد يسمى بير النثرة منها يشرب اكثر اهلها وبغربى هذه المدينة ماء سايح يسقى بساتين وهو مستنزه حسن ويطل على بونة جبل زغوغ وهو كثير الثلج والبرد ومن العجايب ان فيه مسجدا لا ينزل عليه شىء من ذلك الثلج وان عم الجبل كله ومدينة بونة برية بحرية كثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل واكثر لحمانهم البقر الا انها يعم بها السودان ويسقم البيضان وحول بونة قبايل كثيرة من البربر مصمودة واوربة وغيرها واكثر تجارها اندلسيون ومستخلص بونة غير جباية بيت المال عشرون الف دينار وبشرقى مدينة بونة مدينة مرسى الخرز فيه المرجان وهى مدينة قد احاط بها البحر الا مسلك لطيف ربما قطعه البحر فى الشتاء عليها سور وبها سوق عامرة وقد صنع بها مرفا للسفن منذ مدة قريبة وفى هذه المدينة تُنشا السفن والمراكب الحربية التى تغزى بها الى بلاد الروم والى هذه المدينة يقصد الغزاة من كل افق لان مقطعها يقرب من جزيرة سردانية بينهما نحو مجريين وبازاء مدينة مرسى الخرز بير وبية الماء تعرف بببير ازران يقول اهلها ۞ طعنة بمزران خير من شربة من بير ازران ۞ وهذه المدينة كثيرة الحيات فاسدة الهواء يمتاز اهلها من غيرهم بصفرة الوانهم ولا يكاد يخلو عنق احد منهم من تميمة وجباية هذه المدينة عشرة الاف دينار ۞

۞ الطريق من القيروان الى طبرقة ۞

من مدينة القيروان الى منستير عثمان ست مراحل وهى قرية كبيرة

اهلة بها جامـــع وفنادق كثيرة واسواق وحمامات وبير لا تنزف وقصر للاول مبنى بالصخر والجير وارباب المنستير قوم من قريش من ولد الربيع بن سليمان وهو اختطها عند دخوله افريقية وبها عرب وبربر وافارق ومنها الى مدينة باجة ثلاث مراحل في قرى غير متصلة ومدينة باجة كبيرة كثيرة الانهار وهي على جبل يسمى عين الشمس في هيئة الطيلسان تطرد حواليها وفيها عيون المــاء العذب ومن تلك العيون عين تعرف بعين الشمس هي تحت ســور المدينة والباب هناك ينسب اليها ولها ابواب غير هذا وفي داخل الحصن عين اخرى عذبة غزيرة المــاء وحصنها اولى مبنى بالصخر الجليل اتقن بناء ويقال انه من عهد عيسى عليه السلام ولها ربض كبير في شرق الحصن وسور الحصن مما يـــلي الربض مهدوم وبهـا جامع متقن البناء قبلته سور المدينة وفيها خمســة حمامات ماؤها من العيون وفنادق كثيرة وبها ثلاث رحاب لبيع الاطعمة وعيون خارجها لا تحصى كثرة وهي دايمــة الدجن والغيم كثيرة الامطار والانداء قل ما يصحى هواؤها وبها يضرب المثل في كثرة المطر ولها نهر من جهة الشرق جـــار من الجوف الى القبلة على ثلاثة اميال منها وحولها بســـاتين عظيمة تطرد فيها المياه وارضهـا سوداء متشققة يجود فيها جميع البزور وبها حمص وفول قل ما يرى مثله وتسمى هرى افريقية لريع زرعها وكثرة رباعها وانها خصيبة ليفة الاسعار اذا محلت البلاد او خصبت واذا كانت اسعار القيروان نازرة لم يكن للحنطة بهـــا قيمة ربمـــا اشترى وقر البعير من الحنطة بدرهمين ويردهـا كل يوم من الدواب والابل العدد العظيم الالف والاكثر لانتقال الميرة فلا يوثر ذلك في سعرها لكثرة طعامهم ثــم تسير منها مرحلة الى باسلي وهي قرارات للبربر ببلد ورداحة على

عيون عذبة ومن قرى باجة المغيرية قرية شريفة بها اثار عظيمة عجيبة للاول من كنايس قايمة البنيان محكمة العمل كانما رفعت عنها الايدى بالامس وكلها مفروشة بالرخام النفيس يقف عليها من الغربان عدد لايحصى كثرة حتى يظن المرء ان غربان الارض قد تجمعت هناك ويزعمون ان بها طلسما وامتحن اهل مدينة باجة ايام ابى يزيد بالمقتل والسبى والحرق قال الراجز فى هجوه لابى يزيد

وبعدها باجة ايضا افسدا

واهلها اجلى ومنها شرّدا

وهدّم الاسوار والقصورا

والدور قد فتّش والقبورا

ولم يزل الناس يتنافسون فى ولاية باجة وكان المتداولون فيها لذلك بنو على بن حُميد الوزير فاذا عُزل منهم احد لم يزل يسعى ويتلطف ويهادى ويتاحف حتى يرجع اليها فقيل لبعضهم لم ترغبون فى ولاية باجة فقال لاربعة اشياء ۞ قمح عندة وسفرجل زانة وعنب بلطة وحوت درنة ۞ وبها حوت بورى ليس له فى الافاق نظير يخرج من حوت واحد عشرة ارطال شحم اذا كان من جلتها واكثر وكان يحمل الى عبيد الله حوتها فى العسل فيحفظه ويصل طريا ودُرْنة بين طبرقة وباجة ومنها الى مدينة طبرقة وهى على شاطى البحر وفيها اثار للاول وبنيان عجيب وهى عامرة لورود التجار فيها وبها نهر كبير تدخله السفن الكبار وتخرج فى بحر طبرقة وروى ان الكاهنة قتلت بطبرقة وبشرقى مدينة طبرقة على مسيرة يوم وبعض اخر قلاع تسمى بقلاع بنزرت وهى حصون ياوى اليها اهل تلك الناحية اذا خرج الروم غزاة الى بلادهم فهى مفزع لهم وغوث وهى رباطات للصالحين وقال محمد بن يوسف فى ذكر الساحل

من طبرقة الى مرسى تونس فقال ۞ مرسى القبة عليه مدينة بنزرت وهى مدينة على البحر يشقها نهر كبير كثير الحوت ويقع فى البحر وعليها سور صخر وبها جامع واسواق وحمامات وبساتين وهى ارخص البلاد حوتا ۞ وافتتحها معوية بن حديج سنة احدى واربعين وكان معه عبد الملك بن مروان فشذ عن الجيش فمر بامراة من العجم من اهل بنزرت فعرته واكرمت مثواه فشكر ذلك لها فلما ولى الخلافة كتب الى عامله بافريقية فى المراة واهل بيتها فاحسن اليهم وظاهر النعم لديهم ۞ وتوالى هذه المراسى مذكور بعد هذا فى موضعه ان شاء الله وعلى ساحل هذه القلاع بحيرة تنسب ايضا الى بنزرت يدخل اليها ماء البحر الكبير فيوجد فيها فى شهر ما من السنة صنف من الحوت لايشبه غيره ولا يوجد هناك فى غير ذلك الشهر وفى هذه البحيرة اعجوبة وهو ان الصياد فيه اذا اتاه التجار لشراء الحوت يقول لهم على اى شىء ارسل شبكتى فيتفق معهم على عدة معلومة فياتى الصياد بحوت يقال انه انثى الصنف المعروف بالبورى فيرسلها فى البحيرة ثم يتبعها بشبكته فيخرج العدة التى اتفقوا عليها لايكاد يخطىء وعلى مقربة من هذه البحيرة بحيرتان احداها حلوة والاخرى ملحة فيصب كل واحد منهما فى الاخرى نصف العام على السواء فلا يتغير لواحدة منهما طعم وبغربى مدينة بونة بركة بينها وبين بونة مسيرة يوم طولها ثلاثة اميال فى مثلها وفيها سمك جليل وفيها الطاير المعروف بالكيكل يعشش على ماء تلك البحيرة ويفرخ فيها فاذا احس بحيوان فى البر دفع عش فراخه قدامه الى وسط البركة وهو الطاير الذى يسمى بمصر بالحواص يصنع من جلوده الفراء ويباع بالاثمان الغالية ۞

۞ الطريق من قلعة ابي طويل الى مدينة تنس ۞

تخرج من القلعة الى مدينة المسيلة وهي مدينة جليلة على نهر يسمى بنهر سَهْر اسسها ابو القاسم اسماعيل بن عبيد الله سنة ثلاث عشرة وثلاث ماية وكان المتولى لبنائها على بن حمدون بن سِماك بن مسعود بن منصور الجذامى المعروف بابن الاندلسى واستعمله القائم عليها فلم يزل بها الى ان هلك في فتنة ابي يزيد وبقي ابنه جعفر فيها وصار اميرا على الزاب كله الى ان خرج عنها في سنة ستين وثلاث ماية على ما نحن ذاكروه في موضعه ان شاء الله وهي مدينة في بساط من الارض عليها سوران بينهما جدول ماء جار يستدير بالمدينة وله منافذ تسقى منها عند الحاجة وللمدينة اسواق وحمامات وحولها بساتين كثيرة ويجود عندهم القطن وهي كثيرة اللحم رخيصة السعر وبها عقارب مهلكة لا يتخلص من لسبها وبغرب منها جبل عجيسة وهوارة وبنى برزال ولهم كانت ارض المسيلة وبقبلى مدينة المسيلة موضع يعرف بالقباب فيه قباب من بنيان الاول وعلى مغربة منها مدينة للاول خربة يقال لها بشليقة فيها جدولان من ماء عذب جلبه الاول اليها يقال لها تارقا انوودى تفسيره ساقية السمن ۞ وقال احمد بن محمد المروذى يذكر نزول اسماعيل بالمسيلة والشيعة تسميها المحمدية

ثم الى مدينة مرضيه	اسست على التقوى محمديه
اقبل حتى حلها محيه	بالنور من طلعته المضيه
نحل في عسكره المسيله	في هيئة كاملة جميله
للنصر في ارجائه مخيله	بنعمة من ذى العلى جليله

ونهر سهر الذى عليه مدينة المسيلة منبعثه من عيون داخل مدينة قديم واروا وهي مدينة كبيرة اولية بين جبال فيها عين

ثرة عذبة عليها الارحاء وعين اخرى وتحتهما عين خرارة يقال لها عين مخلد تجتمع فيها ومن هناك منبعث نهر سهر وبمدينة الغدير جامع واسواق عامرة وفواكه كثيرة وهى رخيصة الطعام واللحم وجميع الثمار فنطار عنب فيها بدرهم وسكانها هوارة يعتدون فى ستين الفا ۞ وبشرقى مدينة الغدير قرية اولية يقال لها طرفلة لا تعدل بها قرية وهم يقولون ۞ طرفلة طرف من الجنة ۞ ومدينة الغدير ما بين سوق حمزة وطبنة وهى على مرحلتين من طبنة ۞ وتسير من مدينة المسيلة الى نهر يسمى جوزة ومن جوزة الى مدينة اشير وقال محمد بن يوسف ان الذى بنا اشير زيرى والدليل على ذلك ما انشده عبد الملك بن عيشون

يا ايها السايل عن قربنا وعن محل الكفر ءاشير
عن دار فسق ظالم اهلها قد شيدت للافك والزور
اسسها الملعون زيريها فلعنة الله على زيرى

وهى جليلة حصينة يذكر انه ليس فى تلك الاقطار احصن منها ولا ابعد متناولا ومراما ولا يوصل الى شىء منها بقتال الا من موضع يحميه عشرة رجال وهو فى شرقيها الذى ينفذ الى عين مسعود وساير نواحيها تزلّ عنها العيون فكيف الاقدام وهى مع ذلك بين جبال شامخة محيطة بها دايرة عليها وداخل مدينتها عينان ثرتان لا يبلغ لهما غور ولا يدرك قعر احداهما تعرف بعين سليمان والاخرى بعين تالانتيرغ والذى بنى سورها بلجّين يوسف بن زيرى بن مناد الصنهاجى سنة سبع وستين وثلاث ماية وخربها يوسف بن حماد ابن زيرى واستباح اموالها وفضح حرمها وذلك بعد اربعين واربع ماية ثم تراجع الناس اليها بعد خمس وخمسين ۞ وتسير من مدينة اشير الى قرية تسمى سوق هوارة ومنها الى قرية تسمى سوق

كـرام وهى على نهر شلف ومنهـا الى مدينة مليانة وهى مدينة رومية فيها اثار وهى ذات اشجار وانهار تطحن عليها الارحاء جددها زيرى بن مناد واسكنها ابنه بلجين وهى عامرة ومنهـا الى مدينة الخضراء وهى مدينة جليلة كثيرة البساتين وهى على نهر اذا حمل دخل بعضهـا ومنهـا الى مدينة قديمة مدينة بنى واريفن وهى واسعة المسارح كثيرة الكلاء ومنها الى مدينة فارية وهى مدينة لطيفة ذات اعين كثيرة وهى فى صفح جبـل ومنهـا الى مدينة تنس بينها وبين البحر ميلان وهى مسورة حصينة داخلهـا قلعة صغيرة صعبة المرتقى ينفرد بسكناها العمال لحصانتها وبها مسجد جامع واسواق كثيرة وهى على نهر يسمى تناتين ياتيها من جبال على مسيرة يوم ياتيها من القبلة ويستدير بهـا من جهة الجوف والشرق ويريق فى البحر وبها حمامات وتنس هذه هى التى تسمى تنس الحديثة وعلى البحر حصن يذكر اهل تنس انه كان القديم المعمور قبل هذه الحديثة وتنس الحديثة اسسها وبناها البحريون من اهـل الاندلس منهم الكركرنى وابو عايشة والصَّقر وصُهيب وغيرهم وذلك سنة اثنتين وستين ومايتين ويسكنها فريقـان من اهل الاندلس من اهل البيرة واهل تدمير واصحاب تنس من ولد ابراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسين ابن على وكان هولاء البحريون من اهل الاندلس يشتون هنـاك اذا سافروا من الاندلس فى مرسى على ساحل البحر فتجمع اليهم بربر ذلك القطر ورغبـوا فى الانتقـال الى قلعة تنس وسـالوهم ان يتخذوها سوقا ويجعلوها سكـنى ووعدوهم بالعون والرفق وحسن المجاورة والعشرة فاجابوهم الى ذلك وانتقلوا الى القلعة وخيموا بها وانتقل اليهم من جاورهم من اهل الاندلس وغيرهم فلمـا دخل

عليهم الربيع اعتلوا واستوبوا الموضع بركب البحريون من اهـل الاندلس مراكبهم واظهروا لمن بقي منهم انهم يمتارون نحينئذ نزلوا مرية بجّانة وتغلبوا عليها على ما ياتي ذكره ان شاء الله ثم ان البافون بي تنس لم يزالوا بي تزيد ثروة وعدد ورحل اليهم اهل سوق ابراهيم وكانوا بي اربع ماية بيت بتوسع لهم اهل تنس بي منازلهم وشاركوهم بي اموالهم وتعاونوا على البنيان واتخذوا الحصن الذى بيها اليوم ولها بابان الى الفبلة وباب البحر وباب ابن ناصح وباب للخوخة شرفي يخرج منه الى عين تعرب بعين عبد السلام ثرة عذبة وكيلهم يسمى الصحبة وهي ثمانية واربعون فادوسا والفادوس ثلاثة امداد بمد النبى صلى الله عليه وسلم ورطل اللحم بها سبع وستون اوفية ورطل ساير الاشياء اثنتان وعشرون اوفية ووزن فيراطهم ثلث درهم عدلٍ بوزن فرطبة والجارى عندهم فيراط وربع درهم وصغل وحبّتان مضروبة كلها ودرهمهم اثنا عشر صغليةً عددا وفال سعيد بن واشكْلَ التيهرتي بي علته التى مات منها بتنس

نای النوم عنى واضمحلّت عرى الصبر واصبحت عن دار الاحبّة بي اسر
واصبحت عن تيهرت بي دار معزل واسلمنى مرّ الفضاء من الفدر
الى تنس دار النحوس بانها يسان اليها كل منتقض العمر
هو الدهر والسيّان والماء حاكم وطالعها المنحوس صمصامة الدهر
بلاد بها البرغوت يحمل راجلا وياوى اليها الذيب بي زمر الحشر
ويزحف بيها العامّ بي كل ساعة بجيش من السودان تغلب بالوتر
ترى اهلها صرعى دوى امّ ملدم يروحون بى سكر ويغدون بي سكر

وفال غيره

ايّها السايل عن ارض تنسْ مفعد اللوم المصبّى والدنسْ

بلدة لا ينزل القطـــر بهـــا للندى في اهلهـــا حرفٌ دَرَسْ
بعجـــاء النطق في لا ابـــدا وهمُ في نعـــم بكـمٍ خرس
فمتى تلمم بهـا جاهلُهـــا يرتحل عن ارضها قبل الغلس
و ماؤها من قبح ما خصّت به نجس يجرى على تـرب نجـــس
فمـــتى تلعـــن بـــلادا مرة فاجعـــل اللعنة ذابا لتنـــس
فاما الطريق من تنس الى تيهرت خمس مراحل ۞

۞ الطريق من القيروان الى مرسى الزيتونة ۞

من القيروان الى مجّانة على ما تقدم ومنها الى مدينة تيجس ومدينة تيجس عليها سور صخر رومى ولها ربض وبها اسواق وجامع وحمام وبها من قبايل البربر نفزة وورغروسة وبنو ونموا وكزناية وحمزة من زناتة ثم تسير من مدينة تيجس الى مدينة قسنطينة وهي مدينة اولية كبيرة اهلة ذات حصانة ومنعة ليس يعرف احصن منها وهي على ثلاثة انهار عظام تجرى فيها السفن قد احاطت بها تخرج من عيون تعرف بعيون اشقار تفسيرة سود وتقع هذه الانهار في خندق بعيد القعر متناهي البعد قد عقد في اسفله قنطرة على اربع حنايا ثم بني عليها قنطرة ثانية ثم على الثانية قنطرة ثالثة من ثلاث حنايا ثم بني فوقهن بيت ساوى حافتي الخندق يعبر عليه الى المدينة ويظهر الماء في قعر هذا الوادى من هذا البيت كالكوكب الصغير لعمقه وبعده ويسمى هذا البيت العبور لانه معلق في الهواء ويسكن قسنطينة قبايل شتى من اهل ميلة ونفزاوة وقسطيلية وهي لقبايل من كتامة وبها اسواق جامعة ومتاجر رابحة وبينها وبين مرسى سقدة مسيرة يوم ومن مدينة قسنطينة الى مدينة ميلة وفي سنة ثمان وسبعين

وثلاث مايه فى شوال خرج المنصور من القيروان غازيا لكتامة فلما قرب من ميلة زحف اليها بانيا على اصطلام اهلهــا واستباحتهم فخرج اليه النساء والعجايز والاطفال بعد ان عبّا جيوشه لمحاربتها ونشر البنود وضرب الطبول فلما راى من خرج اليه منها بكى وامر ان لا يقتل من اهلها احد وامر بهدم سورها وتسيير من فيها الى مدينة باغاية فخرجوا بجماعتهم يريدونهــا وقد تحملوا ما خف من امتعتهم فلقيهم ماكسن بن زيرى بعسكره فاخذ جميع ما معهم وبقيت ميلة خرابا ثم عمرت بعد ذلك وعليهــا سور صخر اليوم وحولها ربض وبها جامــع واسواق وحمامات والمياه تطرد حولها يسكنها العرب والجند والمولدون وهى من غرر مدن الزاب ولمدينة ميلة باب شرقى يعرف بباب الروس وعلى مغربة منه جامعها وهو ملاصق لدار الامارة وباب جوفى يعرف بباب السعــلى ويليه داخل المدينة عين تعرف بعين ابى السباع مجلوبة تحت الارض من جبل بنى ياروت يشف منها سوقها سافية فاذا قل الماء فى الصيف اجريت يوم السبت والاحد من الجمعة لا غير ولهــا حمامات فى ربضها وبهــا عين تعرف بعين الحمى يرش منها على المحموم فيبرا لبركتها وشدة بردها ثم تسير من مدينة ميلة الى مرسى الزيتونة وهو جبل جيجل ۞

۞ الطريق من مدينة اشير الى مرسى الدجاج ۞

تخرج من مدينة اشير الى شعبه وهى قرية ومنهـا الى مضيق بين جبلين ثم تفضى الى فحص افيح تجمع فيه عروق عافر فرحـا ومن هــذا الموضع تحمل الى الافاق وهناك مدينة تسمى حمزة نزلها

وبناها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن على بن الحسن
ابن على بن ابى طالب رضى الله عنهم والحسن بن سليمان هو الذى
دخل المغرب وكان له من البنين حمزة هذا وعبد الله وابراهيم
واحمد ومحمد والقاسم وكلهم اعقب وعقبهم هناك وتسير من حمزة
الى بلياس وهى فى جبل عظيم ومن بلياس الى مرسى الدجاج ومدينة
مرسى الدجاج قد احاط بها البحر من ثلاث نواح وقد ضرب بسور من
الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ومن هناك يُدخل اليها واسواقها
ومسجد جامعها داخل ذلك السور له باب واحد ولها مرفا غير
مامون لضيقه وقرب قعره وبها عيون طيبة يسكنها الاندلسيون
وقبايل من كتامة وبشرقيها مدينة بنى جنّاد وهى اصغر منها ۞
ومن اراد الطريق من القيروان الى مرسى الدجاج فانه ياخذ الى
المسيلة على ما تقدم ثم الى اوزقور وهى عين عذبة باردة عليها
شجرة عظيمة وهذا اخر حد بلد صنهاجة الى سوق ماكسن
وهى مدينة على وادى شلف لصنهاجة عليها سور ولها عيون الى
سوق حمزة وهى مدينة عليها سور وخندق وبها ابار عذبة وهى
لصنهاجة وكان نزلها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين
ابن على بن الحسن بن على الى بنى جناد وهى مدينة صغيرة على
جبل بينها وبين البحر نحو ميل ومنها الى مرسى الدجاج ۞

۞ الطريق من مدينة اشير الى مدينة جزاير بنى مزغنى ۞

من اشير الى المديّة وهى بلد جليل قديم ومنها الى فزرونة وهى
مدينة على نهر كبير عليه الارحا والبساتين ويقال لها متيجة
ولها مزارع ومسارح وهى اكثر تلك النواحى كتّانا ومنها يحمل

وبيها عيون سايحة وطواحين ماء ومنها الى مدينة اغزر ومنها الى مدينة جزاير بنى مزغنى وهى مدينة جليلة قديمة البنيان بيها اثار للاول وازاج محكمة تدل على انهــا كانت دار مملكة لسالف الامم وصحن دار الملعب بيها قد برش بحجارة ملونة صغــار مثــل العسيبساء بيها صور للحيوان باحكم عمل وابدع صناعة لم يغيرها تقادم الزمان ولا تعاقب القرون ولها اسواق ومسجد جامع وكانت بمدينة بنى مزغنى كنيسة عظيمة بقى منهــا جدار مديم من الشرق الى الغرب وهو اليوم قبلة الشريعة للعيدين مقصص كثير النقوش والصور ومرساها مامون له عين عذبة يقصد اليه اهل السفن من افريقية والاندلس وغيرها ومن اشير الى تامَغَلْت ثلاثون ميلا وهى مدينة مبنية بى سفح جبل على راس الصحراء ۞

۞ الطريق من القيروان الى تنس ۞

من القيروان الى مدينة الغُزّة على ما تقدم ثم منهــا الى مدينة تاجنة وهى مدينة سهلية اهلة عليهــا سور وبها جــامع سكانها برقجانة وحولها كزناية ومن مدينة تاجنة الى مدينة تنــس فان اردت من الغزة الى مدينة تيهرت فمن مدينة الغزة الى تاجموت على مضيق مكناسة الى عين الصحى عيــن خرارة بى سفح جبل لمطماطة الى تاغريبت الى تيهرت ومدينة تيهرت مسورة لها ثلاثة ابواب باب الصبا وباب المنازل وباب الاندلس وباب المطاحن وغيرها وهى بى سفح جبل يقال له جزّول ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة وهى على نهر ياتيهــا من جهة القبلة يسمى مِينة وهــو بى قبليها ونهر اخر يجرى من عيون تجتمع تسمى تاتُش و من تانس

شرب اهلها وبساتينها وهو في شرقيها وفيها جميع الثمار وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما ومشما وسفرجلها يسمى بالفارس وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج قال بكر بن حماد ابو عبد الرحمن وكان ثقة مامونا حافظا للحديث سمع بالمشرق من ابن مسدد وعمرو بن مرزوق وبشر بن حجر وبافريقية من سحنون وغيرهم وسكن تاهرت وبها توفي فقال

ما اخشن البردَ وريعانه   واطرف الشمسَ بتاهرت
تبدو من الغيم اذا ما بدت   كانها تُنْشَر من تخت
فنحن في بحر بلا لجّة   تجرى بنا الريح على السمت
نفرح بالشمس اذا ما بدت   كفرحة الذمّى بالسبت

ونظر رجل من اهل تاهرت الى توقد الشمس بالحجاز فقال احرقى ما شئت فوالله انك بتاهرت لذليلة ۞ وهذه تاهرت الحديثة وعلى خمسة اميال منها تاهرت القديمة وهي حصن لبرفجانة وهو في شرقي الحديثة ويقال انهم لما ارادوا بناء تاهرت كانوا يبنون النهار فاذا جن الليل واصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم فبنوا حينئذ تاهرت السفلى وهي الحديثة وبقبليها لواطة وهوارة في قرارات وبغربيها زواغة وبجوفيها مطماطة وزناتة ومكناسة وقد ذكرنا ان بشرقيها حصن لبرفجانة وهو تاهرت القديمة وكان صاحب تاهرت ميمون ابن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رُستم بن بهرام وبهرام هذا مولى امير المومنين عثمان رضى الله عنه وهو بهرام بن ذوشرار بن سابور ابن بابكان بن سابور ذى الاكتاف الملك الفارسى وكان ميمون راس الاباضية وامامهم وامام الصفرية والواصلية وكان يسلّم عليه بالخلافة وكان مجمع الواصلية قريبا من تاهرت وكان عددهم نحو ثلاثين الفا فى بيوت كبيوت الاعراب يحملونها وتعاقب مملكة

تاهرت بنو ميمون وبنو اخويه عبد الرحمن واسماعيل بن الرستمية
الى سنة ست وتسعين ومايتين فوصل ابـــو عبد الله الشيعى الى
مدينة تاهرت فدخلها بالامان ثم فتل فيها من الرستمية عددا
كثيرا وبعث برءوسهم الى اخيه ابى العباس وطيف بها بالفيروان
ونصبت على باب رفادة وملك بنو رستم تاهرت ماية وثلاثين سنـة
وذكر محمد بن يوسف ان عبد الرحمن بن رستم كـــان خليفة
لابى الخطاب عبد الاعلى بن السمح بن عبيد بن حرملة ايام تغلبه
على افريقية فلما فتل محمد بن الاشعث الخزاعى ابا الخطـاب وذلك فى
صفر سنة اربع واربعين وماية هرب عبد الرحمن باهله وما خف
من ماله وترك الفيروان فاجتمعت اليه الاباضية واتفقوا على تقديمه
وبنيان مدينة تجمعهم فنزلوا موضع تاهـرت اليوم وهــــو غيضة
اشبة ونزل عبد الرحمـــــن منه موضعـــا مربعا لا شعراء فيه ففال
البربر نزل تافدمت تفسيره الدف شبهوه بالدف لتربيعه وادركتهم
صلاة الجمعة فصلى بهم هنالك فلمـا انفضت الصلاة ثارت صيحة
عظيمة على اسد ظهر فى الشعراء فاخذ حيّا واُتى بـــه الى الموضع
التى صلوا فيه وفتل هناك ففال عبد الرحمن بن رستم هذا بلد
لايفارفه سفك دم ولاحرب ابدا وابتدوا من تلك الساعة فبنوا فى
ذلك الموضع مسجدا وفطعوا خشبة من تلك الشعراء فهو كذلك
الى اليوم وهو مسجد جامعها وهو من اربعة بلاطات فال وكـــان
موضع تاهرت ملكها لفوم مستضعفين من مراسة وصنهاجة فارادهم
عبد الرحمن على البيع فابــوا فوافقهم على ان يودوا اليهم الخراج
من الاسواق ويبيحوا لهم بنيان المساكن فاختطوا وبنـوا وسمى
الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم الى اليوم فال وبتاهرت اسواق
عامرة وحمامات كثيرة يسمى منها اثنى عشر حماما وحواليها من

البربر امم كثيرة ومدهم الذى يكتالون به خمسة افبزة وبصبب فرطبية وفنطار الزيت وغيره عندهم فنطاران غير ثلث الا المجلوب من البلبل وغيره فانه فنطار عدل ورطل اللحم عندهم خمسة ارطال ۞ وان اردت طريف الساحل من تنس الى اشير زيرى فمن تنس الى بنى جلّيداسن مدينة لطيبة لمطغرة يسكنه الاندلسيون والغرويون ولا يدخلها برنجانى من وفت غدرهم بهـا وهى بلدة طيبة بها عيون عذبة وهى مطلة على فحص شلب وهناك مدينة شلب على نهر بها سوف عامرة تعرب بشلب بنى واطيـل لزواغة ومنها الى بنى واريعن لمطغرة على نهر شلب بها حوانيت الى مدينة مليانة وهى اولية شريعة جددها زيرى بن مناد واسكنها ولده بلجين وهى مشرفة على جميع ذلك الفحص الذى فيه بنو واريعن وغيرهم وهى عامرة اهلة على نهر ولهـا ابار عذبة وسوف جامعة ومنها الى مدينة اشير ۞ وان اردت الطريف من تاهرت الى البحر فانك تمر بين فبايل البربر حتى تاتى شلب بنى واطيل ومن هناك الى الغزّة يومان والغزة سـاحل تاهرت وبغرب هذا الموضع على البحر فلعة مغيلة دَلول وهى فى اعلى جبل منيع هنـاك شديدة الحصانة بينها وبين البحر خمسة فراسخ وبها عين مـاء تسمى عين كُردى وبين فلعة دلول هذه ومدينة مستغانم مسيرة يومين وهى على مغربة من البحر وهى مدينة مسورة ذات عيون وبساتين وطواحين ماء ويبذر فى ارضها الفطن فيجود وهى بغرب مصب نهر شلب فى البحر وبغربى هذه المدينة على نحو ثلاثة اميـال منها مدينة تامزغران وهى مدينة مسورة لها مسجد جامع وعلى مغربة منها فلعة هوارة ويسمونها تاسفدالت وهى فلعة فى جبل لهـا ثمار ومزارع وتحت هذه الفلعة يجرى نهر سيرات وهـو النهر الذى

يسقى به فحص سيرات وطول الفحص نحو اربعين ميلا ليس منه شيء الا ينالة ماء هذا النهر الا انه اليوم غامر غير عامر ولا ءاهل لان الخوف اجلى اهله وفي ساحل هذا الفحص مدينة ارزاو وهي مدينة رومية خالية فيها اثار عظيمة للاول بافية فحار من دخل فيها لكثرة عجايبها وبغرب مدينة ارزوا جبل كبير فيه فلاع ثلاث مسورة رباط يقصد اليه وفي هذا الجبل معدن للحديد وللزيبق واذا ارسلت النار في شجرة تفاوحت منه ارواح عطرة وبين مدينة ارزوا هذه ووهران اربعون ميلا ومدينة وهران حصينة ذات مياه سايحة وارحاء ماء وبساتين ولها مسجد جامع وبنى مدينة وهران محمد بن ابي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الاندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع نفزة وبنى مُسقن وهم من ازداجة وكانوا اصحاب الفرشى سنة تسعين ومايتين فاستوطنوها سبعة اعوام وفي سنة سبع وتسعين ومايتين زحف فبايل كثيرة الى وهران يطالبون اهلها باسلام بنى مسقن اليهم لدماء كانت بينهم فابى اهل وهران من اسلامهم اليهم فنصبوا عليهم الحرب وحاصروهم ومنعوهم الماء فخرج عنهم بنو مسقن ليلا هاربين واستجاروا بازداجة واجاروهم وتغلّب على اهل مدينة وهران وخرجوا عنها مسلّمين في انفسهم واسلموا ذخايرهم واموالهم وخربت وهران واضرمت نارا وذلك في ذى الحجة من هذه السنة ثم عاد اهل وهران اليها في السنة بعدها سنة ثمان وتسعين ومايتين بامر ابى حُميد دوّاس بن صولات ويقال داود عامل تاهرت وابتدوا بنيانها في شعبان من هذه السنة فعادت احسن مما كانت وولى عليهم داود بن صولات اللهيصى محمد بن ابي عون فلم تزل في عمارة وكمال وزيادة وحسن

حال الى ان وقع يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى بازداجة بجبل فيدر وبرن جماعتهم وكانت الوقيعة بينهم يوم السبت للنصف من جمادى سنة ثلاث واربعين وثلاث ماية فدخل يعلى مدينة وهران وملكها ثم نقل اهلهــا الى مدينته المعروفة وذلك فى ذى القعدة من العــام المورخ وخرب مدينة وهران ثانية وحرقها وبقيت كذلك سنين ثم تراجع الناس اليها وبنيت ۞ وفى عمل وهران قرية اهلها موصوفون بعظم الاجســاد ومعروفون بشدة الايد اخبرنى غير واحد انه راى الرجل الكامل فى الخلق المعهود يكون الى دون منكب الرجل منهم وانه كان منهم رجل يحمل ستة نعم ويخطو بهم خطوات يحمل على عاتقه اثنين وتابط اثنين ويحمل على ذراعيه اثنين ولن رجلا منهم اراد عمل بيت فاقتطع الف كلخة وحملها على ظهره وسوى منها بيتا تاما معرّشا ۞

۞ الطريق من وهران الى القيروان ۞

تخرج من وهران الى تانسالمت قرية لازداجة بها سوق وعين عذبة وهى فى طرف جبل جَيْدَرْ ومنها الى جراوة لعْزيزوا وهى سوق عبيدون ابن سنّان الازداجى ومنها الى قصر ابن سنّان ثم الجادة على ما تقدم وهى خمس وعشرون مرحلة ۞

وطريق اخر من وهران الى القيروان على بلــد قسطيلية ۞ من وهران كما ذكرنا الى قصر منصور بن سنــان ثم الى العلويين وهى مدينة يعــلى بن باديس عليها سور وهى على نهر كبير وداخلها عيون ومنهــا الى نهر سى بن دمر وهو نهر كبير عليــه بساتين كثيرة ومنها الى احســاء عقبة بن نافع القرشى وهى ابار

كثيرة مبنية بخشب العرعار وتعرف باباب العسكر يريدون عسكر عقبة ويسمى بالبربرية ارســـان ثم تمشى فى مفاوز ربما نزلها بنو مغراوة ثلاث مراحل او اربعا الى سافية ابن خزر يسمونها ازمّرين عليها قصر خراب حوله ثمار ونخيل الى مدن بنطيوس وهى ثلاث مدن يقرب بعضها من بعض وفى كل مدينة جامع فالاثنان لاهل السنة والثالث لقوم من الخوارج يعرفون بالواصلية اباضية احداها يسكنها قوم من الفرس يعرفون ببنى جُرج وبغربيها نهر جار ينحدر اليها من ناحية الجوف وهذا النهر يسقى الثلاث المدن والثانية يسكنها المولدون والثالثة يسكنها البربر واكثر ثمارها النخل والزيتون والثلاث المدن فى سهلة عريضة اريضة عليها كلها اسوار وخنادق وبغربيها صحراء بنطيوس تسقى بثلث النهر المذكور واذا حمل الرجل فيها زريعته عرف مبلغ اصابته من الطعام لا يخطى وابارها ملحة وبغرب منها قرى كثيرة وبجوفى بنطيوس طولقة وهى ثلاث مدن كلها عليها اسوار طوب وخنادق وحولها انهار وهى كثيرة البساتين بالزيتون والاعناب والنخل والشجر وجميع الثمار احداها يسكنها المولدون والثانية يسكنها اليمن والثالثة يسكنها فيس ثم من بنطيوس الى مدينة بسكرة وقد تقدم ذكرها ومنها الى مدينة تهوذا وتعرف بمدينة السحر وهى مدينة اهلة كثيرة الثمار والنخيـــل والزرع وتهوذا مدينة اولية بنيانها بالحجر ولهـــا اموال كثيرة وحولها ربض قد خندق على جميعه واستدار بالمدينة وبها جامع جليل ومساجد كثيرة واسواق وفنادق ونهر ينصب فى جوفيهـــا من جبل اوراس سكانها العرب وقوم من قريش وان كـــانت بينهم وبين من يجـــاورهم حرب ارسلوا مـــاء النهر فى الخندق المحيط بمدينتهم فشربوا منه وامتنعوا من عدوهم به وفى المدينة بيـــر

لاتنزح اولية وابار كثيرة طيبة واعداؤهم هوّارة ومكناسة اباضية وهم بجوبيها واهل تهوذا على مذاهب اهل العراق وحولها بساتين كثيرة من اصناف الثمار وضروب البذر يجود بها البذور وحواليها ازيد من عشرين قرية ۞ وروى ابو المهاجر عن رجاله عن شهر ابن حوشب ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن سكنى هذه البقعة الملعونة التى يقال لها تهوذا ويقول انه سوف يُقتل بها رجال من امتى على الجهاد فى سبيل الله ثوابهم ثواب اهل بدر واهل احد ما بُدّلوا حتى ماتوا وكان شهر بن حوشب يقول واشوقاه اليهم وكان يقول سالت التابعين عن هذه العصابة فقالوا ذلك عقبة ابن نافع قتله البربر والنصارى بمدينة يقال لها تهوذا فمنها يحشرون يوم القيامة وسيوفهم على عواتقهم حتى يقفوا بين يدى الله تعالى ۞ قال ابو المهاجر قدم عقبة بن نافع مصر وعليها عمرو ابن العاصى فى خلافة معوية فنزل منزلا من بعض قراها ومعه عمرو ابن العاصى وعبد الله بن عمرو وجماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع بين ايديهم سفرة فيها طعام فلما تناولوا من الطعام ضربت حداة على الطعام الذى بين ايديهم فاخذت منه عرقا فقال عقبة اللهم دُقَّ عنقُها قال فاقبلت الحداة منقضّة حتى ضربت بنفسها الارض فاندق عنقها فاسترجع عمرو فسمعه عقبة يترجع فقال ما بالك يابا عبد الله قال بلغنى ان نفرا من قريش يخرجون الى هذا الموضع فيستشهدون جميعا فقال عقبة اللهم وانا منهم ۞ ثم ان عقبة بن نافع خرج من عند يزيد ابن معوية فى جيش على غزو المغرب فمر على عبد الله بن عمرو وهو بمصر فقال له عبد الله يا عقبة لعلك من الجيش الذين يدخلون الجنة برحالهم ۞ وقال ابو المهاجر فبلغ عقبة بن نافع فى غزواته

الى السوس الادنى والسوس الاقصى والبحر المحيط وادخل فيه فرسه حتى بلغ الماء لبب فرسه وانصرف الى افريقية فلما دنا منها تفرق اصحابه عنه فوجا فوجا فلما وصل الى مدينة طبنة اذن لساير من بقى معه وبقى في عدة يسيرة وقال في طريقه امرّ الى مدينة تهوذا والى مدينة باديس اعرف ما يكفيهما من العدة والجيوش وكانا في ذلك الوقت من اعظم مداين المغرب فلما انتهى الى مدينة تهوذا اعتمد كسيلة بن لهزم في جيوش الروم واقبلت اليه عساكر البربر وقد علموا بافتراق عساكر عقبة فزحفوا اليه فكسر عقبة واصحابه اجفان سيوفهم وقاتلوا حتى قُتلوا جميعا وقبر عقبة معروف بمدينة تهوذا ولما اراد معد بن اسماعيل بن عبيد الله تحريف قبلة مسجد القيروان وقلع من محرابه اجرّا وذلك سنة خمس واربعين وثلاث ماية بلغه ان اهل القيروان يذكرون دعاء عقبة للقيروان وتاسيسه جامعها وانهم يقولون ان الله عز وجل يمنعه منه بدعاء صاحب نبيه له فامر معد لعنه الله بنبش قبر عقبة واحراق رمته بالنار وبعث الى مدينة تهوذا لذلك خمس ماية بين فارس وراجل فلما دنوا من قبره وحاولوا ما امرهم به هبت ريح عاصفة ولاحت بروق خاطفة وقعقعت رعود قاصفة كادت تهلكهم فانصرفوا ولم يعرضوا له ۞ ومنها الى مدينة باديس مرحلة ومدينة باديس حصنان لهما جامع واسواق وبسايط ومزارع جليلة يزدرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سايحة كثيرة عندهم ومن باديس الى قيطون بياضة وهو اول بلد سماطة ومنه يفترق الطريق الى بلاد السودان والى اطرابلس والى القيروان الى مدينة نفطة مرحلتان وهي مبنية بالصخر عامرة اهلة بها جامع ومساجد وحمامات كثيرة وهي كثيرة المياه السايحة وشرب جميع بلاد قسطيلية

بوزن الا نعطة بان شربها جزاب وجميع اهلها شيعة وتسمى الكوبة الصغرى الى مدينة توزر وهى اخر افاليم بلد فسطيلية وفد تفدم ذكرها وبينها وبين بسكرة خمسة ايام ثم تسير منها الى فبصة مرحلتان ومن مدينة فبصة الى فج الحمار وبه فندن وماجل للماء الى الهروية وهى اخر فرى كورة فمونية الى مدينة مذكود وهى ام افاليم بلد فمونية بها جامع وحمامات واسوان ومساجد كثيرة وفنادن عدة وابار عذبة الماء بعيدة الرشاء وحولها ثمار كثيرة من جميع الاصناف اكثرها شجر التين وهو يعوف تين افريفية طيبا ومنها يحمل التين زبيبا الى الفيروان فيكون اعلى من ساير التين ثمنا واكثر طلبا وهى فى غابة من شجر التين لا تظهر لمن فصدها حتى يبلغها ومن مدينة مذكود الى جمونس الصابون فرية كبيرة اهلة وبها ابار عذبة وهى فى سند جبل حولها رمل كثير وشجر الزيتون وبها جامع وسوف عامرة وحمام وبيها فصر كبير وهو مخزن لجماعة اهلها وبها غدير ماء كبير ولها فرى كثيرة عامرة مبيدة الى فرية مجدول اهلة كبيرة ايضا مثل التى فبلها صبة ولها غدير يعرف بحيرة مجدول منه شربهم ولهم ابار كثيرة طيبة ومنها الى بنى دَعام فرية جامعة عامرة الى مدينة الفيروان وذلك من وهران الى الفيروان على فسطيلية ثلاث واربعون مرحلة ۞ ومن اراد الطريف من تنس الى تاهرت فمن تنس الى الغُزّة على ما تفدم الى تاجموت على مضيف مكناسة الى عين الصُبحى عين كبيرة فى سند جبل لمطماطة الى تاغريبت الى مدينة تاهرت ۞ ومدينة الخضراء على مغربة من تنس وهى مدينة كبيرة على نهر خرّار عليه الارحاء واذا حمل دخل المدينة وحولها بساتين كثيرة ويكتنفها من فبايل البربر مدغرة وبنو دَمّر ومديونة وبنو واريفن

وهى بين مدينة تنس ومدينة اغزر وقد تقدم ذكرها وهى افزّرنة متيجة ومدينة صطيف على مرحلتين من المسيلة تخرج من المسيلة الى غدير واروا يسكنه بنو يغمراسن من هوارة على عيون طيبة يعتدّون فى ستين الفا وقد تقدم ذكرها ومنها الى سطيف وهى مدينة كبيرة جليلة اولية كان عليها سور خربته كتامة مع ابى عبد الله الشيعى لانها كانت فى الاول لكتامة ثم غلبتهم عليها العرب فكانوا يعشّرونهم اذا دخلوها وهى اليوم دون سور لاكنها عامرة جامعة كثيرة الاسواق رخيصة الاسعار وبين سطيف والقيروان عشر مراحل وبينها وبين افزّرنة عشر مراحل ايضا ومدينة تاناجللت على مرحلة من مدينة صطيف وعلى مغربة من مدينة ميلة المذكورة قبل هذا وتانافللت مدينة لكتامة عامرة اهلة ليس بها مسجد وغدير واروا المذكور على مرحلتين من طبنة وبين تاناجللت ومدينة القيروان ثمان عشرة مرحلة وبين مدينة وهران وتلمسان ومرحلتان ۞

۞ ذكر مدينة تلمسان وما والاها الى المغرب ۞

وهى مدينة مسورة فى سفح جبل شجره الجوز ولها خمسة ابواب ثلاثة منها فى القبلة باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة وفى الشرق باب العقبة وفى الغرب باب ابى قُرّة وفيها للاول اثار قديمة وبها بقية من النصارى الى وقتنا هذا ولهم بها كنيسة معمورة واكثر ما يوجد الركاز فى تلك الاثار وكان الاول قد جلبوا اليها ماء من عيون تسمى لوريط بينها وبين المدينة ستة اميال وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الاوسط ولها اسواق ومساجد ومسجد جامع واشجار وانهار عليها الطواحين وهو نهر سطفسيف وهى دار مملكة زناتة

وموسطة قبايل البربر ومقصد لتجار الافاق ونزلهــا محمــد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن على بن ابى طالب ومن ولده عيسى ابو العيش بن ادريس بن محمد بن سليمــان الذى بنا جراوة وكان اميرها وبها توفى ولم تزل تلمســان دارا للعلمــاء والمحدثين وحملة الراى على مذهب ملك بن انس رحمه الله وفى الجنوب من تلمسان قلعة ابن الجاهل وهى قلعة منيعة كثيرة الثمار والانهار ويتصل بها جبل تارنى وهو وما يليه جبـال معمــورة الى مدينة تيزيل وهى اول الصحراء ومنها يسافر الى مدينة سجلماسة والى وارجلن والى القلعة وهى مدينة معمورة فيها اثار للاول وبها مسجد وفى الشمال من تلمسان منزل يسمى باب القصر فوقه جبل يسمى جبل البغل ينبعث من اسفله نهر سطفسيف ويصـــب فى بركة عظيمة من عمل الاول ويسمع لوقوعه فيه خرير شديد على مسافة ثم ينبثق منها بحكمة مدبرة الى موضع يسمى المهماز الى ولج الحنا الى جنان الحاج حتى يصب فى نهر اسّر ثم ينصبّ فى نهر تافنا وهو النهر الذى يصل الى مدينة ارشقول وهناك ينصب فى البحر وارشقول ساحل تلمسان وبين مدينة ارشقول وتلمسان فحص زبدور طوله خمسة وعشرون ميلا ومدينة ارشقول على نهر تافنَى يقبل من قبليها ويستدير بشرقيها يدخل فيه السفن اللطاف من البحر الى المدينة وبينهما ميلان وهى مسورة وبمدينة ارشقول جامع حسن فيه سبعة بلاطات وفى صحنه جب كبير وصومعة متقنة البناء وفيها حمامان احدهما قديم ولهــا من الابواب باب الفتوح غربى وباب الامير قبلى وباب مرنيسة شرقى محنية كلهــا عليها منافس وسعةُ سورها ثمانية اشبار وامنع جهاتهـا جوفيها وبها ابار عذبة لا تغور تقوم باهلها وبمواشيهم ولها ربض من جهــة القبلة

وكيلهم ستون مدا بمد النبى صلى الله عليه وسلم ويسمونه عورة ورطلهم اثنتان وعشرون اوفية ودرهمهم ثمانى خراريب والخروبة اربعة حبات وكان يسكنها التجار ونزلها عيسى بن محمد بن سليمان المذكور فبل هذا ووليها وتوفى بيها سنة خمس وتسعين ومايتين وولد له بيها ابراهيم بن عيسى الارشفولى ووليها بعده ابنه يحيى بن ابرهيم وهو الذى حبسه ابو عبد الله الشيعى سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة ويفابلها جزيرة بى البحر تسمى جزيرة ارشفول بينها وبين البر فدر صوت رجل جهير بى سكون البحر وهى مستطيلة من الفبلة الى الجوب عالية منيعة واليها لجا الحسن ابن عيسى بن ابى العيش صاحب جراوة وتخلى مما كان بيده لما غلبه على ذلك موسى بن ابى العابية على ما نبينه بعد هذا ان شاء الله تعالى بكتب موسى بن ابى العابية الى صاحب الاندلس عبد الرحمن ابن محمد يسئله نصرته عليه ويفرب له الماخذ واعانه على ذلك عبد الملك بن ابى حامة عند موسى بن محمد بن جُدَيْر بـامر عبد الرحمن اهل بجانة وغيرهم من اهل السواحل بافامة خمسة عشر مركبا حربية ثم جهزها بالرجال والسلاح والازودة والاموال باحاطت بهذه الجزيرة وفتلوا كثيرا ممن كان بيها وحاصروهم حتى كادوا يهلكون عطشا لما نبدت مياه جبابهم حتى تداركهم الله بغيث وابل بلم يطمع بيهم اهل الاسطول حين سغوا وانصربوا نافلين بوصلوا الى المرية بى شهر رمضان سنة عشرين وثلاثماية ثم ظبر البورى بن موسى بن ابى العابية بالحسن بن عيسى الذى لجا الى ارشفول وبعث به الى عبد الرحمن بن محمد سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة ۞

۞ ذكر الحصون التى بساحل تلمسان ۞

سوى مدينة ارشفول مدينة ءاسلن وهى شرقى ارشفول حصينة وهى مدينة قديمة عليها سور صخر وبها جامع وسوق يسكنهـا مغيلة ولها نهر يصب فى البحر من شرقيها يسقى منه بساتينهم وثمارهم وهى مقطوعة منحوتة السور من كل ناحية بنهر ولهـا عين تجرى بينها وبين البحر وكان عبد الرحمن افتتحها وبعث اليها محمدُ ابن ابى عامر حُميدَ بن يزل فبناها وجددها ۞

فاما الطريق من ارشقول الى القيروان فمنها الى مدينة اسلن ومن اسلن الى قصر ابن سنان مرحلة لطيفة ثم الطريق على ما تقدم من اسلن الى تاهرت اربع مراحل ومن تاهرت الى القيروان تسعة عشر ومنها الى حصن تانكرمت وهو ايضا على الساحل ستة اميال وله مزارع واسعة وبسايط خصيبة وعلى مرحلتين من اسلن مدينة فكّان بينهما نهر سى وعليه المنزل فى المرحلة الاولى ومدينة فكان كانت سوقا قديمة من اسواق زناتة فمدّنها يَعْلَى بن محمـد بن صالح اليفرنى وكان ابتداء تاسيسه لها سنة ثمان وثلاثين وثلاث ماية وارتحل اليها اهل المعسكر من اهل تاهرت ويلل وشاطى بنى واطيل ووهران وقصر الفلـوس فعمرت وتمدنت وعظمت وهى فى صفح جبـل اوشيلاس وهـو بجوبيها ولهذا الجبل شعراء غامضة وبقبليها نهر سيرة ومنبعثه من عيون بشرقيهـا عليه الارجـاء والبساتين من كلا ضفتيه وبغربى فكان اسفل بساتينهـا مجمع الاودية وادى سيرة ووادى سى ووادى هنت وعلى مدينة فكـان سور طوب وبها جامع وحمام وفنادق وبين هذا الحصـن وحصن مرنيسه البير ثلاثة اميال وهو حصـن حصين ومنه الى حصـن ابن زينى ثلاثة اميال ايضا ولهذا الحصن نهر كثير الثمـار ومن

بنى زبنى الى حصن العروس ميلان وهو على فنة جبل على ضفة البحر ومنه الى حصن الوردانية ميلان وهو مثله على جبل بساحل البحر ومن الوردانية الى حصن هُنَين اربعة اميال وهو على مرسى جيد مقصود وهو اكثر الحصون المتقدمة الذكر بساتين وضروب ثمر يسكنه قبيلة تسمى كومية وبين هذا الحصن ومدينة ندرومة الجبل المعروف بتاجره ومسافة ما بين الحصن والمدينة ثلاثة عشر ميلا ومدينة ندرومة هى فى طرف جبل تاجرا وغربيها وشماليها بسايط طيبة ومزارع وبينها وبين البحر عشرة اميال وساحلها وادى ماسين وهو نهر كثير الثمار وله مرسى مامون وعليه حصنان ورباط حسن مقصود يتبرك به اذا سرق احد فيه او اتى بفاحشة لم تتاخر عقوبته قد تعارفوا ذلك من بركته وحسن صنع الله فيه ومدينة ندرومة مسورة جليلة لها نهر وبساتين فيها من جميع الثمار وبين مرسى ماسين وترنانا عشرة اميال وهى مدينة مسورة ولها سوق ومسجد جامع وبساتين كثيرة وبينها وبين ندرومة ثمانية اميال ويسكن مدينة ترنانا فخذ من بنى دمر يسمون بنى يلول وكان بها عبد الله الترنانى بن ادريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم وعلى ساحل ترنانا حصن تاونت وهو حصن منيع فى جبل منيف قد احاط به البحر من ثلاث جهاته وله مرتقى وعر من ناحية الشرق لا يطمع فيه احد وينزله قبيل من البربر يعرفون ببنى منصور وفى جبل الحصن معدن الاثمد وله بساتين وشجر كثير يحمل من زبيب تينه الى ما يليه من النواحى وعلى هذا الساحل ايضا حصن ابى جنون وحصن كاربيوا ۞

۞ ذكر المراسى ۞

فاما اتصال المراسى من مرسى اسلن الى الشرق فادنى المراسى اليه مرسى الماء المدفون والسكنى منه على مغربة وله عيون ماء تسيل فى البحر وبينهما ثلاثة عشر ميلا ويقابله من بر الاندلس مرسى الراهب بينهما مجريان وثلث ويليه مرسى جبل وهران مرسى كبير مشتى من كل ريح بينهما ستة اميال ويقابله من بر الاندلس مرسى اشكوبرش المرسى القديم الذى نزله البحريون قبل نزولهم بجّانة وبينهما مجريان ونصف ويليه الى الشرق ايضا مرسى عين فرّوج وهو مرسى شتوى مامون وله ابار ماء والسكنى منه على مغربة وبينه وبين وهران فى البر اربعون ميلا ويقابله من بر الاندلس مرسى ءافلة وهو مرسى مدينة لورقة وبينهما ثلاثة مجار ويليه الى الشرق مرسى قصر الفلوس وهى مدينة على البحر غير مسكونة وفيها ماء مجلوب واحساء ماء ومرساها غير مامون ويوازيه من بر الاندلس مرسى قرطاجنة ويواليه مرسى مغيلة بنى هاشم وهو مرسى صيفى لايكنّ من ريح وله رباط على ضفة البحر مسكون وماؤه كثير وبينه وبين قصر الفلوس خمسة وثلاثون ميلا ويقابل من بر الاندلس قبطيل تُدْمير ويليه مرسى مدينة تنس وهو صيفى يكن بشرقيه وغربيه وله ماء معين بينهما مراس لطاب ويقابل مرسى تنس من بر الاندلس شنت بول ويلى مرسى تنس الى الشرق مرسى جزيرة وقور بينهما ازيد من عشرين ميلا وله نهر لطيف يصب فى البحر والجزيرة قريبة من البر ويقابل من بر الاندلس مرسى لقنت ويقطع البحر بينهما فى خمسة مجار ثم مرسى شرشال وعليه مُدينة عظيمة للاول غير مسكونة وله احساء ماء يكن بشرقيه

وغربيه ويقـــابل من بـر الاندلس مرسى مديرة بينهما خمســة مجار ونصف وكانت لمدينة شرشـــال مينى ارتدم وفيهـــا رباطات يجتمع اليها فى كل عام خلف كثير ويليه جبـل شنوه وله مرسى يسمى البطال وهو غير مسكون يكن غربيه وله ماء يسير ويقـابل من عدوة الاندلس جبل فرون بينهمـــا خمسة مجـــار ونصف ثم مرسى هور ثم الى انف القناطر وهناك اثار قناطر قايمة ثم الى مرسى الدبان ويليه مرسى جنايبة وله جزيرة وهناك مدينة للاول غير مسكونة لها نهر يريق فى البحر ويقـــابل من بر الاندلس مرسى دانية وبينهمـــا ست مجـار ويليـه مرسى الجزاير وتعرف بجزاير بـنى مزغنّى وقـــد تقدم ذكـــر مدينتها وهو مرسى مـــامون مشتى بين جزيرة سطفلة من الشرق الى الغرب وبين البر وبالمرسى عين عذبة ويقابـل من بر الاندلس مرسى بنشكله بينهمـــا ست مجـار ويـلى هذا المرسى من المراسى المشهورة مرسى الدجاج وهـو صيفى غير مامون ويقابل من جزيرة الاندلس جزيرة ميورقة ثـم مرسى مدينة بجاية ازلية اهلة عامرة باهل الاندلس بشرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة وهـــو مرسى مامون مشتى قد خـرج عن محاذاة جزيرة الاندلس ثم مرسى بونة مرسى مامون ومرسى بجاية هو ساحل قلعة ابى طويل وعلى هذا المرسى فى تلك الجبـــال قبايل كتامة وهى شيعة يكرمون من مـال الى مذاهبهم ويبرون من وافق اعتقادهم وجزيرة جوبة قبل مرسى بجاية ثـم يـــلى مرسى بجاية مرسى سبيبة وعلى مرسى سبيبة فى جبال كتامة عين الاوقات معروف اذا كانت اوقات الصلوات جرى المـاء فيه فاذا خـرجت الاوقـات قلص وانقطع ومن هذا المرسى تدخـل السفن الى جزاير العـافية ثـــم مرسى جيجل فيه اثار للاول وهـــو معمور اليوم وعلى هذه

المواضع كلها من جبال كتامة معادن النحاس ومنها يحمل الى افريقية وغيرها وبهذا الجبل حجر الازرود الطيب ومن هذا المرسى الى مرسى الزيتونة وقد تقدمت صفته وهذا المرسى اول حد الجبال التى تعرف بجبال الرحمن وهو جبل عظيم خارج فى البحر يقابل جزيرة سردانية وهو كثير الثمار والانهار يسكنه قبايل من كتامة وغيرها وفيه مزارع كثيرة ومراع مريعة ومنه يحمل عمود الخرط الى افريقية وما والاها وفيه اسواق كثيرة ومراس منها مرسى الخرّاطين ومرسى الشجرة وفى اخره مرسى الغلّ ومنه تسير الى مرسى استورة وهو مرسى مدينة تاسفدة وهى مدينة اولية قديمة فيها اثار للاول عجيبة ثم منه الى مرسى الروم وهو مشتى مامون الى جزيرة غمر الى مرسى تكوش مرسى مامون فيه قرى كثيرة يتصل به جبل كثير الفاكهة والخير ثم الى راس الحمراء ثم الى مرسى ابن الالبيرى ثم الى مرسى الخروبة ثم الى مرسى منيع وهو مرسى بونة وبغربه بير النثرة المذكورة وهى بير منقورة فى صخرة من عمل الاول على ضفة البحر اذا ارتج البحر وصل اليها ومن مرسى بونة تخرج الشوانى غازية الى بلاد الروم وجزيرة سردانية وكرسقة وما والاها ثم مدينة مرسى الخرز ثم مرسى طبرقة ويلى طبرقة من المراسى المشهورة مرسى قرطاجنة وبينهما من المراسى الصغار مرسى ابن ابى خليفة فقبالته جزيرة الاخوين ثم مرسى الروم ثم مرسى القبة هو مرسى بنزرت وعلى مغربة منه جزيرة قملارية منها يقطع قواطع الطير من الاندلس وغيرها الى بلاد الروم وهناك ترتقب سكون الريح لطيرانها فتستعلى على اوطانها ثم مرسى راس الجبل وهو مشتى مامون ثم مرسى الثنية ثم رباط قصر ابى الصقر وقبالته جزاير الكُرّاث التى قتل فيها زيادة الله عمومته واخوته ثم مرسى رباط قصر المجامين

ثم مرسى قرطاجنة ثم مرسى قصر الامير بينه وبين مدينة تونس
ثمانية اميال فى البر وهو متصل بهـــا فى البحيرة المحفورة وهذا
القصر على الخليج المحفور فى البحر الى مدينة تونس ثم مرسى كبير
يسمى رادس وقد تقدم ذكره وما ورد فيه عند ذكر مدينة تونس
ويلى مرسى تونس الى القبلة من المراسى الكبار مرسى سوسة وبينهما
من المراسى الصغار رباط الحمة ثم جون النخلة ثـم مرسى بونة فى
قبالته جزيرتان احداهما تعرف بالجـامور الكبير والاخرى بالجـامور
الصغير وهى اصغر ثم جبل ادار يظهر منه جبل صقلية وفى هذا
الجبل قوم متعبدون تخلوا عن الدنيـا وسكنوا فى هذا الجبل مـع
الوحش لباسهم البَردىّ وعيشهم من نبات الارض ومن صيد البحر
يتناولون من ذلك ما يكون بلغة لهم اذا جاعوا والدعوة من اكثرهم
مستجابة وهذا الجبل معروف بالتزام هولاء فيه منذ فتحت افريقية
ثم جون الملّاحة ثم مرسى مدينة اقليبية مدينة كبيرة اهـلة
ثم المرسى المدفون وهو بحر صعـب كثيرا ما تعطب فيه السفن
ثم مرسى مدينة ريهان ثم مرسى هرقلة ثـم مرسى قصر ابن عمـر
الاغلبى ثم مرسى مدينة سوسة ثم تسير من مرسى سوســـة الى
ناحية القبلة الى مرسى خنانص وهو مشتى عليه قصر كبير محرس
رباط ثم الى مرسى مَحْرِس المنستير وليـس بافريقية اجـل من هذا
المحرس وقد مضى ذكـره وبغرب هـــذا المرسى ملاحة لمطة وهى
ملاحة كبيرة وملحها لايعرفه ملح ومنها يحمل الى ما جاورها من
البلاد ثم الى مرسى قصر القوريتين وهما جزيرتان فى البحر كبيرتان
تشق السفن بينهما ومنهما الى مدينة المهدية والمهدية على ساحل
القيروان ومحط للسفن لمن قصدها من جميـــع الجهات فاما سلوك
السفن من المهدية الى الاسكندرية فمن مرسى المهدية الى مرسى

سنغطة وعليه فصر الى مرسى فبودية وهى فصور الى راس الجسر وهو اول القصير الى الزرفاء الكبيرة والصغيرة وهى جزيرتان من تحت الماء الى جزيرة فرفنة وهى جزيرة كبيرة بيها سبعة اجباب وبيها اثار قديمة ويدخل بيها اهل الساحل مواشيهم ويبذر اكثرها وهى قبالة مدينة سفاقس ثم الى راس الرملة ثم الى الجرب ثم الى قصر الروم وهو بحر ميت ثم الى مدينة قابس ثم الى جزيرة جربة وهى جزيرة معمورة يسكنها قوم من البربر خوارج وهى كثيرة الذهب وبينها وبين البر الكبير مجاز وهى اخر القصير الى الشرق واهلها غدّارون شرّار لاتومن ناحيتهم وطول هذا القصير في البحر نحو خمسين ميلا وفى داخل البحر من داخل القصير بنيسان من بنيان الاول بهو يسمى قُصير البيت وتجرى من قصير البيت الى الشمال نحو خمسين ميلا الى جزيرة نموشت وجزيرة انبدوشت ثم تخرج السفن من جزيرة جربة الى مرسى الاندلسيين ثم الى قصر الدّرن وهو بحر ميت ثم الى عَقْيبلات يدخل اليها في مجْله في البحر ثم الى جبل فنطبير ۞ وجبل فنطبير المتقدم الذكر هو موضع مخوف في البحر ثم الى مرسى مدينة اطرابلس ومرساها مامون جيد ولها دار صناعة للاساطيل ثم تخرج منه الى راس الشعراء ثم الى لبدة ثم الى راس فانان ثم الى قصر العبادى ثم الى سرت ثم الى اجدابية ثم الى اليهودية ثم الى حجر عبدون ثم الى عين ابى زياد ثم الى راس اوثان وفى راس اوثان قالة الشينى ثم الى سوسة برقة ثم الى شقّة العلعل ثم الى شقّة التيس ثم الى مرسى دَرْنى ثم الى مرسى تينَى ثم الى طُبُرن ثم الى جزيرة الغرشى ثم الى جزيرة الطرفا ثم الى جزاير الحمام ثم الى وادى ملالى الى راس الملاحة الى مرسى الزيتونة الى مرسى عمارة الى مرسى السُلّوم الى راس

العوسج الى الكنايس الى الشعر الى بوصير الى مينى الزجاج الى مينى الاندلسيين الى منار الاسكندرية ۞

۞ فاما سلوك السفن من الاسكندرية الى انطالية ۞

فانها تخرج من مدينة الاسكندرية الى بوقير ثم الى دمياط ثم الى بحيرة تنيس ثم الى جزيرة دبغوا وهي التى يصنع فيها الثيـــاب الدبيقية ثم الى تيدارميماس وفيها قصر مبنى للصحابة رضى الله عنهم ثم الى غزة ثم الى ملاحة الواردية ثـم الى عسقلان ثـم الى قيسارية ثم الى يافَ ثم الى راس الكرمان ثـم الى حيفى ثـم الى عكّى وفيها قنطرة مبنية للاول تدخل تحتهـا السفن بشرعها ثم الى مدينة صور وهي داخل البحر وهي ساحل بيت المقدس ثم الى صيدا ثم الى بيروت ثم الى اطرابلس الشام ثم الى اللادقية ثم الى انطاكية ثم الى انطالية ومن انطالية تدخـل الى الجزاير المولعـة بهذا مسلك المراكب من مدينة اصيـلى على التوالى الى هـــذا الموضع وقد بقى في اقاصى المغرب مراسى نذكرها ان شـــاء الله حتى نوصلها باصيلة ۞

اخبر موسى بن يوسف الهوارى ان بجزيرة آوَى مرسى مشتى على ضفة البحر وهذه الجزيرة تمشى منها الرفاق مواجهة للمشرق شهرين مشى الابل الى مدينة نول ومدينة نول اخر بلد الاسلام واول العمران من الصحراء وتسير السفن من ساحل نول الى وادى السوس ثلاثة ايام ثـــم من وادى السوس الى مرسى امغدول وهـو مرسى مشتى مامون وهو ساحل بلاد السوس ثم الى مرسى قوز وهو رباط يعمره الصالحون وهو ساحل اغمات ثم الى مرسى اسفى الى البيضاء وهو

راس جبل داخل في البحر ثم الى جزيرة بضالة وهو ساحل بلد
تامَسْنَى بلد برغْواطة ثم الى مرسى ماريين ثم الى وادى سـلَى
وهناك مدينة اولية اثارها قايمة تسمى شَلَّه وفي ناحية الشرق من
وادى سلى على البحر غار عظيم وفي اعلاه منافس كافواه الابار وظهر
الغار مزروعة ثم الى وادى سَبو ثم الى وادى سَبدد ولا يسكن
بوادى سبدد ابيضُ اللون الا اعتل وقل ما يسلم من علته وانما
يسكنه السودان واذا راوا رجلا ابيض اللون قد دخل عندهم
ينادى بعضهم بعضا ميز ميز ثم من وادى سبدد الى حوض
اصيلة ثم على ما تقدم ۞ قال ثم من مدينة ترفانا الى تاجريت
عشرة اميال وهي مدينة مسورة على ساحل البحر لها مسجد جامع
متقن البناء مشرف على البحر ولها اسوان جامعة وهي محط السفن
ومقصد لقوافل سجلماسة وغيرها ويسكنها من البربر مطغرة وهم
اعدل من هناك من قبايلهم وفي الشرق من تاجريت مدينة
مصكاك بينهما نحو ثلاثة اميال وهي مدينة مسورة على شاطى البحر
ذات بساتين وسوقهم بتاجريت وهي اقدم من تاجريت وانما
جدد مدينة تاجريت لحاج بن مرامر بعد العشرين والاربع مائة
وتاجريت ساحل مدينة وجدة بينهما اربعون ميلا ومن تلمسان
الى وجدة ثلاث مراحل فمن تلمسان الى الحمة ومن الحمة الى
قرية يسمى بالشهبا ومنها الى مدينة وجدة ومد وجدة يسمى
بالوجدات وهي مدينتان مسورتان احدث احداهما يَعْلَى بن بلجين
الورتغنيني بعد اربعين واربع مائة يسكن في المحدثة التجار وفيها
اسوان والجامع خارج المدينتين على نهر قد احدقت به البساتين
وهي كثيرة الاشجار والفواكه طيبة الغذا جيدة الهوا يمتاز اهلها
من غيرهم في نضارة الوانهم ونعمة اجسامهم ومراعيها انجع المراعى

واصلحها للظلف والحافر ينتهى شحم شاة من شياههم مايتى اوقية وعلى مقربة من تابحريت مدينة تابرجنّيت وهى ساحل جراوة وعلى مدينة وجدة طريق المارة والصادرة من بلاد المشرق الى سجلماسة وغيرها من بلاد المغرب والطريق منها الى سجلماسة تخرج من وجدة الى صاع وهى قرية ذات نهر وثمار ومزارع ومنها الى تاملت ومنها الى جبل بنى يرنيبيان ومنه الى فير ومنه الى الاحساء ومنها الى لامسلى ومنه الى دار الامير ومن دار الامير الى سجلماسة ۞

۞ والطريق من وجدة الى فاس ۞

تخرج منها ايضا الى صاع ومنها الى تابريدا ومنه الى مكناسة وهم اهل اخصاص ومنها الى عين الطين ومنها الى مدينة فاس فاما الطريق من وجدة الى مليلة فالى صاع ومنها الى اجرسيف مرحلة وهى قرية عامرة على نهر ملوية ياتيها من جانب مطغرة والمخاضة اليها من جهة القبلة ومن اجرسيف الى قلوع جارة وهى حصن منيع فى اعلى جبل لا متناول له ولا مطمع فيه ومنه الى مدينة مليلة وهى مدينة مسورة بسور حجارة وداخلها قصبة مانعة وفيها مسجد جامع وحمام واسواق وهى مدينة قديمة ويذكر ان بنى البورى بن ابى العافية المكناسى جددوها ويسكنها بنو ورتدى وهم يفترعون على من يدخل عندهم من التجار بمن اصابته قرعة الرجل منهم كان تجره على يده ولم يصنع شيئا الا تحت نظره واشرافه فيحميه ممن يريد ظلمه وياخذ منه الاجر على ذلك وياخذ منه الهدية لنزوله عنده وذكر محمد بن يوسف وغيره ان

عبد الرحمن الناصر لدين الله فتتحها سنة اربع عشـــرة وثلاث
مائة وبنى سورها معقلا لموسى بن ابى العافية وقال احمد بن محمد
ابن موسى الرازى يذكر ذلك

والملك النـــاصر دين الله   فيما يحوط الدين غير ساه
بـــنى لموسى عُـدّة مدينةْ   منيعـة شـــاهقة حصينـةْ
ذلّت لهـــا تاهرت والافارقة   ولم يطف بنيانها العمالقة

وكيلهم يسمونه المد وهو خمسة وعشرون مدا بمد النبى صـــلى
الله عليه وســـلم ورطلهم مثل رطل نكور اثنتان وعشرون اوقية
والاوقية خمسة عشر درها وقنطارهم من جميع الاشياء بهذا الرطل
والدراهم بها عدة قراريط كل قيراط خمســـة اثمـــان درهم ۞ ومن
المراسى مرسى مليلة وهو صيفى ويوازيه من بـــر الاندلس مـــرسى
مدينة شلوبينة وسنذكر اتصال المراسى من نكور ءاخذا الى الشرق
وما يحاذيها من مراسى الاندلس الى مرسى مليلة ومن مرسى مليلة
الى الشرق مرسى مدينة جراوة وهو مامون وله نهر يريق فى البحر
وبينه وبين جزاير ملوية فى البر ثمـــانية اميـــال ويقابله من بر
الاندلس فحجلة بينهما مجريان ويليه الى الشرق مرسى مجرود وهـــو
مرسى صيفى يكن بغربيه وفيه ابار وهو مسكـــون ويوازيه من بر
الاندلس مرسى دلاية بينهما مجريان ويليه الى الشرق مرسى ترنانة
وعليه سكنى وله ابار ماء وبينه وبين مرسى مجرود عشرة اميـــال
ويحاذيه من بر الاندلس مرسى مرية بجانة ويليه مرسى مدينة ارشقول
بجوفى هذا المرسى ويقابل هذا المرسى من بر الاندلس قابطة بنى
اسود بينهما مجريان ويليه الى الشرق اسلن ۞ فاما الطريق من
ارشقول الى القيروان فمنها الى مدينة آسَلَنْ ومن اسلن الى قصر
سنان مرحلة لطيفة ثـــم الطريق على مـــا تقدم ومن اسلن الى

تاهرت اربع مراحل ومن تاهرت الى القيروان تسع عشرة مرحلة ۞
ذكر بلد نكور وحدّه ينتهى من جانب الشرق الى زواغة جراوة
الحسن بن ابى العيش ومسافة ذلك نحو خمسة ايام ويجاورهم من
هاهنا مطماطة واهل كبدان ولمرنيسة الكُدْيةُ البيضاء وغساسة
اهل جبل هُرك وقلوع جارة التى لبنى ورتدّى وينتهى من جانب
الغرب الى قبيل من غمارة يعرفون ببنى مروان وبنى حُميد اليهم
تنسب الحميدية والى مَسَطّاسة وصنهاجة ومن ورائهم اوربة حزب
قرحون وبنو وليد ورتاتة اهل تابريدا وبنو يرنبيان وبنو مراسن
حزب قاسم صاحب صاع والكدية المعروفة بتاوررت والمراسى
المنسوبة الى نكور مرسى ملوية وهرك وكَرط ومرسى الدار واوفتيبس
من مراسى تمسامان وهو الجبل المعروف بابى الحسن الذى لجا اليه
بنو صالح ووادى البقر والمزمّة بينه وبين نكور خمسة اميال والمدينة
فى القبلة من المرسى ويقابله من بر الاندلس مدينة مالقة ويقطع
الغدير بينهما فى مجرى ونصف ومرسى باديس ومرسى بُقوية وبالش
مرسى صنهاجة وغيرها ۞ ومدينة نكور بين رواب منها جبل
يقابل المدينة يعرف بالمصلّى وبها جامع على اعمدة من خشب العرعر
وهو والارز اكثر خشبها ولها اربعة ابواب فى القبلة باب سليمان
وبين القبلة والجوف باب بنى ورياغل وفى الغرب باب المصلى وفى
الجوف باب اليهود وسورها من اللبن وبها حمامات كثيرة واسواق
عامرة معبدة وهى بين نهرين احدهما نكور ومخرجه من بلاد
كزنّاية من جبل بنى كَوين والثانى نهر غيس منبعثه من بلد
بنى ورياغل ومسافة مجرى كل نهر منها الى مصبه فى البحر مسيرة
يوم وبعض ثانى وعلى نهريه الارحاء ومن جبل كوين ايضا ينبعث
النهر المعروف بنهر ورغة وهو من مشهور انهار ارض المغرب ويجتمع

نهر نكور وغيس بموضع يقال له أكدال ثم يتشعب هناك جداول وفي طرف هذا الموضع رباط نكور وعلى نهر غيس بنا سعيد بن صالح مسجدا على صفة مسجد الاسكندرية بمحارسه وجميع منافعه وعدوة غيس هذه يقال لها تاكراكرى وهي منيعة وفيهما يتفانج كراع ءال صالح وبين مدينة نكور وبين البحر خمسة اميال وهو بجوفيها وهي كثيرة البساتين والفواكه لاسيما الكمثرى والرمان وقال ابراهيم بن ايوب النكورى

ايا املى الذى ابغى وسولى ودنياى الذى ارجو ودين
أُحرم من يمينك رىَّ نفسى ورزق الخلق في تلك اليمين
وتحجب عن جبينك لحظ طرفي ونور الارض من ذلك الجبين
وقد جبت المهامة من نكور اليك بكل ناجية امون

وكيل نكور يسمونه الصحفة وهي خمسة وعشرون مدا بمد النبى صلى الله عليه وسلم ويسمون نصف الصحفة السدس والرطل عندهم في جميع الاشياء اثنتان وعشرون اوقية وقنطارهم ماية رطل ودراهمهم عدد بلا وزن ۞ والذى اسسها وبناها سعيد بن ادريس ابن صالح بن منصور الحميرى وصالح هو المعروف بالعبد الصالح وهو الذى افتتحها زمن الوليد بن عبد الملك ودخل ارض المغرب في الافتتاح الاول فنزل مرسى تمسامان على البحر بموضع يقال له بدكون بوادى البقر وبين مرسى تمسامان ومدينة نكور عشرون ميلا وهو مرسى صيفي لا يكن ويقابله من بر الاندلس مدينة طونيانة وعلى يديه اسلم بربرها وهم صنهاجة وغمارة ثم ارتد اكثرهم لما ثقلت عليهم شرايع الاسلام وقدموا على انفسهم رجلا يسمى داود ويعرف بالرُندى وكان من نفزة واخرجوا صالحا من البلد ثم تلافاهم الله بهداه وتابوا من شركهم وقتلوا الرندى واستردوا صالحا فبقى

هنالك الى ان مات بتمسامان ودفن بغرية يغال لها افطى على شاطى البحر وفبره بها يعرب الى اليوم وكان له من الولد المعتصم وادريس امهما صنهاجية وعبد الصمد بولوا المعتصم بمكث بيهم يسيرا ومات بولى سعيد بن ادريس وهو الذى بنى مدينة نكور على ما تغدم وفد كان صالح بن منصور انزل نعرا من البربر موضعا يحاذى مدينة نكور ى الضبة الثانية من النهر وكانوا يغيمون هناك سوفا بنغلهم سعيد الى المدينة التى اسس وغزى المجوس لعنهم الله مدينة نكور سنة اربع واربعين ومايتين بتغلبوا عليها وانتهبوها وسبوا من بيها الامن خلصه العرار وكان بيمن سبوا امة الرحمن وخنعولة ابنتا وافب بن المعتصم بن صالح بعداهن الامام محمد ابن عبد الرحمن وافامت المجوس بمدينة نكور ثمانية ايام وفامت البرانس على سعيد بن ادريس وفدموا على انبسهم رجلا يسمى سكن وتالبوا عليه من كل جهة وغزوه ى عفر داره باظهره الله عليهم وهزمهم وفتل رءيسهم وافترن جمعهم ورجع من بغى منهم الى الطاعة ومات سعيد بن ادريس بعد ان ملكهم سبعة وثلاثين عاما وولى ابنه صالح بن سعيد وكان لسعيد من الولد منصور وجهود وصالح وزيادة الله والرشيد وعبد الرحمن الشهيد ومعوية وعثمان وعبد الله وادريس وكان عبد الرحمن بغيها بمذهب مالك وحج اربعا وعبر الى الاندلس للجهاد بفطع عليه ابن حبصون الطريف بفتل من كان معه وتخلص عبد الرحمن على برسه وحضر غزاة ابى العباس الغايد واستشهد بيها وفام على صالح اخوه ادريس ى بنى ورياغل وكزناية بالتغوا بجبل كزناية المعروب بكوين بانهزم صالح وانتهب ادريس معسكره واستمر الى مدينة نكور ليدخلها بامتنع عليه بخلب صالح بغال له ان صالحا فد فتل

بعال اذا صح عندى ذلك لم ادابعك بلما لم يجد عنده ما يريد
نزل الجبل المطل على المدينة واتى صالح بى جوب الليل بى خاصة من
احجابه بدخل المدينة ولما كان من الغد اقبل ادريس على برسه
وعليه درعه وهو لا يعلم بامر اخيه بادخلوه المدينة وارجلوه
بتيان صالح عن دابته واتوا به صالحا اخاه بامر يحبسه بى داره
ثم اشار عليه قاسم الوسنانى صاحب صاع والكدية بقتله [و] الح
عليه بى ذلك بامر الموالى بقتله بامتنعوا بامر بتى من بتيانه يقال
له عسلون بقتله وامتنعت مكناسة عن صالح وحبسوا مغارمهم
بكتب اليهم يوعدهم وختم الكتاب وادخله بى مخلاة وشدها على
حماره وبعثه مع ثقة من ثقاته وقال: اذا توسطت بلاد مكناسة
باترك الحمار بما عليه وانصرب بجعل باصابت مكناسة حمار صالح
وكان معروبا بينهم واخذوا المخلاة بلما قرءوا الكتاب ايتمروا
على عقر الحمار والتمادى على امتناعهم ثم انصرب رايهم الى جمع
ما كان عليهم لصالح بجمعوه وجللوا الحمار بملحبة مروية واتوا
صالحا بالحمار مجللا ومغارمهم موباة واستعتبوه باعتبهم ومات
صالح بن سعيد بعد ان ملك ثمانية وعشرين عاما بولوا ابنه
سعيدا وكان اصغر ولده بلما توطد له الامر واستوسق دخل
عليه عبيدهم الصقالبة بسالوه العتق بقال لهم انتم جندنا
وعبيدنا وانتم كالاحرار لا تدخلون بى المواريث ولاتجرى عليكم
المقاسم بما طلبكم للعتق بالحوا عليه بى ذلك بابى بناله منهم
جباء وغلظة وقدموا اخاه عبيد الله وعمه الرضا المكنى بابى على
وزحبوا بهما الى القصر بحاربهم سعيد من اعلى القصر بالبتيان
والنساء حتى انهزموا وقامت عليهم العامة باخرجوهم الى قرية
بون المدينة تعرب بقرية الصقالبة بتحصنوا بها سبعة ايام وحشر

سعيد فخرج اليهم وظفر بهم بعد حرب شديدة وكان الرضا عمه وصهره كانت ابنته طالت تحته فحبسه مع اخيه عبيد الله وقتل من خرج معهما من بنى عمه منهم الاغلب وابو الاغلب ثم وكل باخيه عبيد الله من اوصله الى مكة فاقام بها حتى مات فامتعض سعادة الله بن هارون وهو ابن عم الاغلب لقتل ابن عمه وقال قتل سعيد ابن عمى وابنى عمه واخاه وذنبهما واحد فالب عليه بنى يصلیتن اصحاب جبل ابى الحسن وعقد امره معهم وسعادة الله مع سعيد بنكور وهو لا يعلم فلما اعلن بنو يصلیتن بالخلاف على سعيد جمع اصحابه وخرج اليهم ومعه سعادة الله فلما التحمت الحرب تحيز سعادة الله فيمن تبعه الى بنى يصلیتن وخذل سعيدا فانهزم واخذت بنو يصلیتن بنوده وطبوله وقتلوا من مواليه نحو الف رجل واتوا مع سعادة الله حتى حاصروه بنكور فكانت لسعيد الكرة عليهم فهزمهم واسر ميمون بن هارون اخا سعادة الله وقتله وسار سعادة الله الى تمسامان وحرق سعيد دوره واخربها ثم صالح سعيدا فانصرف الى نكور وكان شجاعا بئيسا وخرج بعد ذلك فى خاصته الى بلاد بطوية وبنى ورتدى فادخلوه فلوع جارة ونهد بهم الى مرنيسة وزناتة فقتل واستفاد له جميع ذلك البلد وانصرف سعادة الله الى مدينة نكور فاقام بها مصافيا لسعيد ۞ تزوج احمد بن ادريس بن محمد بن سليمان ابن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن على بن ابى طالب اخت سعيد ام السعد بنت صالح وابتنى بها وسكن معها مدينة نكور الى ان مات ولما تغلب عبيد الله الشيعى كتب الى اهل المغرب يدعوهم الى الدخول فى طاعته والتدين بامامته فكتب بمثل ذلك الى سعيد بن صالح وكتب فى اسفل كتابه ابياتا كثيرة منها

فان تستفيموا استفم لصلاحكم   وان تعدلوا عنى ارى فتلكم عدلا
واعلو بسيفي فاهرا لسيوفكم   وادخلها عفوا واملوها فتلا

فاجاب رجل من شعراء الاندلس من اهل طليطلة امرة يوسف ابن صالح وتلفب بالاجمس وكان شاعر الصالح فى ذلك العصر بابيات كثيرة منها

كذبت وبيت الله لا تحسن العدلا   ولا علم الرحمن من فولك الفضلا
فما كنت الا جاهل ومنافق   تمثل للجهال فى السنة المثلا
وهمتنا العليا لدين محمد   وفد جعل الرحمن همتك السفلا

فكتب عبيد الله الشيعى الى مصالة بن حبوس عامله على تاهرت يامره بالمسير الى بلد نكور ومحاربة سعيد بن صالح فخرج مصالة لذلك من تاهرت فى غرة ذى الحجة سنة اربع وثلاث مائة فنزل من مدينة نكور على مسيرة يوم بموضع يفال له نسافت فخرج اليه سعيد بن صالح فحاربه ثلاثة ايام مكافيا له وكان مع سعيد رجل من شجعان البرابر واعلامهم يفال له جمد بن العياش من بنى يطوفت دعته نفسه الى ان يفصد محلة مصالة فيفتك به فوافى المحلة فى سبعة فوارس وافتحم على مصالة فتصايح الناس وكاثروهم فاخذ جمد اسيرا ومن معه فامر مصالة بضرب اعنافهم ففال جمد ليس مثلى يفتل فال مصالة ولم فال لانك لا تطمع بسعيد الا فى وعلى يدى فاستبفاه وفربه والطف مكانه حتى انس به ثم اعطاه فطعة من العسكر ففصد بها من جانب كان يعلم الغرة به حتى دخل عسكر سعيد من المامن ومن حيث لايظن فيعرف جمعه وغشى سعيدا ما لم يتاهب له وتتابعت عليه العساكر فنظر امرا لا يستطيع المفام عليه فبعث الى مدينة نكور فاخرج كل من كان فى فصره وما معهم وصاروا بجزيرة فى مرسى نكور ومعهم صالح بن

سعيد وادريس والمعتصم ابنا سعيد اخواه وظاهر سعيد بين درعين هو وبنيانه وخاصته وقاتل حتى قتل واستبيح عسكره ودخل مصالة مدينة نكور يوم الخميس لثالث خلون من المحرم سنة خمس وثلاث ماية وانتهب مدينة نكور وسبى النساء والذرية وبعث بالفتح الى عبيد الله وبعث براس سعيد بن صالح ومنصور ابن ادريس بن صالح وغيرهم من بنى صالح بن منصور فطيف بها فى مدينة القيروان ونصبت بمدينة رقادة وفى ذلك يقول ابو جعفر احمد بن المروذى فى ارجوزة له

لما طغى الارذل وابن الارذل فى عصبة من الطغام الجهل
قال نكور دون ربى معقلى اتاه مختوم القضاء الفيصل
من الاله كالحريق المشعل نحل ارضا طال ما لم تحلل
حطم اهل كبرها بالكلكل وجاء راس راسها المبذل
على القنا من الرماح الذبل ذو لمة شاعثة لم تغسل
ولحية غبراء لم ترجل

وركب من نجا من ذرية سعيد بن صالح واهله البحر من مرسى نكور ونزلوا مالقه وبجانة فامر عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله بانزالهم والتوسع لهم وحباهم بالكساء الرفيعة والصلات الجزلة وخيرهم بين المقام بدار مملكته او المقام بمالقة فاختاروا المقام بمالقة لقربها من بلدهم ورجائهم الفية اليه وتكرر مصالة فى البلد نحو ستة اشهر ثم استخلف عليه رجلا من اصحابه يقال له دلول وانصرف الى تاهرت فافترق عن دلول من كان معه من المشارقة وبقى فى قل من اصحابه فلما صحت الانباء بذلك عند بنى سعيد ازمعوا الانصراف الى بلدهم ثقة بمحبة رعيتهم لهم وميلهم اليهم فاتفقوا على ركوب البحر فى مراكب مختلفة فمن وصل منهم قبل

صاحبيه بالولاية له وهم ادريس والمعتصم وصالح بركبوا البحر من
ذلك الموضع في ليلة واحدة ووقت واحد وريح واحد بوصل
اصغرهم سنّا صالح بن سعيد الى مرسى نكور من ليلته واصبح له
بالمرسى المعروب بوادى البقر بتمسامان بتسامع البربر بقدومه
بتسارعوا اليه من كل جانب واتوه من كل جهة وعقدوا له الامرة
ولقبوه باليتيم لصغره وزحبوا الى دلول باخذوه وجميع اصحابه
بصلبوا اجمعين على ضبتى نهر نكور وكتب صالح بالبتح الى عبد
الرحمن بن محمد بقرئ كتابه بجامع قرطبة ونسخه في ساير بلاد
الاندلس وامر بامداد ال صالح بما يحمل من الاخبية الشريفة
والالة الحجيبة والكساء الرفيعة والسروج والحلى والبنود والطبول
والدروع وجميع السلاح حتى عوضهم الله عز وجل اكثر مما زال
عنهم بتوطد الملك لصالح بن سعيد واعتاق البحر اخويه شهرين
يترددان بيه ثم وصلا بعده الى نكور سالمين بسلما له الامر ومات
صالح بن سعيد بعد ان ملك عشرين سنة ولم يزل ال صالح في
السنة والجماعة والتمسك بمذهب مالك بن انس رضى الله عنه
وكان سعيد وابوه صالح يصليان بالناس ويخطبان ويحبظان
القران بولى الامير المويد بن عبد البديع بن صالح بن سعيد بن
ادريس بن صالح بن منصور بزحب اليه موسى بن ابى العابية
بحاصره حتى تغلب عليه بقتله واستباح المدينة وانتهبها وهدم
اسوارها وخرب ديارها ونسب اثارها وتركها بلاقع تسبى عليها
الرياح وتعاوى بيها الذياب وبلغ منها ما لم يبلغ بعضه مصالة بن
حبوس وذلك سنة سبع عشرة وثلاث ماية ثم ولى ابو ايوب اسمعيل
ابن عبد الملك بن عبد الرحمن بن سعيد بن ادريس بن صالح
ببنى المدينة القديمة التى اسسها صالح بن منصور وعمرها واعاد

السون فيها وسكنها الى سنة ثلاث وعشرين وثلاث مـــاية ففيهـا
اخرج ابو القاسم صاحب افريقية صندلا الفــتى الاسود الى ارض
المغرب مددا لمنصور الفتى اذ ابطا خبره عليه فخرج صندل من
المهدية في جمادى الاخرة سنة ثلاث وعشرين وثلاث ماية فوصل
جراوة للحسن بن ابى العيش فاستراح بها اياما ثم سار الى هَرّاس
وكتب الى اسمعيل بن عبد الملك صاحب نكـــور يامره بالقدوم
عليه وقد كان خرج من نكور وصار بقلعة اكرى فبعث اليه
رسلا وكتب انه في الطاعة فلم يرض صندل بذلك وبعث اليه رسلا
يستحثونه في المسير اليه فقتلهم اسمعيل عن اخرهم فلمـــا اتى
صندلا خبر قتلهم زحف الى قلعة اكرى فنزل قريبا منها بموضع
يقال له نسافت وهو الموضع الذى قتل فيه مصالة بن حبوس سعيد
ابن صالح فغلب صندل على القلعة بعد قتال ثمانية ايام ومعـارك
قتل في اخرهـا اسمعيل واكثر اصحابه وذلك يوم الجمعة في شوال
من السنة المذكورة وغنم صندل كل ما كان في القلعة من نسـاء
اسمعيل وقرابته واخذ له ولدين طفلين وولى على المدينة رجـــلا
من كتامة اسمه مُرْمازوا وصار الى صاحبه ميسور وهـو على فاس
يحاصرها وكان موسى بن المعتصم بن محمد بن قرة بن المعتصم
ابن صالح بن منصور وموسى هو المعروف بابن رومى بجبل ابى الحسن
مع بنى يصليتن فلما زال صندل تراجع اهـــل نكور وقدموا على
انفسهم ابن رومى وقتلوا مرمازوا وجميع من كان معه وبعثوا براس
مرمازوا الى امير المومنين عبد الرحمن بن محمـد وقـام على موسى
ابن رومى عبد السميع بن جرثم بن ادريس بن صالح بن ادريس
ابن صالح بن منصور فاخرجه من بلد نكور وذلك سنة اربع وعشرين
وثلاث ماية فصار موسى الى الاندلس ونزل بجانة باهله وولده ومعه

اخوه هرون بن رومى ونزل بمالقة ابنا عمه جرثم بن احمد ومنصور ابن الفضل ثم استدعى اهل نكور جرثم بن احمد بن محمد بن زيادة الله بن سعيد بن ادريس بن صالح فعبر البحر اليهم فولوه على انفسهم وذلك سنة ست وثلاثين وثلاث ماية وكان بها الى ذى الحجة سنة ستين وتوالت الولاية هناك فى بنى جرثم الى سنة عشر واربع ماية فغلبت عليهم ازداجة وانتقل بنو جرثم الى مالقة ثم انتقلت ازداجة الى بلدهم بناحية وهران ورجع بنو جرثم الى بلد نكور وهى مدينة المزمّة ثم غلب على بلد نكور يعلى ابن الفتوح الازداجى واخرجوا بنى جرثم من جميع بلاد نكور وهى اليوم بايدى ذرية يعلى بن الفتوح وذلك سنة ستين واربع ماية ۞

ويلى مرسى تمسامان المذكور الى الشرق مرسى كَرَط وهو غير مكن وفيه ابار بينهما خمسة عشر ميلا ويقابله من الاندلس مرسى قرية بُلّس ويقطع الغدير بينهما فى يوم وليلة ويليه الى جانب الشرق طرف هرك وبينهما عشرة اميال تشتى فيه المراكب الصغار وله احساء ويقابله من بر الاندلس مرسى شاط ويقطع الغدير بينهما فى مجرى ونصف ويليه الى الشرق جون بين طرف هرك ومدينة مليلة ويقابل هذا الجون من بر الاندلس مرسى المنكّب بينهما مجريان ويليه الى جانب الشرق مرسى مليلة ونهرها يريف فى البحر وبينه وبين طرف هرك مسيرة اميال ويقابله من بر الاندلس مرسى مدينة شلوبينية ۞

فاما الطريق من مدينة نكور الى مدينة القيروان فمن نكور الى بنى يصليتن على نهر تمسامان ومنها الى نهر كرط مرحلة ثم الى فلوع جارةٍ مرحلة الى وادى ملويه مرحلة الى مدينة جراوة مرحلة فذلك ست مراحل ثم الطريق كما تقدم ۞

وبجاور بلد نكور بلد غمارة فمنه مُجْكَسة وتنبّا بذلك الصفع ابو محمد حاميم بن من الله بن حَريز بن عمرو بن وجعوال بن وزروال الملقب بالمفترى وبلد مجكسة جبل حاميم المنسوب اليه وهو على مقربة من مدينة تيطاوان واجابه بشر كثير اقروا بنبوته وجعل لهم الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس وعند غروبها يسجدون على بطون اكفهم ووضع لهم قرءانا بلسانهم فمما ترجم منه. بعد تهليل يهللونه ۞ خُلّنى من الذنوب يا من يخل البصر ينظر في الدنيا خلنى من الذنوب يا من اخرج موسى من البحر ۞ ومنه ۞ امنت بحاميم وبابى خلف ۞ يريدون ابا حاميم وكذلك كان يكنّى ۞ وامن راسى وعقلى وما اكنّه صدرى وما احاط به دمى ولحمى وامنت بتانقيت ۞ وهى عمة حاميم اخت ابى خلف من الله وكانت كاهنة ساحرة وكانت لحاميم ايضا اخت تسمى دجّو وكانت ساحرة كاهنة من اجمل الناس وكانوا يستغيثون اليها فى كل حرب وضيق ويزعمون انهم يجدون نفعها وفرض عليهم صوم يوم الخميس كله وصوم يوم الاربعاء الى الظهر فمن اكل فيهما غرم خمسة اثوار لحاميم ووضع لجميعهم صوم سبعة وعشرين يوما من رمضان وابقى فرض صوم ثلاثة ايام والفطر الرابع وجعل عيدهم فى الثانى من الفطر وفرض زكاتهم العشر من كل شىء واسقط عنهم الحج والطهر والوضوء واحل لهم اكل لحم الخنازير وقال ۞ انما حُرّم ذكورها وذلك فى قرءان محمد ۞ صلى الله عليه وسلم وحرّم عليهم الحوت حتى يذكّى وحرم عليهم البيض من جميع الطير وانشد ابو العباس فضل بن مفضل بن عمر المذحجى لعبد الله بن محمد المكفوف الطنجى يهجو حاميم ويذكر فسقه

وقالوا افتراء ان حاميم مرسل اليهم بدين واضح الحق باهر

بغلت كذبتم بدد الله شملكم فما هو الا عاهر وابن عاهر
فان كان حاميم رسولا فاننى بارسال حاميم لاول كافر
رووا عن عجوز ذات افك بهيمة تفاوت فى اسحارها كل ساحر
احاديث افك حاك ابليس نسجها يسرونها والله مبدى السراير

وقتل حاميم المفترى بمصمودة الساحل من احواز طنجة سنة خمس عشرة وثلاث ماية وكان له من البنين محمد وبه كان يكنى وعبد الله وعيسى ودخل عيسى الاندلس زمن عبد الرحمن بن محمد ولعيسى فى بلادهم قدر ويعرف بابن المفترى وبنو وجفوال رهط حاميم ينزلون على نهر راس وهو على ثلاثة اميال من مدينة تيطاوان وكان فى بعض جبال مجكسة رجل من الكهنة المهرة يعرف بابن كُسية وكان اهل موضعه يسمعون منه ولا يعصونه طرفة عين واذا عصاه احد او خالفه حول كساه التى يلتحف بها فتصيب ذلك الرجل عاهة لحينه اوجايحة وان كانوا جماعة اصابهم مثل ذلك وكان يخيل اليهم كانّ برقة تلوح من تحت كسائه ولبنيه وعقبه حتى الان فى تلك الناحية منزلة ومرية وحظوة على سواهم ومن اعاجيب بلد غمارة امرء بوحلاوت وكان فى بنى شداد منهم وكان معه عدل مملوة برءوس الحيوان وانيابها من بريها وبحريها قد نظمها فى حبل واتخذها كالسبحة فاذا ساله احد عن شيء من الحدثان وما هو كاين علق منه ذلك السبحة وقلده اياها ثم قلقلها عليه واتنزعها وجعل يشمها قطعة قطعة الى ان تمسك فى يده ما امسك منها ثم طفق يخبره خبره وما الذى سال عنه ومما يدور له من مرض او موت او ربح او خسران او اقبال او ادبار او عبرة او غير ذلك فلا يكاد يخطى ومن اعاجيب بلد غمارة ان عندهم قوما يعرفون بالرقّادة وهم فى وادى لو عنده

بنى سعيد وعند بنى قطيطن وعند بنى يروتن يغشى على الرجل .
منهم يومين وثلاثة بلا يتحرك ولا يستيقظ ولو بلــغ به اقصى
مبلغ من الاذى ولو قطّع قطعا فاذا كــان بعد ثلاثة من غشيته
استيقظ كالسكران ويكون يومه ذلك كالواله لا يتجّه لشيء فاذا
اصح فى اليوم الثانى اتى بعجايب مما يكــون فى ذلك العام من خصب
او جدب او حرب او غير ذلك وهذا امر مستفيض لا يخفى واخبرنى
غير واحد انه راى بمرسى بادس رجلا قصير القامة مصفر اللـــون
يكرمه اهل ذلك الموضع ويقدمونه ويذكرون انـه ينبط الميــاه فى
المواضع التى لم يعهد فيها ماء عيونا وابارا وانه يخبر بقرب المـاء
وبعده وانه انما يستدل على ذلك باستنشاق هواء ذلك الموضـــع
لا غير والموارية عند اهل غمارة كلها متعارفة يفخر بها نسوانهم
وذلك ان الرجل اذا دخل بامراته البكر واربها شباب اهل ناحيتها
فاحتملوها وامسكوها عن زوجها شهرا واكثر ثـم يردونها وربمـا
فعل ذلك بها مرارا على قدر جمالها وبمقدار الرغبة فيهـــا تفضل
لذاتُها ولا يتم اكرام الضيف عندهم الا بان يونســــوه بنسائهم
الايامى منهن يبيت الرجــل مع ضيفه اخته الثيب او بنته او من
لم تكن ذات زوج من نسائه ولا يتركون ذا عــاهة يستقر ببلدهم
ويقولون انه يفسد النسل وهم يرغبون فى الرجــل الجميل الشجـاع
وهم مخصوصون بالجمال ولهم شعور يسدلونها كشعور النساء ويتخذونها
ضفاير ويطيبونها ويتعممون بها ۞

۞ ذكر مدينة سبتة ۞

وهى على ضفة البحر الرومى وهو بحر الزقاق الداخـــل من البحر

المحيط وهي في طرف من الارض داخل من الغرب الى الشرق نبيف جدا والبحر محيط بها شرقا وشمالا وقبلة ولو شاء ساكنوهـــا ان يوصلوه من ناحية الشمال لوصلوه فتكـــون جزيرة منقطعة وقد حفر من تقدم في ذلك الموضع نحـــو غلوتين وهي مدينة كبيرة مسورة بسور صخر محكم البناء بناه عبد الرحمن الناصر لدين الله وحماماتها يجلب اليها الماء على الظهر من البحر وبمدينتها حمام قديم يعرف بحمام خالد ولها ربض من جانب الشرق فيه ثلاثة حمامات وجامعها على البحـر القبلى المعروف ببحر بسـول له خمسة بلاطات وفي صحنه جبّان ولها مقبرة في الجبل ومقبرة اخرى بجوفيها على بحر الرملة واهلها عرب وبربر فعربها تنسب الى صدف وبربرها من ناحية اصيلة والبصرة ولم تزل دار عـــلم وفي شرقيها جبـــل منيف كان محمد بن ابى عامر ابتدا فيه بناء سور لم يتم وهذا الجبل مطل على الربض المذكور الذى فيه الحمامات وما بينها كروم ودار الامارة في جوفي المدينة وطولها من السور الغربي الذى يدخل منه المدينة قاطعا الى اخر الجزيرة خمسة اميال والمدينة في الجانب الغربي منها ولسورها الغربي تسعة ابراج والبـــاب في البرج الاوسط وبين يدى هذا السور سور لطيف يستر الرجـــل ويتصـــل به خندق عميق عريض عليه قنطرة خشب امامهـــا بستان وابار ومقبرة والسور القبلى على اجراف عالية والشرقي والجوفي فيه تطامن ولها باب ثانى مما يلى الجوف في برج يعرف ببرج سابق يدخل منه الى دار الامارة وذرع المدينة من الســور الغربي الى الشرقي الفـــان وخمس مائة ذراع وذرع مـــا يأخذه ثقاب الربض المتصـــل بالسور الغربي سبعة الاف واربع مائة ذراع وهي مدينة قديمة سكنها الاول وبها اثارهم بقايا كنايس وحمامات ومـــاؤه مجلوب من نهر اويات

مع ضبة البحر الغبلى ڢ فنا الى الكنيسة التى هى اليوم الجامع وكان صاحبها اليان وهو الذى اجاز طارق بن زياد واصحابه الى الاندلس ڢلما غزا عقبة بن نافع القرشى ارض المغرب وصار الى سبتة خرج اليه اليان بهدايا وتحف ورغب اليه ڢ الامان ڢامنه واقره ڢ موضعه ثم دخلها العرب بعد ذلك بالصلح وعمروها ثم قام عليهم برابر طنجة ڢاخرجوهم منها واقفروها ڢبقيت خرابا يعمرها الوحش مدة ثم دخلها رجل من غمارة يسمى ماجكس وكان مشركا ڢعمرها واسلم وراس ڢيها ثم وليها بعد هلاكه ابنه عصام ثم ابن ابنه مجبر بن عصام وڢى دولتهم دخلها قوم كثير من اهل قلسانة ايام الكحل ڢاشتروا من البربر وبنوا ڢيها واستوطنوها وكانوا مع ذلك يودون الطاعة الى قريش العدوة من الحسنيين حتى افتتحها عبد الرحمن الناصر لدين الله وواليها الرضى بن عصام بعد موت اخيه مجبر ودخلها عامله وقايده ڢرج بن عفير يوم الجمعة ڢ صدر ربيع الاول سنة تسع عشرة والمسلك من سبتة الى طنجة على طرق وهى مساكن قبايل مصمودة كلها ۞

۞ ذكر طنجة ۞

ڢاما كورة طنجة ڢهى مساكن صنهاجة وطريق الساحل من مدينة سبتة الى طنجة تخرج من المدينة ڢ بسيط تعمره نحو ميل ثم تدخل ڢ حد بنى سمغرة وهم اهل جبل مرسى موسى ثم تخرج الى وادى مدينة اليمّ والقصر الاول وبطون مصمودة تتشعب من اربع قبايل دغاغ واصادة وبنى سمغرة وكتامة وبطون صنهاجة تفترق من قبيلتين من قار بن صنهاج وحزمار بن صنهاج

و بى الفصر الاول سكنى بنى طريف وحوله غراسات كثيرة وتدخل المراكب بى هذا الوادى الى حايط الفصر وبين مخرج هذا الوادى وموفعه بى البحر نحو سكتين ومن سبتة الى هذا الفصر مرحلة ومن الفصر الى طنجة مرحلة فال محمد بن يوسب اذا خرج الخارج من طنجة الى سبتة بى البحر بانه ياخذ الى جانب الشرق واول ما يلفى جبل المنارة ثم مرسى باب اليم وهو غير مكن وبيه سكنى ورباط وواد لطيف يريف بى البحر وبين طنجة وبينه ثلاثون ميلا بى البر وبى البحر نصف مجرى ويفابل باب اليم من جزيرة الاندلس مرسى جزيرة طريف وبينهما ثلث مجرى ثم يلفى بعد باب اليم وادى زلول عليه ثمار وعمارة كثيرة ثم وادى باب اليم يصب بى البحر حوله بساتين وعليه سكنى وعمارة لمصمودة ثم حجر نابت بى البحر يعرب بالمخة ثم مرسى موسى وهو مرسى مامون مشتى الا من اللبش وبيه نهر يريف بى البحر وكان عليه حصن هدمه بنو محمد ومصمودة سنة اثنتين وثلاثماية ثم بناه امير المومنين الناصر بهدموا ايضا سنة اربعين وحول هذا الحصن بى غربيه فبايل من البربر بى ساحل رمل بيه ماء طيب وهو متصيد اهل سبتة وبين مرسى موسى ومرسى باب اليم بى البر ثمانية اميال وبازاء مرسى موسى من الاندلس مرسى بورت لب ويفطع الغدير بينهما بى نصف مجرى ومرسى موسى اكثر بفع الارض فردة وهى تحكى ما ترى من بعل من يمر بها من الناس باذا راءت النواتى يجذبون بى الفوارب اخذت عيدانا وجعلت تحكى عملهم ويليه مرسى جزيرة تورة وبى بره فرية تعرب بتورة بنسبت الجزيرة والمرسى اليهما وهى جزيرة بى البحر كهية جبل منفطعة من البر يفابلها بى البر على شاطى البحر اجراب عالية والمرسى بينها وبين تلك الاجراب ثم

مرسى بليونش وبليونش قرية كبيرة اهلة كثيرة الفواكه وبغربيها نهر يريف في البحر عليه الارحاء وبينه وبين مرسى جزيرة تورة في البر خمسة اميال ثم موضع يعرف بالقصر على خندق يجرى فيه ماء كثير في الشتاء ويقل في الصيف وبهذا القصر اثار للاول من اقباء وغير ذلك ثم موضع يعرف بماء الحياة عيون على ضفة البحر منبعة بين احجار من تحت شرف رمل طيبة عذبة يصل اليها الموج وينبط الماء العذب في هذا الرمل بايسر حفر ويذكر ان بهذا الموضع نسى فتى موسى الحوت ويوجد في ذلك الموضع خاصة دون غيره حوت ينسب الى موسى عرضه مقدار ثلثى شبر وطوله اكثر من شبر لحمه في احد جانبيه والجانب الاخر لا لحم فيه انما جلدته على الشوك ولحمه طيب نافع من الحصاة مقو للباه ثم مرسى لطيف يعرف بمرسى دنّيل بازائه في البر قرية تعرف بهوارة عامرة بها عيون عذبة ثم حجر نابت في البحر يعرف بحجر السودان ثم مدينة سبتة ۞ وطريق البر من سبتة الى موقع وادى المناول في البحر القبلى من سبتة ستة اميال ثم الى وادى نجروا ومخرجه من جبل ابى جميل وعليه مساكن بنى عبان بن خلف وعلى هذا النهر الموضع المعروف بالقصر وهو قصر للاول قايم فيه حمام وعلى هذا النهر اثار للاول كثيرة ثم الى نهر اسمير ومنبعثه من جبل الدرقة وجريته من الغرب الى الشرق وعلى ضفته قرارات لبنى كترات من مصمودة ثم الى الموضع المعروف بقَبْ مُنْت وهو الجبل الداخل في البحر بقبلى سبتة يسكنه ايضا بنو كترات وبنو سكين ثم الى نهر اليلى ومنبعثه ايضا من جبل الدرقة ثم الى موضع يعرف بتاورص قرية عبد الرحمن بن نحل من بنى سكين من مصمودة لها مزارع وارضون ثم الى مدينة تطاوان وهى بسفح جبل ايشقار وهو متصل

بجبل الدرفة ويبلغ الى جبل راس الثور الى مـــرسى موسى بالبحر الغربى ومدينة تطاوان على اسعـــل وادى راس وفال محـــد وادى مجكسة وهذا النهر يتسع هناك وتدخله المراكب اللطاب من البحر الى ان تصل تطاوان ومسافة ما بين البحر وبينهـــا عشرة اميال وهى فاعدة بنى سكين بهـا فصبة للاول ومنار وبهـــا مياه كثيرة سايحة عليها الارحاء وبجوبيها جبل يعرب ببلاط الشوك يركب لبنى سكين ماية بارس وبين مدينة تطاوان وجبل الدرفة سكة وهو فاعدة بنى مرزوف بن عون من مصمودة وسكناهم منه بموضع يفال له صدينة فرية ذات مياه ســـايحة وهى اطيب تلك البلاد مزارع وهذا الجبل بى غـاية المنعة وبى اعلاه مسارح واسعـة ومروج خصبة للماشية وهذه الفرية المذكورة بى فبـلى الجبل وبين الفبلة والغرب منه الجبل المنسوب الى حاميم المبترى المتفدم الذكر وجبل الدرفة يتصل ببلاد غمارة ويسكن اخره من غمارة بنو حسين ابن نصر ثـــم الى نهر راس ومنبعثه من موضع يعرب بتيطّسوان من جبل بنى حاميم ثـــم الى سوف بنى مغراوت وهو اخر بلد مجكسة بى غـرب راس ويجتمع هذا السوف يوم الثلاثاء وهى جامعة ثم الى بج الفرس وبـه فرارات لفبايل من مصمودة ويركب لهـم مايتا بارس ثـــم الى مدينة وينافام وهى كانت فاعدة جـــود بن ابراهيم وهى بى صبح جبل ولها ثمـــار ومـيـاه كثيرة وهى على نهر سسهور وهو بلد طيب ومنبعث سسهور من جبل تامورات وهـــو من مساكن متنة من صنهاجة وبين وينافام وجبل الدرفة ميلان وهو ما بين الغرب والفبلة من المدينة وهو الجبـــل الذى يمتنـع ببه صنهـاجة اذا خالبوا على الملوك وبجبل الدرفة يتصل جبـل حبيب بن يوسب البهرى وبين الدرفة وطنجة سكنان ۞

فمن الطريف من سبتة الى مدينة تيغيساس فالى وادى راس كما
تقدم ثم تدخل ارض غمارة فتسير فى بنى جعو ثم فى بنى نبغاوة
وهم من بنى حُميد من غمارة ايضا وهم على وادى لاو وهو نهر كبير
تجرى فيه السفن ولهم نتاج معروف وخيلهم معروفة بالحميدية
ثم الى بنى مسارة وهم السكان حول تيغيساس وهم ايضا من بنى
حميد ومن المواضع المشهورة والمنازل المعمورة ما بين سبتة وطنجة
نهر اليان وقصر اليان فيه اثار للاول كثيرة وفى غربى هذا النهر
موضع يعرف بكروشت وهو اخر غمارة ومصمودة ويتصل بهم هناك
متنة من صنهاجة ونهر الخليج وهو شرقى طنجة وموقعه فى البحر
تدخله المراكب وجبل راس الثور يسكنه قبايل كثيرة من
مصمودة ونهر مجاز الفروف نهر كبير جدا ونهر فرميول وعنصرة
من جبل عين الشمس وجبل مترارة وهو جبل وعر كثير الشجر
والمياه ومن هذا الجبل الى البحر المعروف بالزقاق وادى الرمل وهو
كثير الثمرة طيب المزارع وعين الشمس عين ثرة فى قرية نصر
ابن جرو عامرة اهلة بها جامع وبساتين كثيرة ويوم سوقها يوم
الجمعة ومن سبتة اليها مرحلة ويتصل بعين الشمس جبل تارمليل
قاعدة بنى راسن لها قرارات حسان وبساتين ومسجد جامع وهى
وسط بلد مصمودة وهذا الموضع يقابل تيطاوان ويتصل هذا
الجبل الى مدينة باب اليم الى البحر الغربى ومجاز فكان وهو موضع
ملوثة يركب لهم خمسماية فارس وهنالك الموضع المعروف بالرصافة
وكدية تافوغالت وفيها قرارات كثيرة لمتنة يركب منهما نحو
ثمانين فارس ونهر اوربة وعنصرة من قرية تعرف بالافولس وحواليه
ارضون كثيرة الربيع طيبة الزرع وهى قنبانية طنجة ومدينة
طنجة تعرف بالبربرية وليلى افتتحها عقبة بن نافع وقتل رجالها

وسبا من بها وهى على شـــاطى البحر المعروب بالزفاق مسورة متفنة البنـــاء وهى تحط للسفن اللطاب لان الريح الشرقية تودى بيه وهى طنجة البيضاء القديمة المذكورة بى التواريخ وبيها اثار للاول كثيرة قصور واقباء وغيران وحمام وماء مجلوب بى فنا ورخام كثير وصخر منجور وتحتفر خرايبها بيوجد بيها اصناب الجواهر بى قبور اولية وغيرها من المواضع وهى اخر حدود ابريقية بى الغرب وقيـــل ان عمل طنجة مسيرة شهـــر بى مثله وان ملوك المغرب كانت دار مملكتهم طنجة وان ملكا من ملوكهم كان بى عسكره ثلثون بيلا ومسافة ما بين مدينة القيروان وطنجة الب ميل وقد غلب على مدينة طنجة القديمة الرمل والعمارة اليوم بوقها وهنـاك جـامع حسن وسوق عـــامرة وبازاء طنجة بى البحر المحيط وازا جبـــل ادلنت الجزاير المسمـــاة فرطناتش اى السعيدة سميت بذلك لان شعراءها وغياضها كلها اصنـــاب البواكه الطيبة العجيبة دون غراسة ولا عمارة وان ارضها تحمل الزرع مكان العشب واصنـــاب الرياحين العطرة بـــدل الشوك وهى بغربى بلـــد البربر مفترقة متقاربة بى البحر المذكور ۞

۞ الطريق من مدينة طنجة الى مدينة باس ۞

من مدينة طنجة الى قلعة ابن خرّوب مرحـلة وهى مدينة كبيرة على ظاهر لها ثمر وشجر وهى كثيرة الزرع والضرع وهى لكتامة من بطون مصمودة وبغرب هذه القلعة قرية كبيرة لعرب خـــولان اهلة كثيرة الخير وهى على نهر زلول وهذا النهر تلقاه قبل الوصول الى قلعة ابن خروب وبالغرب منها ايضـا دمنة عشيرة بلد طيب

لصنهاجة ثم قرى متصلة لكتامة الى حاضرة سوق كتامى وهى قاعدة ادريس بن القاسم بن ابراهيم كبيرة شريفة على نهر واولكس لها سوق عامرة وجامع ثم تسير الى قصر دنهاجة وهو على تل وتحته نهر عظيم وفيه اثار للاول وبه كان ينزل ملوك المغرب فى قديم الدهر وجبل صرصر بقبلى هذا القصر ينزله بطون كتامة واصادة ثم تسير من هذا القصر الى مدينة البصرة وهى مدينة كبيرة واسعة وهى اوسع تلك النواحى مرعا واكثرها ضرعا ولكثرة البانها تعرف ببصرة الذبان وتعرف ايضا ببصرة الكتان كانوا يتبايعون فى بدء امرها فى جميع تجاراتهم بالكتان وتعرف ايضا بالحمراء لانها حمراء التربة وسورها مبنى بالحجارة والطوب وهى بين شرفين ولها عشرة ابواب وجامعها سبع بلاطات وبها حمامان ومقبرتها الكبرى فى شرقيها فى جبل ومقبرتها الغربية تعرف بمقبرة قضاعة وماء المدينة زعاق وشرب اهلها من بير عذبة على باب المدينة تعرف ببير ابن دلفاء وخارجها فى جنانها عيون كثيرة وابار عذبة ونساء البصرة مخصوصة بالجمال الفايق والحسن الرايق ليس بارض المغرب اجمل منهن قال احمد بن فتح المعروف بابن الخراز التاهرتى يمدح ابا العيش بن ابراهيم بن القاسم

فتن الاله اللهو الا فينة بصرية فى حمرة وبياض
الخمر فى لحظاتها والورد فى وجناتها والكشح غير مفاض
فى شكل مرئ ونسك مهاجر وعفاف سنى وسمت اباض
تاهرت انت خلية وبرية عوضت منك ببصرة فاعتاض
لا عذر للحمراء فى كلفى بها او تستبيض باحمر وحياض
ما عذرها والبحر عيسى ربها ملك الملوك ورايض الرواض

ومدينة البصرة محدثة ايضا اسست فى الوقت الذى اسست فيه

اصيلة او قريبا منه ومن مدينة البصرة الى نهر ردات مرحلة وهو في اصل جبل وفي اعلى الجبل مدينة تسمى كُرت وهي اليوم خربة ومن كرت الى موضع يقال له حنّاوة قال محمد جنيارة ويعرف بالجبل الاشهب وهي قرى كثيرة عامرة ومنه الى قرية صغيرة على نهر عظيم يسمى سبوا مرحلة ومنه الى مدينة فاس مرحلة ۞ ومن اخذ من طنجة على اصيلة فمن طنجة على مدينة اصيلة مرحلة ثم الى سوق كتامى المذكور قبل هذا ۞ ومن مدينة البصرة طريق اخر الى فاس فمنها الى وادى ورغة ثم الى مدينة ماسنة مرحلة وهي مدينة عيسى بن حسن الحسنى المعروف بالحجام وهي على نهر كبير ثم الى مدينة سداك في بلد مغيلة وهي قاعدة خلوف بن محمد المغيلى ثم الى مدينة فاس فذلك سبعة ايام ۞ ومدينة اصيلة اول مدن العدوة من جانب الغرب وهي في سهلة من الارض حولها رواب لطاف والبحر بغربيها وجوفيها وكان عليها سور له خمسة ابواب وجامعها خمسة بلاطات واذا ارتج البحر بلغ الموج الى حايط الجامع وسوقها حافلة يوم الجمعة وماء ابار المدينة شريب وبخارجها ابار عذبة بير عدل وبير السانية وابار كثيرة ومقبرتها في شرقيها ومرساها مامون والمدخل اليه من الشرق ويستدير بالمرسى من ناحية الجوف جسر من حجارة مخلوقة تكف عن السفن المرفاة فيها هيجان البحر ومدينة اصيلة محدثة وكان سبب بنيانها ان المجوس خرجوا في مرساها مرتين فاما الاولى فاتوا قاصدين وزعموا ان لهم بها اموالا وكنوزا فاجتمع البربر لقتالهم فقالوا لم نات بالحرب وانما لنا كنوزا في هذا الموضع فكونوا ناحية حتى نستخرجها ونشاطركم فيها فرضى البربر بذلك واعتزلوا وحفر المجوس موضعا فاستخرجوا دخنا كثيرا عفنًا

فنظر البربر الى صفرته فظنوه ذهبا فبدروا اليه وهرب المجوس الى مراكبهم واصاب البربر الدخن فندمــوا ورغبوا المجوس في الخروج واستخراج المال فابوا وقالوا قد نقضتم عهدكم فلا نثق بعذركم وساروا الى الاندلس فحينئذ خرجوا باشبيلية وذلك سنة تسع وعشرين ومايتين في ايام الامام عبد الرحمن بن الحكم واما خروجهم الثانى هنــاك فان الريح قذفتهم في ذلك المـــرسى من الاندلس وعطبت لهم على باب المرسى من ناحية الغرب مراكب كثيرة ويعرف ذلك الموضع بباب المجوس الى اليوم فاتخذ الناس موضع اصيلة رباطا فانتابوه من جميع الامصار وكانت تقوم فيه سوق جامعة ثلاث مرات في السنة وهو وقت اجتماعهم وذلك في شهر رمضان وفي عشر ذى الحجة وفي عاشوراء وكــان الموضع ملكا للواتة فابتنى فيه قوم من كتامة واتخذوه جامعا وتسامع الناس امرها من الاندلس واهل الامصار فقصدوها في الاوقـات المذكورة بضروب السلع وخيموا فيها ثم بنوا شيئًا بعد شيء فعمرت فقدمها القاسم بن ادريس بن ادريس فملكها وبنى سورها وقصرها وبها قبره ووليها ابراهيم ابنه ثم حسين بن ابراهيم ثم القاسم بن حسين ثم صار امرها الى حسن الحجام منهم حتى استولى عليهم ابن ابى العافية على ما تقدم وكـــان الحجام يستعمل عليها الولاة قالوا وتفسير اصيلة جيدة وبقبــلى اصيلة قبــايل لواتة وبنو زياد من هوارة زلول وبغربيها هوارة الساحل وغار كبير على البحر اذا مد وصل اليه وبين القبلة والغرب منها عين تعرف بعين الخشب ثرة وبقبليها خندق يعرف بخندق المعزة وخندق اخر يعرف بخندق السرادق وبغربيها خندق يعرف بتاشت فيه مراعى مواشي اهلها ۞ وكيلهم يسمى مدا وهو عشرون مدا بمد النبى صلى الله عليه وسلم مثل

العفقة القرطبية وكيل الزيت يسمونه قليلة وهى ماية واثنتا عشرة
اوقية وفى القنطار عشرون قليلة ۞ واصيلة بغربى طنجة واول
ما يلقى للخارج من مدينة اصيلة واديها وهو يخاض ثم مسجد عن
يمين الطريق ثم وادى نبرش يخاض ايضا وهى قرية اهلة عامرة
كثيرة الثمار والعيون وهى للواتة بينها وبين البحر قدر نصف ميل
ثم ساحل رمل ثم نهر كبير يعبر فى المراكب عليه سكنى اهل
تاهدارت وهى قرية كبيرة عامرة بها ملاحة ثم ساحل رمل ثم
بركة عذبة وهى بركة قدر مايتى ذراع فيها ماء عذب بينها وبين
البحر نصف ميل فى قبليها حجارة عالية يهب من هذه البركة
ريح عاصفة شديدة تؤذى المراكب وتقلبها اذا غفل ركابها ثم
ساحل يقابله بلد سطة ثم جرفة يصعد منها الى قرية كقمارية
بها يقطع الطواحن عامرة لصنهاجة ثم جبل اشبرتال داخل فى
البحر متصل بالبر فيه عيون عذبة ومسجد رباط وبين الجبل
ومدينة اصيلة ثلاثون ميلا واذا اخرمت المراكب من اشبرتال
بالريح الشرقية لم يكن لها بد من البحر المحيط الا ان تدور
الريح الغربية ويقابل جبل اشبرتال من الاندلس جبل الاغر على
سمت واحد ويقطع الغدير بينهما فى ثلثى مجرى بالريح القبلية
من ذلك البر ومن الاندلس بالريح الجوبية ثم تسير من هذا
الموضع الى موضع يعرف بالقالة ثم الى مدينة طنجة ومن جبل
اشبرتال الى مدينة طنجة اربعة اميال ۞

۞ الطريق من سبتة الى فاس ۞

من سبتة الى دمنة عشيرة المذكورة مرحلة ومنها الى موضع يعرف

بالكنيسة قرية معيدة على ظاهر لكتامة ثم الى وادى مغار لكتامة
ايضا قرار كبير بلد للزرع والضرع الى الحجر المعروف بحجر النسر
قاعدة بنى محمد في الغرب منه بلد رهونة وفي الشرق بنو فتركان
من غمارة وتفترق الطريق من الحجر فمن تيامن ياخذ الى افتس
مدينة حنون بن ابراهيم لكتامة وهي مدينة صالحة كثيرة الخير
وهي من الحجر غربا وهي على نهر واولكس المذكور قبل هذا وجريته
من الشرق الى الغرب وهو يلقيه عند افتس اليها ثم يهبط الى
مدينة سوق كتامى فيسمى هناك واولكس ثم الى مدينة تشومّس
مدينة ميمون بن القاسم وهي مدينة اولية عليها سور صخر كبيرة اهلة
كثيرة المياه والثمار ويسمى بذلك الموضع بسبدد ويتسع هناك وعليه
رباط يعرف برباط حارة الاحشيش وهي قرية اهلة يتصل بها حصن
حديد يعرف بحصن ابى شيار ثم تسير من افتس الى زنججوكة
مدينة ابراهيم بن محمد ومنها قام ابراهيم وبنوه وملكوا دار
طنجة الى حد سبتة وهي لزرهونة وبعدها مدينة بُجّاجين مدينة
جيدة معيدة على نهر عذب بها جامع واسواق وحمام ويعرف
بالجبل الاشهب وهو على نهر سوسف نهر كبير كنهر قرطبة وهي
من بلد جنيارة وفيهما عيون وهي لجنون بن محمد سكانها بنو
مسارة من مصمودة وبعدها مدينة اصادة فيها اثار للاول ذات
اعناب واشجار كثيرة وهي بقبلى بجاجين بينهما ستة اميال
ويجاورها على الطريق اربعة اصنام ثم تاتى مجاز الخشبة على وادى
ورغة في بلد شريف وقرارات كثيرة شبيهة بالمدن ثم قرى
متصلة اكبرها فرزاوة بنى حُصين الى بلد مغيلة فترقى عقبة
الابارق وتلقى حصن زالغ على يسار الطريق ثم قلعة ورطيطة ثم
حصن محلّى ثم قرية خندق سدّرواغ يفترق من هناك الطريق

الى كلتى عدوتى فاس وذلك من مدينة سبتة الى فاس ستة ايام ۞ وطريق اخر الى فاس من سبتة الى تيطاوان مرحلة اول ما يلقى الخارج من سبتة وادى اويات يجرى فى خندق عليه ارحاء شتوية وبينه وبين المدينة ميلان ومنه جلب البيان الماء الى سبتة على ازاج وبعضها قايم فى تلك الخنادق الى اليوم ثم الى وادى نكرة ثم الطريق كما تقدم من سبتة الى طنجة حتى تاتى فج العرس ثم الى فج الصارى بطرف جبل حبيب بن يوسف وهو جبل كثير العيون وبسند هذا الفج مما يلى الجوف حارة تعرف بمراد وبين هذا الفج ومدينة افتس مرحلة ثم من افتس كما تقدم انفا وبين الفج وافتس قلعتان احداهما قلعة ابن خروب المذكورة ۞

۞ ذكر مدينة فاس ۞

ومدينة فاس مدينتان مفترقتان مسورتان وبينهما نهر يطرد وارحاء وقناطر وعدوة القرويين فى غربى عدوة الاندلسيين وعلى باب دار الرجل فيها رحاه وبستانه بانواع الثمر وجداول الماء تخرق داره وبالمدينتين ازيد من ثلاث ماية رحا وفيهما نحو عشرين حماما وهى اكثر بلاد المغرب يهودا يختلفون منها الى جميع الافاق ومن امثال اهل المغرب ۞ فاس بلد بلا ناس ۞ وكلتا عدوتى فاس فى سفح جبل والنهر الذى بينهما مخرجه من عين غزيرة فى وسط مرج ببلاد مطغرة على مسيرة نصف يوم من فاس واسست عدوة الاندلسيين فى سنة اثنتين وتسعين ومائة وعدوة القرويين فى سنة ثلاث وتسعين ومائة فى ولاية ادريس بن ادريس ومات ادريس بمدينة وليلى من ارض فاس على مسافة يوم من جانب الغرب

وكانت وفاته سنة ثلاث عشرة ومايتين في شهر ربيع الاول ولعدوة
الاندلسيين من الابواب باب الفتوح قبلى منه يخرج الى القيروان
وباب الكنيسة شرقى يقابل ربض المرضى وباب ابى خلوف شرقى وباب
حصن سعدون جوفي وباب الحوض غربى يقـــابل عدوة القرويين
وباب سليمان مثله ومن هذين البابين يخرج اهل هذه العدوة
الى الحرب اذا كان بينهم اختلاف وتقوم الحرب حينئذ بموضع
يعرف بكدية الفول وباب الفوارة وبها جـــامع حسن فيه ستة
بلاطات طولها من الشرق الى الغرب وعدده ارجل كذان وله صحن
فسيح فيه اصول جوز وشجر وسافية تعرف بسـاقية مصمودة غزيرة
الماء وبهذه العدوة تفاح حلو يعرف بالاطرابلسى جليل حسن
الطعم يصلح بها وله غلة ولا يصلح بعدوة القرويين وسميد عدوة
الاندلسيين اطيب من سميد القرويين لحذقهم بصنعته وكذلك
رجال عدوة الاندلسيين اشجع وانجد من القرويين ونساؤهم اجمل
من نساء القرويين ورجال القرويين اجمل من رجـال الاندلسيين
ولعدوة القرويين من الابواب باب الحصن الجديد قبلى يخرج منه
الى زواغة وباب السلسلة شرقى يخرج منـه الى عدوة الاندلسيين
وباب القناطر شرقى وباب سياج يحيى بن القـاسم جوفى يخرج منه
الى النخاض والى وشتاتة ومغيلة وباب ســوق الاحد غربى يخرج
منه الى زواغة وبها جامع فيه ثلاثة بلاطات طولها من الشرق الى
الغرب بناه ادريس بن ادريس وله صحن كبير فيه زيتون وشجـر
وله سقايف وبها نحو من عشرين حماما وهى اكثر بساتين ومياها
وعدوة الاندلسيين يجرى المـاء عليهم اولا ويجود بهذه العدوة
الاترج ويعظم ولا يجود بعدوة الاندلسيين وكلتا العدوتين جليلة
الخطر عظيمة القدر وموقع وادى فاس بوادى سبوا وفى غربى عدوة

الغرويين في بلد مغيلة موضع يقال له السبج ساخ باهله ومن هذا الموضع انهزم البورى بن ابى العافية سنة احدى واربعين وثلاث ماية هزمه بنو محمد واحتووا على معسكره وبفهر فاس الحوت المعروف باللبيس كثير وقال محمد بن الخف المعروف بالبجلى

يا عدوة الغرويين التى كرمت لازال جانبك المحبور ممطورا

ولا سرى الله عنك ثوب نعمته ارض تجنبت الاثام والزورا

وانشد ابراهيم بن محمد الاصيلى والد الفقيه ابى محمد المفضل ابن عمر المذحجى

دخلت فاسا ولى شوق الى فاس والجبن ياخذ بالعينين والراس

فلست ادخل فاسا لو حييت ولو اعطيت فاسا بما فيها من الناس

وقال احمد بن فتح قاضى تاهرت في كلمة له

اسلح على كل فاسى مررت به في العدوتين معا لا تبقين احدا

قوم غذوا اللوم حتى قال قايلهم من لا يكون لئيما لم يعش رغدا

ومدهم يسع من الطعام ثمانين اوقية ومديهم يسمونه اللوح وفيه من هذا المد ماية وعشرون مدا وجميع الماكولات من الزيت والعسل واللبن والزبيب يباع عندهم بالاواق ۞ وحواليها من قبايل البربر ترهنة ومغيلة واوربة وصدينة وهوارة ومكناسة وزواغة ۞ ولما وصل موسى بن نصير الى طنجة مال عياض بن عقبة الى قلعة يقال لها سقوما على مقربة من فاس ومال معه سليمان بن ابى المهاجر وسالا موسى الرجوع معهما فابى وقال هولاء قوم في الطاعة فاغلظا له القول حتى رجع فقاتل اهل سقوما فكان لهم على العرب ظهور ثم تسور عليهم عياض بن عقبة من خلفهم في قلعتهم فانهزم القوم واشتد القتل فيهم فبادوا وقلت اوربة الى اليوم فذكر ابن ابى حسان ان موسى لما افتتح سقوما كتب الى

الوليد بن عبد الملك ان صار اليك بامير المومنين من سبى سعوما
ماية الف راس فكتب اليه الوليد ويحك اظنها من بعض كذباتك
فان كنت صادقا فهذا محشر الامم ۞ وفاس هى دار مملكة بنى
ادريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن ابى طالب
رضى الله عنه وكان نزول ادريس عند دخوله المغرب بوليلى
ووليلى وهى طنجة بالبربرية وذكر محمد ان وليلى على مسافة يوم
من فاس وفيها مات ادريس بن ادريس فهذه غير طنجة وهى بغربى
مدينة فاس مدينة عظيمة اولية فنزل على اسحق بن محمد بن
عبد الحميد الاوربى المعتزلى فتابعه على مذهبه وذلك فى سنة
اثنتين وسبعين وماية وخرج الى ماسنة فى شعبان سنة ثلاث
وسبعين وماية وخرج ايضا الى تازى وهو موضع من اعمال بنى
العافية يوجد فى جبل منه الذهب وهو اعتق الذهب واجوده
وكان خروجه اليها فى جمادى الاخرة سنة اربع وسبعين وماية
ومات بوليلى ۞ وذكر ابو الحسن على بن محمد بن سليمان النوفلى
عن ابيه وغيره فى خروج ادريس الى ارض المغرب غير ما ذكره
المورخون قال ان ادريس بن عبد الله انهزم فيمن انهزم من وقعة
حسين صاحب فخ وكانت وقعة فخ يوم السبت يوم التروية سنة
تسع وستين وماية فاستتر مدة والح السلطان فى طلبه فخرج به
راشد وكان عاقلا شجاعا ايدا ذا حزم ولطف فى جملة الحاج
متحاشا عن الناس بعد ان غير زيه والبسه مدرعة وعمامة غليظة
وصيره كالغلام يخدمه وان امره ونهاه اسرع فى ذلك فسلما
حتى دخلا مصر ليلا فبينما هما متحيرون يمشيان فى بعض طرقها
لاهداية لهما بالبلد اذ مرا بدار مشيدة يدل ظاهرها على باطنها
ونعمة اهلها فجلسا فى دكان على باب الدار فراهما صاحب

الدار بعرب بيهمـــا الحجـــازية وتوسم بي خلفتهمـــا الغربية بفال احسبكما غريبين فالا نعم فال واراكما مدنيين فالا نعـــم نحن كما ظننت باذا الرجل من موالى بنى العباس بفام اليه راشد وفد توسم بيه للخير بفال له يا هذا فد اردت ان الفى اليك شيـًا ولست افعل حتى تعطينى موثفا ان تجعـــل احدى خلتين اما اويتنا وتتفرب الى الله بالاحسان الينا وحبظت بينا نبيك محمدا صـلى الله عليه وسلم وان كرهت مـــا الفيته اليك سترته علينا باعطاه على ذلك موثفا بفال له هـــذا ادريس بـن عبد الله بـن حسن بن حسن بن على بن ابى طالـــب خرج من موضعه مـــع حسين بن على بسلـــم من الفتل وفد جيت به اريد بلاد البربر بانه بلد ناء لعله يامن بيه ويعجز من يطلبه بادخلهمـــا منزله وسترها حتى تهيا خروج ربفة الى ابريفية باكترى لهمـــا جمـلا وزودها وكساهـــا بلما عزم الفوم على الشخوص فال لهما ان لامير مصر مسالح لا يجوز احد الا بتنشوه وهاهنا طريف اعربها لا يسلكها الناس بانا احمل هذا البتى معى يعنى ادريس بي هـــذه الطريف الغامضة البعيدة بالفاك به يفول لراشد بي موضع كذا وهنالك تنفطع مسالح مصر بركب راشد بي احد شفى المحمل ووضع متاعه بي الشف الاخر ومضى مع الناس بي الفابلة وخرج الرجـــل على برس له وحمـــل ادريس على برس اخـــرى بمضى به بي الطريف الغامضة وهى مسيرة ايام حتى تفدم الربفة وافاما ينتظرانها حتى وردت بركب ادريس مع راشد حتى اذا فربا من ابريفية تركا دخولها وسارا بي بلاد البربر حتى انتهيـــا الى بلاد باس وطنجـة بافام ادريس بين ظهرانى البربر حتى انتهى الى الرشيد خبره بكربه وشكا ذلك الى يحيى بن خالد بفال انا آكبيك خبره يا أمير المومنين

فارسل الى سليمان بن حريز الجزرى وهو رجل من ربيعة وكان متكلما ممن يرى راى الزيدية وكان حلوا شجاعا احد شياطين الانس وكانت له امامة فى الزيدية اذ كان متكلمهم وهو الذى جمع الرشيد بينه وبين هشام بن الحكم حين ناظره فى الامامة فارغبه يحيى بن خالد فى مال ووعده عن نفسه وعن الخليفة بمواعد عظيمة ودعاه الى قتل ادريس والتلطف فى ذلك فاجابه فاعطاه مالا جزلا ووجه معه رجلا يثق به وبشجاعته ودفع الى سليمان فارورة فيها غالية مسمومة فانطلق مع صاحبه فلم يزالا يتغلغلان حتى وصلا الى ادريس وكان ادريس عالما بسليمان ورياسته فى الزيدية فلما وصل اليه قال انما جيتك وحملت نفسى على ما حملته عليه لمذهبى الذى تعرفنى به وان السلطان طلبنى هذا لمحبتى فى الخروج معكم اهل البيت فجيتك لامن فى ناحيتك وانصرك بنفسى فسره قوله وقبله واحسن مثواه واكرم نزله وانس به وكان سليمان يجلس فى مجالس البربر ويظهر الدعاء الى ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتج لاهل هذه المقالة كاحتجاجه بالعراق فاعجب ذلك ادريس منه فمكث عنده مدة وهو يطلب غرته ويرصد الفرصة فى امره ويرمق باب الحيلة عليه حتى غاب راشد مولاه غيبه فى بعض اموره فدخل عليه ومعه الفارورة فلما انبسط اليه وخلا وجهه فقال جعلنى الله فداك فى هذه الفارورة غالية حملتها معى وليس ببلدك من الطيب ما يتخذ هذا منه فجيتك بها لتتطيب بما فيها ووضعها بين يديه ففتحها ادريس وتغلف منها وشمها وانصرف سليمان الى صاحبه وقد اعدا فرسين قبل ذلك مضمرين فركباها وخرجا مركضين يطلبان النجاة فلما وصل السم الى دماغ ادريس وكان فى خياشيمه سقط مغشيا عليه

لا يعقل ولا يدرى من يختص به ما شانه فبعثوا الى راشد فجاء
مسرعا وتشاغل بمعالجته والتخبر في امره وقطع سليمان وصاحبه
على فرسيهما بلادا في مدة ذلك واقام ادريس في غشيته عامة نهاره
وعروقه تضرب ثم مات وتبين راشد امر سليمان بن حريز فركب
في طلبه في جماعة من اصحابه فجعلت الخيل تنقطع تحت اصحابه
ويتخلفون لشدة السير وحث الطلب حتى لحقه راشد فانحرف
اليه سليمان ليمنعه من نفسه فخبطه راشد بالسيف فكنع يده
وضربه بالسيف على وجهه وراسه ثلاث ضربات كل ذلك لا يصيب
مقتلا مع دفع سليمان عن نفسه وما كان عليه من الجنة وقام فرس
راشد لشدة حمله عليه ونجا سليمان بحشاشة نفسه وصاحبه قد
خذله فلم يغن عنه شيئا ولم يكن عنده الا الهرب ثم نزل
سليمان بعد ان امن الاتباع وعصب جراحه قال ابو الحسن النوفلي
فحدثني من راءه بعد قدومه العراق مكنعا وذكر احمد بن الحارث
ابن عبيدة اليماني نحو رواية النوفلي قال ان ادريس بن عبد الله
افلت من وقعة فخ فوقع بمصر وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح
ابن المنصور وكان يتشيع فحمله على البريد فوقع بارض طنجة
فوجه اليه الرشيد رجلا من مواليه يقال له الشماخ في هيئة
المتطبب وكان بادريس وجع يجده في اسنانه فوضع الشماخ في
ذلك الموضع ذرورا مسموما وخرج من ساعته فقتل السم ادريس
وطلب الشماخ فلم يظفر به حتى اتى الرشيد فولاه بريد مصر
وقال غيره انما امره ان يستعمل ذلك الذرور والسنون في السحر
وفر هو في جوف الليل قال محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم
الصحيح عندنا انه سمه في دلاعة قطعها بسكين قد سم احد
جانبيه فلما قطعها ناوله الذى باشر السم واكل هو الاخر وكان

واضح مولى صالح بن المنصور يميل الى ال ابى طالب فبلغ الرشيد ما صنع بادريس فامر بضرب عنقه وصلبه قال النوفلى وكانت مدة ادريس التى اجابته فيها البربر الى ان مات بوليلى سنة خمس وسبعين ومائة ثلاثة اعوام وستة اشهر وقال غير هولاء ان داود ابن القاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب هو الذى افلت من وقعة فخ وهرب الى المغرب وذرية داود هذا بفاس وبنو ادريس يناكحونهم وانصرف داود الى المشرق فانه انما فر حين خرج اخواه على المنصور قال على النوفلى اخبرنى عيسى بن جفون قاضى ارشقول لادريس بن عيسى ودخل الاندلس غازيا ان سليمان ابن عبد الله بن حسن بن حسن دخل المغرب ايضا ونزل تلمسان وبه كمل عدد ولد عبد الله بن حسن ستة لانهم محمد وابراهيم وادريس وعيسى ويحيى وسليمان كما ذكروا قال فولد سليمان بن محمد بن سليمان فمن ولده محمد ويحيى وسليمان كل قرشى فى القبلة قال النوفلى ومات ادريس ولا ولد له وجارية من جواريه حبلى فقام راشد بامر البربر حتى ولدت غلاما فسماه باسم ابيه ادريس وقام بامره وادبه واحسن تاديبه وكان مولده فى ربيع الاخر سنة خمس وسبعين ومائة وتوفى راشد سنة ست وثمانين ومائة ولهذا التبنى والاتصال قال محمد بن السمهرى يهجو القاسم بن ادريس بن ادريس

قل للزنيم زنيم طنجة عش بها لا يحسدنك فى بلادك حاسد

منّتك نفسك ان تكون خليفة هيهات هذا من حديثك بارد

لمّا رايتك لليمام مصافيا ايقنت حقّا ان جدّك راشد

وقيل ان راشد مولى عيسى بن عبد الله اخى ادريس بن عبد الله فقام بامر الغلام ابو خالد يزيد بن الياس واخذ بيعة البربر له

يوم الجمعة السابع من ربيع الاول سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن احدى عشرة سنة وقتل ابا ليلى المخف وهو القايم به وبابيه يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين ومـــاية وبعث راسه الى المشرق مع احمد وسليمان ابنى عبد الرحمن ثم نزل مدينة فاس فى عدوة الاندلسيين وافام بها شهرا وذلك سنة اثنتين وتسعين وماية وكانت عدوة القرويين غياضا فى اطرافها ابيات من زواغة فارسلوا الى ادريس فدخل عندهم فاسس مدينة القرويين سنة ثلاث وتسعين ثم خرج الى نفّيس فى المحرم سنة سبع وتسعين ثم غزا نفزة وتلمسان ورجع سنـــة تسع وتسعين وماية قال داود بن القاسم بن المخف بن عبد الله بن جعفر كنت مع ادريس بن ادريس فى المغرب فخرجت معه يوما الى قتال الخوارج فلقيناهم وهم فى ثلاثة اضعاف عددنا فقاتلناهم قتالا شديدا فاعجبنى ادريس ذلك اليوم وجعلت اديم النظر اليه فقال ويحك لمَ توالى النظر الىّ قلت لخصال اما اولها فانك تبصق بصاقا مجتمعـــا وانا اطلب قليل ماء ابل به حلقى فلا اجده قال ذلك لاجتماع قلبى وذهاب بصاقك لذهاب عقلك قال قلت والثانية لما ارى من منتك قال ان النبى صلى الله عليه وســـلم صلى علينا قلت والثالثة لما ارى من حركتك وقلة قرارك على الدابة قال ذلك زمع الى القتال فلا تحسبه رعبا وانا الذى اقول

اليس ابونا هاشـــم شـد ازره   واوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نملّ الحرب حـــتى تملنا   ولا نشتكى ما يوول من النصب

وتوفى ادريس بوليلى سنة ثلاث عشرة ومـــايتين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة بحبة عنب غص بها فـــلم يزل مفتوح الفم ســـايل اللعاب حتى مات وولد ادريس محمدا واحمد وعبيد الله وعيسى

وادريس وجعفرا وحمزة ويحيى وعبد الله والقاسم وداود وعمر وتولى
الامر بعد ابيه منهم محمد وفرق البلاد على اخوته برأى جدته
كنزة ام ادريس واخذ محمد بن ادريس مدينة فاس فرارا فولى
القاسم اخاه البصرة وطنجة وما والاها وولى عمر صنهاجة وغمارة وولى
داود هوارة تاسلمت وولى يحيى داى وما والاها وولى عيسى وازقّور
وسلى وولى حمزة الاودية بغرب وليلى وولى عبد الله لمطة وما والاها
وتصاغر الباقون من اخوته ان يقسم لهم فصاروا مع اخوتهم
فقام عليه عيسى اخوه صاحب وازقور ونكث طاعته فكتب الى القاسم
يامره بمحاربة عيسى اخيهما اذ كان يحاذيه في البلد فابى القاسم
من ذلك وخالف امر محمد فكتب محمد الى اخيه عمر بمثل ذلك
فاجابه وسارع الى نصرته وخرج يريد عيسى بمعسكره فلما قرب
من احواز فاس كتب الى محمد يستمده ومضى لوجهه فاوقع
باخيهما عيسى قبل لحاق مدد محمد واخرجه عن بلد وازقور
وهرب الى سلى ثم امر محمد اخاه عمر بمحاربة القاسم اخيهما
فحاربه وتغلب على ما كان بيده فتزهد القاسم وبنى مسجدا على
ضفة البحر باصيلى ولزمه وتوفي عمر بن ادريس بغرب ذلك ببلد
صنهاجة بموضع يقال له الفرس وكان منيته له ونقل الى مدينة
فاس فدفن بها وهو جد الحمّوديين القايمين بالاندلس على ما
نذكره بعد هذا ان شاء الله ثم هلك محمد بن ادريس وولى الامر
بعد محمد ابنه على باستخلافه له ثم هلك فولى الامر بعده ابن
اخيه يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس ثم ان يحيى بن يحيى
دخل على يهودية في الحمام يقال لها حنّة وقد راودها على نفسها
فتغير عليه اهل فاس ووثب عبد الرحمن بن ابى سهل الجذامى وهو
جد احمد بن بكر بن عبد الرحمن الذى هو صاحب فاس

ڢاخرجه من مدينته ڢاس ڢهرب الى عدوة الاندلسيين ڢمات بها من ليلته وكانت زوجة يحيى بن يحيى هذا عاتكة بنت على ابن عمر بن ادريس ڢلم تخرج مع زوجها يحيى بن يحيى ڢاتى على ابن عمر ابوها بجنده ڢدخل عدوة القرويين وملكها وانتقل الامر عن بنى محمد بن ادريس الى بنى عمر بن ادريس ثم ٯام على بن عمر عبد الرزاق الخارج وكان صفريا ويقال انه من ثغر الاندلس وكان قيامه من جبل مديونة وهو بقبلى ڢاس ڢدارت بينهم حروب كانت الدبرة ڢيها على على ڢهزمه الخارج واخرجه عن مدينة ڢاس ڢفر على الى بلد اوربة واجاب عبد الرزاق اهل عدوة الاندلسيين ولم يجبه اهل عدوة القرويين وبعثوا الى يحيى بن القاسم الذى يعرف بالعدام ڢولوه على انڢسهم ڢلم يزل بها حتى قتله ربيع بن سليمان ڢى سنة اثنتين وتسعين ومايتين ڢتقدم يحيى ابن ادريس بن عمر بن ادريس الى مدينة ڢاس ڢدخلها ورجع الامر الى بنى عمر ڢلم يزل بيد يحيى الى ان ٯدم مصالة بن حبوس سنة سبع وثلاث ماية على ما ذكرنا قبل هذا ڢلما اجلى بنى صالح عن بلد نكور وتقدم الى مدينة الزيتون وهى كانت قاعدة يحيى ابن ادريس بن عمر قبل دخوله ڢاس وكانت مويله الذى يعتمد به ويعول عليه خرج اليه يحيى مدافعا له ڢانهزم يحيى وانفض جمعه ولم تقم له قايمة بعد الى ان هلك سنة اربع وثلاثين وثلاث ماية وكان هلاكه بالمهدية ايام حصار ابى يزيد لها وكان اعلى بنى ادريس قدرا بالمغرب لم يبلغ احد منهم مبلغه قال النوفلى وكان مصالة بن حبوس لما قدم المغرب حركته الاولى سنة خمس وثلاث ماية ابتدى موسى بن ابى العافية بالاحسان وقدّمه ڢى المغرب وكان موسى كلما رجا بالظهور عزه يحيى بن ادريس

وقطع به عن امله فلما رجع مصالة بن حبوس الى المغرب ثانية سنة عشرة وثلاثماية سعى موسى بيحيى عنده فاجمع مصالة على القبض عليه وطمع فيما له وما عنده فلم يزل يتحيل له حتى اقبل الى معسكره فقبض عليه وانتزع جميع ما اتى به وامره باستجلاب ما عنده من الاموال فاحضره مالا عظيما واخرجه عن بلده وصار ما كان بيده من البلدان الى حسن بن محمد الحجام والى موسى بن ابى العافية قال القاضى محمد بن عمر الصدفى لما اجلى مصالة بن حبوس يحيى بن ادريس الناشئ به الحال وانفض جمعه ومن كان معه ثم اخذه بعد ذلك موسى بن ابى العافية فخرب مدينته وسجنه دهرا طويلا بمدينة لكاى ثم اطلقه ثم نزع بنفسه الى اصيلى وسكنه واقطعه بنو ابراهيم شيًا يقوم منه معاشه قال وكان ابوه ادريس قد دعا الله بان يميته الله بارض غربة جوعا فلما كان فى سنة احدى وثلاثين وثلاث ماية توجه نحو المهدية بوافق قيام ابى يزيد وفعل الشيعة بانفسهم فلم يصل اليهم ومات جوعا فى حصار ابى يزيد ۞ وقدم مصالة بن حبوس على فاس ريحان بن على الكتامى وذلك سنة سبع وثلاث ماية فاقام بها الى سنة ست عشرة وثلاث ماية فقام حسن بن محمد بن القاسم بن ادريس الذى تعرف بالحجام فنفاه ودخلها وملكها عامين ۞ وانما سماه حجاما عمه احمد بن القاسم بن ادريس الكرتى وذلك انه جرى بينهما امر افضى بهما الى الاختلاف والتدابر حتى زحف كل واحد منهما الى الاخر فالتقيا بموضع يعرف بالمدالى من بلد صنهاجة فحمل حسن على غلام لعمه فدعسه بحربة اثبتها فى مكان المحجم فاخبر عمه بفعله ثم شد على اخر فاصابه فى ذلك الموضع وقيل لاحمد ايضا وضرب ثالثا فوافق ذلك

الموضع فقال احمد صار ابن آى حجّاما فلزمه ذلك ولذلك قال شاعر من شعرائهم

وسميت حجاما ولست بحاجم ولاكن لضرب فى مكان المحاجم

وكان حسن الحجام فى اخر بلد المدائن يملك فاسا فاوقع بموسى ابن ابى العافية رجلٍ من روساء البربر وقعية شنعاء لم يكن بالمغرب بعد دخول ادريس فيه اعظم منها اجلت هزيمته له عن ازيد من الفى قتيل وقتل فى جملتهم ابنا لموسى يسمى منهل فغدرة على اثر ذلك بفاس حامد بن حمدان الهمدانى ويعرف باللوزى نسب الى قرية بافريقية فحبسه عند نفسه واغلق ابواب المدينة دون عسكره وذلك كان شان اهل فاس لا يتركون عسكر رئيس يدخل مدينتهم فلما صار فى سجن حامد ارسل الى موسى بن ابى العافية فاتاه ودخل فاسا وتغلب على عدوة القرويين. وتغلب بعد ذلك على العدوة الاخرى ثم جعل يلحف على حامد فى قتل حسن الحجام بابنه منهل وحامد يدافعه عنه ويكره المجاهرة بقتله فسمه حامد واخرجه على السور ليلا فسقط عنه واندلقت ساقه وجاز الى عدوة الاندلسيين فمات بها وقتل موسى عبد الله بن ثعلبة بن محارب الازدى وقتل معه ابنيه محمدا ويوسف وهرب ابنه محارب ابن عبد الله فلحق بقرطبة وقيل بالمهدية واراد ايضا قتل حامد ابن حمدان الهمدانى فهرب الى المهدية واستولى موسى بن ابى العافية على جميع المغرب واجلى ال ادريس اجمعين عن مواضعهم وانحاشوا عن البلد وصار جميعهم فى حجر النسر مقهورين وهو حصن بناه ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس سنة سبع عشر وثلاثماية واعتزم موسى على محاصرتهم واستيصالهم حتى عذله فى ذلك اكابر اهل المغرب وقالوا قد اجليتهم وافقرتهم

اتريد ان تقتل ال ادريس اجمعين وانت رجل من البربر فانكسر
عن ذلك ولاذ عنهم بعسكره وتخلف لمرافقتهم ومنعهم من
التصرف فايدا جليلا كان عنده يكنى ابا فتح فكانت محلة ابى
فتح بتاوينت واستخلف موسى ابنه مدين بفاس حتى قدم حُميد
ابن يصلى فى سنة احدى وعشرين وثلاث ماية الى المغرب ومعه
حامد بن حمدان الهمدانى فلما ايقن مدين بقدومهما هرب من
فاس وولى حميد حامدا على فاس وتظاهر بنو ادريس على ابى فتح
فهزموه وغنموا اكثر عسكره قالوا فبذلك سموا ذلك الموضع
الكوم وتعالوا به وجعلوه شعارا بينهم ووثب بفاس احمد بن بكر
ابن عبد الرحمن بن ابى سهل الجذامى فقتل حامدا وبعث براسه
وولده الى موسى بن ابى العافية فبعث بهما موسى الى قرطبة مع
سعيد بن الزرّاد وكان صار حميد بن يصلى عن موسى وعن
المغرب بغير عهد فهو كان سبب سجنه بافريقية حتى هرب الى
الاندلس ۞ ثم قدم ميسور الفتى الى المغرب فى سنة ثلاث وعشرين
وثلاث ماية على ما تقدم قبل هذا فخرج احمد بن بكر صاحب
فاس يومئذ الى معسكره فحبسه ميسور ووجه به الى المهدية
فقدم اهل فاس على انفسهم حسن بن قاسم اللواتى وحارب ميسور
مدينة فاس سبعة اشهر ثم قفل عنهم فلم يزل حسن واليا عليها الى
ان قدم احمد بن بكر منطلقا من المهدية فتخلى له حسن عما
كان بيده وذلك سنة احدى واربعين وثلاث ماية ولما ورد
ميسور الى المغرب حاصر موسى بن ابى العافية وتولى معاظم تلك
الحروب بنو ادريس حتى جلى موسى بن ابى العافية الى الصحراء
وصار ما كان بيده الى ال ادريس والرياسة منهم فى بنى محمد
ابن القاسم بن ادريس بن ادريس وهم حسن وجنون وابراهيم بنو

محمد بن القاسم وكان محمد متخلفا فى اخوته وعشيرته لا قدر له
ثم صارت النباهة والقدر لبنيه وابراهيم بن محمد هو المعروف
بالرهونى وكان الذى يلزم صخرة النسر منهم جنون وحنون
ابنا ابراهيم واسم جنون القاسم ولمحمد بن الخف الشاعر المعروف
بالنحيلى فى جنون هذا اهاج كثيرة مقذعة وذلك انه غلب
على ام ولد كانت له فهويها جنون وصارت عنده فاستعان عليه
بابن عمه احمد بن القاسم بن ادريس فكتب اليه يرغب ان يصرفها
اليه واعلمه بما يلحقه فى فعله من قبح الاحدوثة فلم يلتفت الى
مقالته ولا انتفع محمد بن الخف بشفاعته فاستاذن محمد بن الخف
احمد بن القاسم فى هجائه فاذن له فى ذلك وعاهده ان لا يرى منه
على هجائه له مكروها ابدا فمما هجاه به

اترى سلاحك اذ كدتك قصيدتى ينغيه سيل قد طما من سبدد
او بحر طنجة فى عصوفات الصبى . . . . .فردد
او نيل مصر اذا ارتمى اذيه تعلو سواحله بموج مزبد
جنون يزعم انه متلوط وهو المنيك اذا خلا بالامرد
ابنى محمد الزنيم لانتم شر الورى ممن يروح ويغتدى
ان كان جنون من ال محمد فانا كفور بالنبى محمد

وقد ذكرنا خبر سبدد واختلاف اسماء هذا النهر باختلاف
المواضع فاما قوله ۞ اوبحر طنجة فى عصوفات الصبى ۞ فان الريح
الشرقية تؤذى فيه اشد اذاية وكذلك فى حربيه ۞ وكان اعلى
بنى محمد كلهم ابدا ابو العيش بن جنون بن محمد وكان له من
البلد ما بين اجاجن وهو بقبلى حجر النسر الى مدينة فاس
وكان احمد بن ابراهيم بن محمد عالمهم كان يحفظ السير والتواريخ
وكان نسّابة عاقلا حليما وكان مبجلا لعلمه وكان يعرف احمد

الفاضل وكان له ما جرّ من اجاجن الى مدينة سبتة وكان شديد الميل الى خلفاء بنى امية وكثير التشيع فيهم وهو الذى استشار محمد بن عبد الله بن ابى عيسى قاضى الجماعة فى سنة اثنتين وثلاثين فى دخول الاندلس والغزو مع امير المومنين عبد الرحمن فلما اعلم عبد الرحمن بذلك امره بمخاطبته واستحثاثه فى القدوم وان يعلمه انه لا ينزل محلة من الاندلس ما بين نزوله بالجزيرة الخضراء الى نزوله بمحلة بلاط حميد من اقصى الثغر وذلك ثلاثون محلة الا امر امير المومنين ببنيان قصر فى كل محلة ينزله ينفق فيه الف مثقال ليكون اثر اقباله بالاندلس باقيا مع الايام ولم يكن فى بنى ادريس من شهر بالعلم شهرته الا احمد الاكبر ابن القاسم ابن ادريس بن ادريس وهو المعروف بالكرتى كان له علم وقدر بالمغرب وهو الذى استجلب بكر بن حماد ووفد على امير المومنين عبد الرحمن منهم حسن بن القاسم المعروف بجنون وعيسى بن جنون ابن محمد بن القاسم وذلك يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وثلاثين وثلاث ماية فاقاما فى كرامته الى شهر صفر من العام الذى يليه ثم انصرفا الى بلدهما ولما دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاث ماية اجمع بنو محمد بن القاسم على هدم مدينة تطاوان فهدموها ثم تعقبوا ما فعلوا وارادوا بنيانها فضج اهل مدينة سبتة من بنيانها وزعموا انها تضرّ بمدينة سبتة وتقطع عنها مرافقها فاجمل عبد الرحمن امير المومنين اخراج الجيوش اليهم وتجهيز العساكر نحوهم وذلك سنة احدى واربعين وثلاث ماية والقايد احمد بن يعلى حتى وصل الى مدينة سبتة ونفذ عهد عبد الرحمن الى حميد بن يصلى وكان والى تيجيساس بالتقدم الى سبتة والتضافر باحمد بن يعلى على حرب بنى محمد

واجتمع العسكران بسعى حميد بن يصلى الى بنى محمد على بن معاذ فاجابوه الى التخلى عن مدينة تطاوان على ان يبعثوا بابنائهم الى امير المومنين فقدم احمد بن يعلى عليه بحسن بن احمد القاضل بن ابراهيم بن محمد وبمحمد بن عيسى بن احمد ابن إبراهيم ووصلا الى قرطبة يوم السبت لتسع خلون من رجب سنة احدى واربعين وثلاث مائة وعيسى هو ابو العيش فبعث حسن في ابنه يحيى وبعث محمد في ابنه حسن فوصلا الى قرطبة يوم الاربعاء لاربع بقين من ربيع الاخر سنة اثنتين واربعين فمكثا بقرطبة وصدر ابواهما الى بلادهما بالحباء والكرامة المجددة وولد ليحيى وحسن بقرطبة البنين ثم هلكا هلك يحيى سنة تسع واربعين وهلك حسن سنة خمسين ودفنا بمقبرة الربض وصلى عليهما منذر بن سعيد القاضى وتخلف يحيى ابنا يسمى حسينا وتخلف حسن ابنين يسميان محمدا وحسينا ايضا فلم يزالوا مستقرين بقرطبة الى خلافة المستنصر بالله فبعث بهم اعلاما من ثقات اهل مملكته وذلك في رجب سنة اربع وخمسين وثلاث مائة فوصلوا بهم الى احمد وحسن ابنى ابراهيم بن محمد بن القاسم ويحيى بن احمد ابو هذا الغلام قد هلك فانزل احمد بن ابراهيم ابن ابنه حسين بن يحيى على ما كان لابيه فاما ذرية عمر بن ادريس بن ادريس جد الناجمين بالاندلس فان عمر ولد عليا بسرية وادريس امه زينب بنت عبد الله بن داود بن القاسم الجعفرى وعبيد الله لجارية يقال لها ربابة ومحمدا فاما على فانه اعقب من الذكور اثنى عشر ذكرا وابنة واحدة وهى عاتكة التى تقدم ذكرها امراة يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس واكثر عقب هولاء باوربة ومنهم بمدينة فاس ومنهم بكتامة وحمزة بن على

منهم فتله موسى بن ابى العافية بيده ظفر به بمدينته التى كانت تدعا بنى عوتجة وقتل معه ولديه هرون ويحيى وكان حمزة هذا قد حضر مع حسن بن محمد الحجام هزيمته لموسى وحضر قتل منهل ابنه وكان حمزة قد علق منهلا على بابه ببنى عوتجة فقتلهم بثاره وحسن بن عبيد الله بن على منهم ابتلى بالجدام وجنون ابن ادريس بن على اجلاه موسى الى زناتة فسبتة برغواطة فعقبه هناك عندهم وعقب ابى العيش بن على منهم بالاندلس واما ادريس ابن عمر بن ادريس فهو لباب ولد عمر بن ادريس وبولده تكرر الامر الى ان كثرهم بنو محمد بن القاسم ومحمد بن ادريس بن عمر هو المعروف بابن ميالة ويكنى ابا العيش ولم يزل مواليا للناصر عبد الرحمن رحمه الله وقد ذكرنا خبر ابنه يحيى بن ادريس وملكه لمدينة فاس وانه كان اعلى بنى ادريس حالا بالمغرب وذكرنا موته بالمهدية قال على النوفلى كان يشهد مجلس يحيى بن ادريس العلماء والشعراء وكان ابو احمد الشافعى من جلسائه وممن يتكلم عنده فى العلم وكان ينسخ له عدة الورّاقين وينتجعه الناس من الاندلس وغيرها فيحسن الى جميعهم وينصرفون عنه اكرم منصرف وكان لادريس ابن عمر خمسة من الولد الذكور غير هذين ولهم عقب كثير فاما عبيد الله بن عمر بن ادريس فولد حمزة والقاسم وابا العيش لم يسم لنا اكثر وامهم ملوكة بربرية وعليا وابراهيم ومحمدا ويقال لمحمد الشهيد امهم زواغية فاما حمزة فكان شجاعا جوادا متقدما وله عقب كثير ببلد غمارة وزناتة واما على بن عبيد الله فلم يعقب من ولده الا جنون وهم بكورة الجزيرة واما ابراهيم فكان عقبه بجر النسر واحد بنيه اعقب ببلد زناتة واما القاسم بن عبيد الله فله عقب كثير ببلد زناتة ومحمد الشهيد عقبه ايضا

ببلد زناتة واما ابو العيش بن عبيد الله فولد حمودا ويحيى فاما يحيى فله بنون بتازغدرا واما حمود فولد القاسم وعليـــا وفاطمة فاما على فولى الخلافة بالاندلس سنة سبع واربعماية واغتاله فتيـان من الصقالبة فى حمام بقصر قرطبة فقتلاه ثم قتلا به وكـان له من الولد يحيى وادريس وولى عهده منهما يحيى وكان صـاحب المغرب وكان ادريس اخوه صـاحب مدينة مالقة فلما قتـل على استدعى البربر القاسم اخاه وادخلوه القصر وبايعه الناس وخطب له بالخلافة فاذنب من ذلك ابن اخيه يحيى لما تقدم من عهد ابيه له وتضافر مع ادريس اخيه على عمهما المتصورة عليهمـــا فى خلافة ابيهمـا واتفقا على ان يعبر يحيى الى مالقة لطلب حقه ويعبر ادريس الى المغرب فجاز يحيى الى اشبيلية سنـــة اربع عشرة واربعمـــاية واستمر الى قرطبة فاستخلف يحيى بقرطبة وتسمى بالمعتلى وخطب له بالخلافة ثم ان البربر اضطربوا عليه ففر من قرطبة الى مـالقة ورجع عمه القاسم الى قرطبة مرة اخرى وتسمى بالمامون ثـــم عزله ابن اخيه يحيى فخرج من قرطبة الى اشبيلية ومكث بها الى ان اخرجه محمد بن عبّاد وصار بشريش فحصر بها ابن اخيه يحيى حـتى اخذه وبينه هنالك فسجنهم واستوسق الامر ليحيى بن على حتى قتل فى المحرم سنة سبـع وعشرين واربعماية فلما وصل الامر الى اخيه خطب له بالخلافة فى سبتة وتسمى بالعزيز بالله ثـم عبر البحر الى مـالقة فتسمى بالمتايد بالله وخطب له بالخلافـــة بمالقة واعمال البربر بالاندلس وبالمرية واعمالها وتوفى يـــوم الاثنين لاربع عشرة ليلة بقيت للمحرم سنة احدى وثلاثين واربع مـــاية وكان ولى عهده حسن بن يحيى صاحب سبتة فتسمى بالمستنصر بالله فجاز الى الاندلس وبويع له بمالقة ونواحيها وبغرناطة وجهاتها

الى ان توفى سنـــة اربع وثلاثين واربعماية فولى ادريس بن يحيى اخوه وبويع له يوم الخميس لست خلون من جمادى الاخرة سنـة اربع وثلاثين واربع ماية وتسمى بالعـــالى وخطب له بذلك بمالفة وغرناطة وقرمونة واعمالها الى ان خلع سنة ثمان وثلاثين واربعماية وقام محمد بن ادريس بن على وتسمى بالمهدى وخطب له بالخلافة هنالك الى ان توفى سنة اربع واربعين واربعماية وقام بالامر بعده ابن اخيه ادريس بن يحيى بن ادريس بن على وتســـمى بالموفق ولم يخطب له بالخلافة وبقى اشهرا يسيرة ثـم دخل عليه العالى ادريس بن يحيى وبويع له مرة ثانية بمـالقة وبقى الى ان توفى سنة ست واربعين واربع ماية وقام بالامر بعده ابنه محـمد بن ادريس وتسمى بالمستعلى ولم يخطب له بالخلافة فاقام بمالقة الى ان تغلب عليها باديس بن حبوس بن ماكسن فى صدر سنة سبع واربعين واربع ماية فانقطعت دولة بنى على بن حمود من يومئذ ثم استُدعى محمد ابن ادريس هـــذا من مدينة مليلة وهـــو مستقر بالمرية لا يعرف مكانه لخمول ذكره فعبر اليها وذلك فى شهر شوال سنـــة تسع وخمسين واربع ماية فقام به جماعة بنى ورتدى بمليلة وبقلوع جارة ونواحيها وهو هنالك باق على ذلك الى وقتنا هذا وهو اخر سنة ستين واربع ماية ۞

۞ ذكر ممالك بَرَغْواطة وملوكهم ۞

اخبر ابو صالح زمّور بن موسى بن هشـــام بن وارديزن البرغواطى وكان صاحب صلاتهم حين قدم على الحكم المستنصر رسولا من قبل صاحب برغواطة ابى منصور عيسى بن ابى الانصار عبد الله

ابن ابى غُفَير محمد بن معاد بن اليسع بن صالح بن طريف وكان وصوله الى قرطبة فى شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاث مائة وكان المترجم عنه بجميع ما اخبر به الرسول الذى قدم معه وهو ابو موسى عيسى بن داود بن عشرين السطاسى من اهل شلة مسلم من بيت خيرون بن خير فاخبر زمور ان طريفا ابا ملوكهم من ولد شمعون بن يعقوب بن اسحق وانه كان من اصحاب ميسرة المطغرى المعروف بالحقير ومغرور بن طالوت والى طريف نسبت جزيرة طريف فلما قتل ميسرة وافترق اصحابه احتل طريف ببلد تامسنى وكان اذ ذاك ملكا لزناتة وزواغة فقدمه البربر على انفسهم وولى امرهم وكان على ديانة الاسلام الى ان هلك هنالك وتخلف من الولد اربعة فقدم البربر ابنه صالحا منهم قال زمور وكان موت صالح بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم بماية عام سوا قال وحضر مع ابيه حروب ميسرة الحقير وهو صغير قال وكان من اهل العلم والخير فتنبّا فيهم وشرع لهم الديانة التى هم عليها الى اليوم وادعى انه نزل عليه قرءانهم الذى يقرءونه الى اليوم قال زمور وهو صالح المومنين الذى ذكره الله عز وجل فى قرءان محمد عليه السلام فى سورة التحريم وعهد صالح الى ابنه الياس بديانته وعلمه شرايعه وفقهه فى دينه وامره ان لا يظهر ذلك الا اذا قوى وامن فانه يدعوا الى ملته ويقتل حينئذ من خالفه وامره بموالاة امير الاندلس وخرج صالح الى المشرق ووعد انه ينصرف اليهم فى دولة السابع من ملوكهم وزعم انه المهدى الاكبر الذى يخرج فى اخر الزمان لقتال الدجّال وان عيسى بن مريم يكون من اصحابه ويصلى خلفه وانه يملا الارض عدلا كما مليت جورا وتكلم لهم فى ذلك كلاما كثيرا نسبه الى موسى الكليم عليه السلام والى سطيح

الكاهن والى ابن عباس وزعم ان اسمه في العربى صالح وفى السريانى مالك وفى الاعجمى عالم وفى العبرانى وربيا وفى البربرية ورياورى اى الذى ليس بعده شىء فتولى اليـــاس الامر من بعــد خروج ابيه يظهر ديانة الاسلام ويسرّ الذى عهد اليه بـه ابوه خوفـا وتقية وكان طاهرا عفيفا لم يلتبس بشىء من الدنيا الى ان هلـــك بعد ان ملك خمسين سنة وولد الياس جماعة منهم يونس فتولى الامر بعد ابيه فاظهر دياناتهم ودعـــا اليها وقتل من لم يدخل فيها حتى اخلى ثلاث ماية مدينة وسبعا وثمانين مدينة حمـل جميع اهلها على السيف لمخالفتهم اياه وقتل منهم بموضع يقال له تاملّوكاف وهو حجر نابت عالى فى وسط السوق سبعة الاف وسبع ماية وسبعين قتيلا وقتــــل من صنهاجة خاصة فى وقعة واحدة الف وغــد والوغد عندهم المنفرد الوحيد الذى لا اخ له ولا ابن عم وذلك فى البربر قليل وانما احصوا الاقلّ ليستدل به على الاعظم الاكثر قال زمور ورحل يونس الى المشرق وحج ولم يحج احد من اهل بيته قبله ولا بعده ومات يونس بن اليـــاس بعد ان ملك اربعا واربعين سنة وانتقل الامر عــــن بنيه بقيام ابى غفير محمد بن معاذ بن اليسع بن صـــالح بن طريف عليهم فاستولى على الملك بدين ابائه واشتدت شوكته وعظم امره وكانت له وقايع كثيرة فى البربر مشهورة لا تنسى مع الايام منها وقيعة تيمغسن وكانت مدينة عظيمة اقام القتــــل فى اهلها ثمانية ايام من الخميـس الى الخميس حتى شرقت دورهم ورحـابهم وسككهم بدمـائهم ومنها وقعة بموضع يقال له بهت عجـز الاحصاء عـــن عد من قتل فيهـا وكانت لابى غفير من الزوجات اربع واربعون زوجة كان له منهن من الولد بعددهن ومات ابـو غفير بعد ان ملك تسعا وعشرين

سنة وذلك عند ثلاث ماية من الهجرة وولى الامر بعده من بنيه عبد الله ابو الانصار وكان سخيا ظريفا يفى بالعهد ويحفظ الجار ويكافى على الهدية باضعافها وكان افطس شديد ادمة الوجه ناصع بياض الجسم طويل اللحية وكان يلبس السراويل والملحفة ولا يلبس القميص ولا يعتمّ الا فى الحرب ولا يعتم احد فى بلده الا الغرباء وكان يجمع جنده وحشمه فى كل عام ويظهر انه يغزو من حوله فتهاديه القبايل وتستالفه فاذا استوعب هداياهم والطافهم فرق اصحابه وسكنت حركته فملك فى دعة اثنتين واربعين سنة ودفن بامسلاخت وبها قبره وولى بعده من بنيه ابنه ابو منصور عيسى ابن ابى غفير وهو ابن اثنتين وعشرين سنة وذلك سنة احدى واربعين وثلاث ماية فسار بسيرة ابيه ودان بديانتهم واشتدت شوكته وعظم سلطانه وكان ابوه قد وصّاه قبل موته بموالاة صاحب الاندلس وكذلك يوصى جميعهم المرشّح للملك بعده قال زمور وقال له يا بنىّ انت سابع الامراء من اهل بيتك وارجو ان ياتيك صالح بن طريف كما وعد ۞ انتهى كلام زمور وقال ابو العباس فضل بن مفضّل بن عمرو المذحجى ان يونس القايم بدين برغواطة اصله من شدونة من وادى بَرْبَط وكان قد رحل الى المشرق فى عام واحد مع عباس بن ناصح وزيد بن سنان الزناتى صاحب الواصلية وبرغوت بن سعيد التراري وجدّ بنى عبد الرزاق ويعرفون ببنى وكيل الصفرية ومناد صاحب المنادية المنسوب اليه القلعة المعروفة بالمنادية قريبا من سجلماسة واخر ذهب عنى اسمه فاربعة منهم فقهوا فى الدين وادعا ثلاثة منهم النبوة منهم يونس صاحب برغواطة قال وكان يونس شرب دواء الحفظ فلقن كل ما سمع وحفظه وطلب علم النجوم والكهانة والجانّ ونظر فى

الكلام والجدال واخذ ذلك عن غيلان ثم انصرف يريد الاندلس فنزل بين هولاء القوم من زناتة فلما راى جهلهم استوطن بلدهم وكان يخبرهم باشياء قبل كونها مما تدلّ عليه النجوم عندهم فتكون على ما يقول او قريبا منه فعظم عندهم فلما راى ذلك منهم وعرف ضعف حلومهم وسخافة عقولهم اظهر ديانته ودعا الى نبوته وسمى من اتبعه بربطى لما كان من بَرْبَط ثم احالوه بالسنتهم وردّوه الى لغاتهم فقالوا برغواطى ۞ قال فضل بن مفضّل وقال سعيد بن هشام المصمودى فى وقعة بهت قصيدة طويلة اخترنا منها ابياتا

قفى قبل التفرق فاخبرينا　وقولى واخبرى خبرا مبينا
هوم برابر خسروا وضلوا　وخابوا لا سُقوا ماء معينا
الايم امة هلكت وضلت　وزاغت عن سبيل المسلمينا
يقولون النبى ابو غفير　فاخزى الله امّ الكاذبينا
الم تسمع ولم تر يوم بهت　على اثار خيلهم رنينا
رنين الباكيات فبين ثكلى　وعاوية ومسقطة جنينا
سيعلم قوم تامسنى اذاما　اتوا يوم النشور مهيمنينا
هنالك يونس وبنو بنيه　يقودون البرابر مهطعينا
أذا ورياورى زمّت عليه　جهنمُ فايد المستكبرينا
فليس اليوم ردّتكم ولكن　ليالى كنتمُ متميسرينا

هذا البيت يصدّق قول زمور البرغواطى ان طريفا كان من اصحاب ميسرة ويشهد له واما هذا الضلال الذى شرع لهم فانهم يقدمون مع الاقرار بالنبيين الاقرار بنبوة صالح بن طريف ونبوة من تولى الامر بعده من ولده وان الكلام الذى الف لهم وحى من الله تعالى لا يشكّون فيه تعالى الله عن ذلك وصوم رجب واكل شهر رمضان وخمس صلوات فى اليوم وخمس صلوات فى الليلة والتضحية

بى اليوم الحادى عشر من المحرم وبى الوضوء غسل السرة والخاصرتين ثم الاستنجاء ثم المضمضة وغسل الوجه ومسح العنف والفغاء وغسل الذراعين من المنكبين ومسح الراس ثلاث مرات ومسح الاذنين كذلك ثم غسل الرجلين من الركبتين وبعض صلواتهم ايماء بلا سجود وبعضها على كيفية صلاة المسلمين وهم يسجدون ثلاث سجدات متصلة ويرفعون جباههم وايديهم عن الارض مقدار نصف شبر واحرامهم ان يضع احدى يديه على الاخرى ويقول ابسمن ياكش تعسيره بسم الله مقّر ياكوش تعسيره الكبير الله ويضعون ايديهم مبسوطة بى الارض طول ما يتشهدون ويفرون نصف فرءانهم بى وفوبهم ونصفه بى ركوعهم ويقولون بى تسليمهم بالبربرية الله بوفنا لم يغب عنه شىء بى الارض ولا بى السماء ثم يقول مقر ياكش خمسا وعشرين مرة ايجن ياكش مثل ذلك ومعناه الواحد الله وزدام ياكش مثل ذلك ومعناه لا احد مثل الله وهم يجمعون يوم الخميس ضحا وصيام يوم من كل جمعة برض من بروضهم ويصوم الجمعة الاخرى التى تليه ابدا وياخذون العشر بى الزكاة من جميع الحبوب ولا ياخذون من المسلمين شيئا ويتزوج من النساء ما استطاع على مباعلتهن والانبعاق عليهن بلا حد عدد وان لا يتزوج من بنات عمه الا ثلاثة جدود ولا يتسرّون ولا ينكحن للمسلمين ولا ينكحون بيهم ويطلقون ويراجعون ما احبوا ويقتل السارق بالاقرار او بالبينة ويرجم بى الزناء عندهم وينبى الكاذب ويسمونه المغيّر والدية عندهم ماية من البقر وراس كل حيوان عليهم حرام والحوت لايوكل الا أن يذكّى والبيض عندهم حرام والدجاج مكروهة الا ان يضطر عليها وليس عندهم اذان ولا اقامة وهم يكتبعون بى معرفة الاوقات بزقاء الديوك ولذلك

حرموها وكان يبصف في ايديهم فيلعقونه تبركا به ويحملون بصافه الى مرضاهم يستشبعون به وصارت برغواطة اعلم الناس بالنجوم واحذقهم بالقضاء بها وكانوا اجمل الناس رجالا ونساء واشدهم ايدا كانت الجارية البكر منهن تثب ثلاث جم مصطفة ولا يمس ثوبها شيئا من الحمر ولا تقدر على ذلك ثيب ۞ وقرءانهم الذى وضع لهم صالح بن طريف ثمانون سورة اكثرها منسوبة الى اسماء النبيين من لدن ادم اولها سورة ايوب واخرها سورة يونس وفيها سورة فرعون وسورة قارون وسورة هامان وسورة ياجوج وماجوج وسورة الدجّال وسورة العجل وسورة هاروت وماروت وسورة طالوت وسورة نمرود وما اشبه هذه من الافاصيص وسورة الديك وسورة الحجل وسورة الجراد وسورة الجمل وسورة الحنش وكان يمشى على ثمانية ارجل وفيها سورة غرايب الدنيا وهناك العلم العظيم عندهم ۞ ذكر كلمات مترجمة من اول سورة ايوب وهى استفتاح كتابهم ۞ بسم الله الذى ارسل به الله كتابه الى الناس هو الذى بين لهم به اخباره قالوا علم ابليس القضية ابى الله ليس يطيق ابليس كما يعلم الله سل اى شيء يغلب الالسن فى الاقولة ليس يغلب الالسن فى الاقولة الا الله بقضائه باللسان الذى ارسل الله بالحق الى الناس استقام الحق انظر محمدا وعبارة ذلك بلسانهم ايمنى مامت فمامت محمد ۞ كان حين عاش استقام الناس كلهم الذين يحبوه حتى مات فيفسد الناس كذب من يقول ان الحق يستقيم وليس ثم رسول الله وهى سورة طويلة ۞ قال زمور ان بنى صالح بن طريف يركبون وقت اخباره فى ثلاثة الاف ومايتى فارس وان قبايل برغواطة الذين يدينون لهم وهم على ملتهم جراوة وزواغة والبرانس وبنو ابى ناصر

ومنجصة وبنو ابى نوح وبنو واغمر ومطغرة وبنـــو بورغ وبنو دمّـر ومطماطة وبنو وزكسينت وعددهم يتنهى ازيد من عشـــرة الاب بارس وممـن يدين لهم من المسلمين وينضاب الى مملكتهم زناتـة الجبل وبنو يليت وتمالتة وبنو واوسينت وبنـــو يفرن وبنو ناغيت وبنو النعمان وبنو ابلّوسة وبنو كونة وبنو يسكر واصّادة وركـــانة وايزمين ومنادة وماسينة ورصانة وترارتة ومبلغ عددهم نحو اثنى عشر الب بارس فال زمور وليس بى عسكرهم طبول ولا بنود وعدد زمور من انهار بلادهم الجارية ازيد من ماية نهر اعظمها نهر ماسنات وهو يجرى من الفبلة الى الجوب وبيـن عنصرة وموفعـــه بى البحر مسيرة ستة ايام ونهر وانسيبعن يفع بى نهر سلة تحــــت الرباط بى البحر المحيط ولم تزل برغواطة بى بلادها معلنة بدينها وبنو صالح ابن طريب ملوكها الى ان فام بيهم الامير تميم اليبرنى وذلك بعد عشرين واربع ماية من الهجرة بغلبهم على بلادهم وسباهم وجلا من يفى منهم واستوطن ديارهم وانفطع امـــرهم وعبا اثارهم ولم يبف لضلالتهم بافية ولا من اواصر كبرهم اصرة وتميم هذا كان ذا جد وايثار للعدل وهو الذى فتل احد بنيه لاغتصابه جـــارية من التجار بوادى سلة وجميع بلاد برغواطة اليـوم على ملة الاسلام ۞

۞ الطريف من مدينة باس الى مدينة الفيروان ۞

وهى اربعون مرحلة نذكر مشهورها اول ما تخرج من بـاس على باب الفتوح من عدوة الاندلس الى مرج ابن هشـــام الى وادى سبـوا وهو على نحو اربعة اميال من باس عليه فرى كثيرة ثم تسير منه الى موضع يعرب بعفبة البفر الى خندن الفول لمكناسة وبى فرى

متصلة وعمارات غير منفصلة وانهار كثيرة لازدحاجة وغيرها الى قلعة جُرماط وكانت معقل ابى منقذ بن موسى بن ابى العافية وكان بها جامع واسواق وحمام وفى الجوف منها على عشرة اميال مدينة تسول المعروفة بعين اسحف قاعدة موسى بن ابى العافية وكانت على ثلاثة اجبل وبها جامع واسواق وحمام وعين عذبة بنى عليها موسى قبة خربها ميسور قايد الشيعى ومن فاس الى قلعة جرماط يسكنها اليوم مطغرة مرحلتان وقال محمد مرحلة الى مدينة جراوة ست مراحل وقال محمد ثمان منها اثنتان فى الصحراء فمن جرماط الى قرية وليلى وبها كان يسكن زاوى ابن اخ موسى ابن ابى العافية الى فج تازا لمكناسة الى وادى وارُجّين نهر ملح لمكناسة ثم الى وادى صاع ثم الصحراء الى مدينة جراوة وهى فى سهل من الارض كان عليها سور مبنى بالطوب وداخلها قصبة وحولها ارباض من جميع جهاتها وعيون ملحة وداخلها ابار عذبة وخمس حمامات احدها ينسب الى عمرو بن العاصى وجامع من خمسة بلاطات على عمدة حجارة اسسها ابو العيش عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن سنة تسع وخمسين ومايتين وكان لها بابان شرقيان وثالث غربى ورابع جوفى وحواليها بسايط عريضة للزرع والضرع وجبل ممالوا فى قبليها وفيه حصن بناه الحسن بن ابى العيش حواليه بساتين ومياه تطرد وبينه وبين المدينة اربعة اميال ويتصل بالحصن فى اسفل الجبل شعارى اشبة لا تسلك وحول جراوة عدة قرى لقبايل من البربر مطغرة وبنى يفرن وودانة ويغمر الجبل وبنى راسين وبنى باداسن وبنى وريمش وغيرهم وكان لابى العيش ومن خلفه مدينة تلمسان ايضا وما والاها واسم ابن ابنه الحسن فى الحصن المذكور

البورى بن موسى بن ابى العافية سنة ثمان وثلاثين وثلاثماية وكان قد انتقل الى الحصن من جراوة باهله وماله وولده وفى ذلك يقول بكر بن حماد فى شعر طويل

سايل زواغة عن فعال سيوفه ورماحه فى العارض المتهلل
وديار نفزة كيف داس حريمها والخيل تمرغ بالوشيج الذبّل
تمت مغيلة بالسيوف مذلّة وسقى جراوة من نقيع الحنظل

ولجراوة مرسى تافرجنيت ومن جراوة الى ترنانة وهى سوق عامرة مرحلة ومنها الى مدينة تلمسان مرحلة يسكنها زناتة وقد تقدم ذكرها الى مدينة تافدة وهى مدينة كبيرة اهلة على نهرين احدهما حمة ومنه شربهم وعليه ارحاؤهم ثم الى قصر ابن سنان الازداجى حوله بساتين كثيرة على نهر كدال الى مدينة يلل وهى كبيرة اهلة كثيرة الاشجار يسكنها هوارة وبها مسجد جامع الى مدينة الغزة يسكنها مكناسة وهى مدينة شريفة على نهر شلف كثيرة البساتين يسكنها هوارة وبها مسجد جامع ومنها الى مدينة تاهرت وقد مر ذكرها ثلاث مراحل الى حصن تامغيلت مرحلتان وهى مبنى بالطوب على نهر له ربض وسوق يسكنه بنو دمر من زناتة الى ايزمامة حصن له سوق وفيه فنادق تسكنه لواتة ونفزاوة الى مدينة هاز على نهر شنتوى وهى خالية اجلى اهلها زيرى بن مناد الصنهاجى الى بورة نهر جار يسكن حوله بنو يرناتن وهم كانوا اصحاب هاز وبورة كثيرة العقارب وبها سويقة ومنها الى حصن موزية وبغرب هذا الحصن قصر من بنيان الاول بالصخر يعرف بقصر العطش حوله ماء ملح ومدينة عظيمة للاول ايضا خالية مبنية بالصخر يعرف بالجليل تسمى مدينة الرمانة تنفجر تحتها عيون ثرة طيبة تسيل الى المدينة المسيلة ومدينة للاول

ايضا خالية تسمى بالبربرية تاورست تعسيرة الحمراء وهى مبنيـــة
بالصخر على نهر عذب ومن حصـــن موزية الى مدينة المسيلة وقد
تقدم ذكرها ومنها الى مدينة ءادنة وهى خالية اخربها على بن
حمدون المعروف بابن الاندلسى فى سنة اربع وعشرين وثلاثماية فى
رجوع ميسور الفتى من المغرب وبلـد ءادنة بلد كثير الانهـــار
والعيون العذبة هناك عين الكتان عين عذبة فى مغـــارة عليها
اربع نخلات بينها وبين المسيلة مرحلة وبشرقيها وادى مغرة عليه
سبع قرى منها قرية يكسم وزيتها اطيب الزيوت وبين عين الكتان
وادنة نهر سهر ونهر النساء ونهر ابى طويـــل وعين الغزال وبين
نهر سهر ونهر النساء ثلاثة اميال وسمى بذلك لان هوارة اغاروا
على نساء ادنة وذهبوا بهن فادركهم اهل ادنة فاستنقذوا النساء
هناك والغنيمة وقتلوا جماعة من هوارة ومن ادنة الى مدينة طبنة
مرحلتان وقد تقدم ذكر مدينة طبنة وحواليها بنو زنداج ومنها
الى نهر الغاية ثم تمشى ثلاث مراحل فى مسـاكن العرب وهوارة
ومكناسة وكتينة وورفلة يطل عليها وعلى ما والاهـــا جبل اوراس
وهو مسيرة سبعة ايام وفيه قلاع كثيرة يسكنهـا قبايـــل هوارة
ومكناسة وهم على راى الخوارج الاباضية ومن هذا الجبل قام ابو يزيد
مخلد بن كيداد النفزى الزناتى على ابى القـاسم بن عبيد الله وفى
هذا الجبل كان مستقر الكاهنة الى مدينة باغاية وهى حصن مخر
قديم حوله ربض كبير من ثلاث نواح وليس فيما يـــلى الناحية
الغربية ربض انمـا يتصل بها بساتين ونهر وفى ارباضهـــا فنادقها
وحماماتها واسواقها وجامعها داخل الحصن وهى فى بساط من الارض
عريض كثير المياه وجبل اوراس مطل عليه ويسكن نحص هذه
المدينة قبايل مزاتة وضريسة وكلهم اباضية وهم يظعنون فى زمن

الشتاء الى الرمال حيث لا مطر ولا ثلج خوفا على نتاج ابلهم والى
مدينة باغاية لجا البربر والروم وبهـا تحصنوا من عقبة بن نافع
القرشى فدارت بينهم حروب عظيمة وكانت الدبرة فيها على اهل
باغاية فهزمهم عقبة بن نافع وقتلهم قتالا ذريعا ولجا فلهم الى
الحصن وغنم منهم خيلا لم يروا فى مغازيهم اصلب ولا اسرع منها
من نتاج خيل اوراس فرحل عنهم عقبة ولم يقم عليهم كراهة
ان يشتغل بهم عن غيرهم واهلهـا كلهم اليوم على راى الاباضية
وكيل الطعام بباغاية بالويبة وهى اربعة وستون مدا بمد النبى صلى
الله عليه وسلم وهو قفيز ونصف قفيز قرطبى وقفيز الزيت قروى
وهو خمس ربع قرطبى ورطل اللحم عندهم عشرون رطلا بلغلية ومن
باغاية الى مدينة مجانة وهى كبيرة عليها سور طوب وبها جامع
وحمامات ومعادن كثيرة منها معدن فضة للواتة يسمى الوريطسى
وتعرف بمجانة المعادن ولها قلعة مبنية بالحجر فيها ثلاثماية وستون
جبا قد تقدم ذكرها وهذه المدينة للعرب وحولها لواتة وهذه
القلعة تعرف بقلعة بشر بن ارطاة افتتحها عنوة بعثه اليها موسى
ابن نصير وبعث خمس غنيمتها اليه وبين باغاية ومجانة فندق
مسكيانة ووادى ملّان وهو واد صعب كثير الدهس وعر المخايض
وتسير من مجانة الى مرماجنة وهى مدينة لطيفة بها جامع وفندق
وسوق وهى فى بساط مديد وهذه طريق الصيف فاما طريق
الشتاء فتاخذ من مسكيانة الى مدينة تبسّا لان وادى ملان
يتسع من سلوك تلك الطريق ومدينة تبسا مدينة كبيرة كثيرة
الفواكه اولية مبنية بالصخر الجليل اخرب بعض سورها ابو يزيد
مخلد بن كيداد وهى على نهر كبير كثير الفواكه والاشجار لاسيما
الجوز فان المثل يضرب بجلالته هناك وبكبره وطيبه وفيها افناء

يدخلها الرفاق بدوابهم في زمن الثلج والشتاء يسع الغبو الواحد الفي دابة واكثر ومنها الى مدينة سبيبة ازلية مبنية بالصخر لها جامع وحمامات تطرد فيها المياه العذبة تطحن عليهـا الارحى وهى كثيرة البساتين ويجود في ارضها الزعفران وحواليها جبال كثيرة يسكنها من العرب قوم يعرفون ببنى المغلس وبنى الكسلان وحولهم قبايل من البربر كثيرة من هوارة ومرنيسة وفى الطريق الى سبيبة مرصد يعرف بعين التينة وعين يعرف بعين اربان مـاء يجرى من فنى للاول وبشرقى هذا العين جبل منيف محدد فيه شف وفى ذلك الشف رجل مذبوح معروف هنالك قبل فتوح افريقية لم يحل منـه قليل ولا كثير ولا نال منـه سبع ولا دابة ويقال انه من الحواريين وقد تقدم ذكره ومن مدينة سبيبة الى قريـة الجهنيين كبيرة اهلة كثيرة الفنادق والحوانيت ولها اشجار وفواكه بينهـا وبين القيروان مرحلة وعليها جبل يسمى ممطور لان معوية بن حديج نزله فاصابه مطر فقال جبلنا ممطور ومنها الى منزل يقال له الهرى يجاوره مرصد ومنه الى كدية الشعير الى مدينة القيروان وقـال محمد بن يوسف من مدينة سبيبة الى سافية ممس قرية عـامرة اهلة بها مسجد وفندق ثـم قرية المستعين كبيرة اهـلة بها ماجلان وبير طيبة عمقها ثلاثون قامة ثـم قصر الخير فيه مـاء شريب ثم قصر الزرادية ويعرف بالخطارة عامر اهل ثـم مدينة القيروان

۞ الطريق من مدينة فاس الى سجلماسة ۞

من مدينة فاس الى مدينة صفروى مرحلة وهى مدينة مسورة ذات

انهار واشجار ومنها الى الاصنام مرحلة ومنها الى موضع يقال له المزى مرحلة وهو بلد مكلاتة ومنها الى تاسغمرت مرحلة وهى قرية على نهر ومنها الى موضع يقال له امغاك مرحلة كبيرة نحـــو الستين ميلا ومنها تدخل فى عمل سجلماسة بين انهار وثمار ثلاث مراحـل الى مدينة سجلماسة ۞ وطريق اخر من سجلماسة الى مدينة فاس ذكرها محمد بن يوسف ۞ من مدينة سجلماسة الى موضـع يقال له ارفود جبل موت لا عمارة حوله فيه حمة مرحلة ومنـه الى موضع يقال له الاحساء رمل يحفر فيه فينبعث المـــاء على ذراع ونحوه فى بلد زناتة مرحلة ومنه الى حصن يرارة عامر اهل به سوق وجامع وله جدول ماء وهو بلد يحسن فيه الغنم ويقال ان اصول اغنامهم من قيس من ارض فارس وصوفها من اجـود الاصواف ويعمل منه بسجلماسة ثياب يبلغ الثوب منها ازيد من عشرين مثقالا مرحلة ومنه الى جبل درن المعروف بسنجفوا وقد ذكرناه فى عدة مواضع من هذا الكتاب وهو كثير الصنوبر والارز والبلوط مرحلة ومنـــه الى مطماطة امسكور بلد كبير على نهر ملوية هو منه فى قبليه وهو بلد كثير الزرع سقى كله من نهر ملوية كثير البقر والغنم وبها جامع وسوق مرحلة ومنه الى موضع يقال له سوق لميس فيه سوق ومسجد وحواليه مياه سايحة عامر اهل كـان لمدين بن موسى ابن ابى العافية مرحله ومنه الى مغيلة ابن تجامان قرار لقوم من الصفرية له ربض كبير وبنو تجامان على السنة والجماعة ساكنون فى ربوة تلاصق ربضهم مرحلة وتسير منهـا فى جبـــال شامخة الى مغيلة القاط حصن كبير له جامع وسوق كثير الانهـــار والثمار معظم شجره التين ومنه يحمل زبيبا الى فاس مرحلتـان الى لواتة مدين وقصبة لواتة منيعة لا ترام على نهر سبوا مرحلة الى فاس ۞

۞ ذكر سجلماسة ۞

ومدينة سجلماسة بنيت سنة اربعين ومائة وبعمارتها خلت مدينة ترغة وبينهما يومان وبعمارتها خلت زيز ايضا ومدينة سجلماسة مدينة سهلية ارضها سبخة حولها ارباض كثيرة وفيها دور رفيعة ومبان سرية ولها بساتين كثيرة وسورها اسفله مبنى بالحجارة واعلاه بالطوب بناه اليسع ابو منصور بن ابى القاسم من ماله لم يشركه فى الانفاق عليه احد انفق فيه الف مدى طعام وله اثنا عشر بابا الثمانية منها حديد وكان بنا اليسع له سنة تسع وتسعين ومائة وارتحل اليها سنة مايتين وقسمها على القبائل على ما هى عليه اليوم وهم يلتزمون النقاب فاذا حسر احدهم عن وجهه لم يعرفه احد من اهله وهى على نهرين عنصرها من موضع يقال له اجلف تمده عيون كثيرة فاذا قرب من سجلماسة تشعب نهرين يسلك شرقيها وغربيها وجامعها متقن البنا بناه اليسع فاجاد وحماماتها ردية البنا غير محكمة العمل وماؤها زعاق وكذلك جميع ما ينبط من الماء بسجلماسة وشرب زروعهم من النهر فى حياض كحياض البساتين وهى كثيرة النخل والاعناب وجميع الفواكه وزبيب عنبها المعرش الذى لا تناله الشمس لايزبب الا فى الظل ويعرفونه بالظلى وما اصابته الشمس منه زبب فى الشمس ومدينة سجلماسة فى اول الصحراء لا يعرف فى غربيها ولا قبليها عمران وليس بسجلماسة ذباب ولا يتجذم من اهلها احد واذا دخلها مجذم توقفت عنه علته واهل سجلماسة يسمنون الكلاب وياكلونها كما يصنع اهل مدينة قفصة وقسطيلية وياكلون الزرع اذا اخرج شطاه وهو عندهم مستطرب والمجذمون عندهم هم الكنّافون والبنّاون

عندهم يهود لا يتجاوزهم هذه الصناعة ومن مدينة سجلماسة تدخل
الى بلاد السودان الى غانة وبينها وبين مدينة غانة مسيرة
شهرين فى صحراء غير عامرة الا بقوم ظاعنين ولا تطمئن بهم منزل
وهم بنو مسّوفة من صنهاجة ليس لهم مدينة ياوون اليها الا وادى
درعة وبين سجلماسة ووادى درعة مسيرة خمسة ايام وملك بنو
مدرار سجلماسة ماية وستين سنة وكان فيه ابو القاسم سمجوا بن
واسول المكناسى ابو اليسع المذكور وجد مدرار لقى بافريقية عكرمة
مولى ابن عباس وسمع منه وكان صاحب ماشية وكثيرا ما ينتجع
موضع سجلماسة فاجتمع اليه قوم من الصفرية فلما بلغوا اربعين
رجلا قدموا على انفسهم عيسى بن مزيد الاسود وولوه امرهم
فشرعوا فى بنيان سجلماسة وذلك سنة اربع ومائة وذكر اخرون ان
مدرارا كان حدادا من ربضية الاندلس لخرج عند وقعة الربض
فنزل منزلا بقرب سجلماسة وموضع سجلماسة اذ ذاك براح تجتمع
فيه البربر وقتا ما من السنة يتسوقون لقرب فكان مدرار يحضر
سوقهم بما يعده من الات الحديد ثم ابتنى بها خيمة وسكنها
وسكن البربر حوله فكان ذلك اصل عمارتها ثم تمدنت والاول اصح
فى عمارتها واما مدرار فلا شك فيه انه كان حدادا لان ولده
القايمين بامر سجلماسة قد هجوا بذلك فاول من وليها عيسى بن
مزيد ثم انكر اصحابه الصفرية عليه اشياء فقال ابو الخطاب يوما
لاصحابه فى مجلس عيسى السودان كلهم سراق حتى هذا واشار الى
عيسى فاخذوه وشدوه وثاقا الى شجرة فى راس جبل وتركوه كذلك
حتى قتله البعوض فسمى ذلك الجبل جبل عيسى الى اليوم ووليهم
خمسة عشر عاما ثم ولوا ابا القاسم سمغوا بن مزلان بن نزول
المكناسى فلم يزل واليا عليهم الى ان مات فجاءة فى اخر سجدة من

صلاة العشاء سنة ثمان وستين فكانت ولايته ثلاث عشرة سنــة
ووليها ابنه ابو الوزير الياس بن ابى القاسم الى ان قام عليه اخوه
ابو المنتصر اليسع فخلعه سنة اربع وسبعين وماية فولى ابو المنتصر
وكان جبــارا عنيدا فظا غليظا فظفر بمـن عانده من البربر
وذللهم واخذ خمس معادن درعة واظهر الصفرية وبنا سور سجلماسة
على ما تقدم وتوفى سنة ثمان ومايتين وولى ابنه مدرار المنتصر بن
اليسع ومدرار لقب فلم يزل واليا الى ان اختلف الامر بين ولديه
ميمون المعروف بابن اروى بنت عبد الرحمن بن رستم وابنه ميمون
ايضا المعروف بابن ثقية فتنازعا الامر بينهما وتقاتلا ثلاثة اعــوام
ومال مدرار مــع ابنه ميمون ابن الرستمية فاخرج ميمون بن
ثقية من سجلماسة وولى ابن الرستمية وخلع اباه ثم قام عليه اهل
سجلماسة فخلعوه وارادوا تقديم ميمون بن ثقية فابى ان يتـامر على
ابيه فاعادوا اباه مدرارا ثم انس اهل سجلماسة انه قـد استدعى
ابنه ابن الرستمية فيمن اطـاعه من درعة ليوليه فحاصروا مـدرارا
وخلعوه وقدموا ابنه ابن ثقية وهو المعروف بالامير فلم يزل عليهم
واليا الى ان مــات سنة ثلاث وستين ومــايتين وفى امرته مات
مـدرار ابوه مخلوعا ووليها محمـد بن ميمون الامير الى ان تـوفى فى
صفر سنة سبعين فوليها اليسع بن المنتصر بن ابى القـاسم الى ان
فر عنها لما تغلب عليها ابو عبد الله الشيعى فى ذى الحجة سنة سبع
وتسعين ومايتين وولى عليها الشيعى ابراهيم بن غالب المزاتى فقتله
اهل سجلماسة ومن كان معه من رجال الشيعى بعد خمسين يوما
ووليها واسول وهو الفتح ابن الامير ميمون وذلك فى ربيع الاول سنة
ثمان وتسعين وتوفى فى رجب سنة ثلاث ماية فوليهـا اخوه احمد
الى ، حاصره فيها مصالة بن حبوس وافتتحها عنوة فقتله وذلك

في المحرم سنة تسع وثلاث ماية وولّى مصالة امرها المعتز بن محمد
ابن سارو بن مدرار الى ان توفي سنة احدى وعشرين وثلاث ماية
ووليها ابنه محمد بن المعتز الى ان توفي سنة احدى وثلاثين وثلاث
ماية ووليها ابنه ابو المنتصر سمغوا بن محمد وهو ابن ثلاث عشرة
سنة تدبر امره جدته فمكث كذلك شهرين وقام عليه ابن عمه
محمد بن الفتح بن الامير فحاربه وتغلب عليه واخرجه وتملك
سجلماسة وكان محمد بن الفتح سنيا على مذهب المالكية يحسن
السيرة ويظهر العدل الا انه تسمى بامير المومنين سنة اثنتين
واربعين وتلقب بالشاكر لله وضربت بذلك الدراهم والدنانير فمكث
كذلك الى ان قربت منه عساكر ابي تميم معد مع قايده جوهر
الكاتب فخرج عن سجلماسة باهله وماله وولده وخاصته وصار
بتاسجدالت حصن منيع على اثنى عشر ميلا من سجلماسة ودخل
جوهر سجلماسة وملكها وذلك سنة سبع واربعين وثلاث ماية وخرج
محمد من الحصن في نفر يسير من اصحابه الى سجلماسة ليتعرف
الاخبار مستترا فعرفه قوم من مطغرة في بعض الطريق فاخذوه
واتوا به الى جوهر في رجب من ذلك العام ۞ ويزرع بارض سجلماسة
عاما ويحصد من تلك الزريعة ثلاثة اعوام لانه بلد مفرط الحر
شديد القيظ فاذا يبس زرعهم تناثر عند الحصاد وارضهم متشققة
فيرتفع ما تناثر منه في تلك الشقوق فاذا كان في العام الثاني
حرث بلا بذر وكذلك في الثالث وقمحهم رقيق صيني يسع مد
النبي صلى الله عليه وسلم خمسة وسبعين الف حبة ومديهم
اثنا عشر قنقلا والقنقل ثماني زلّافات والزلافة ثمانية امداد بمد
النبي ۞ ومن الغرايب عندهم ان الذهب جزاف عدد بلا وزن
والكرات يتبايعونه وزنا لا عددا ۞ ومن سجلماسة الى مدينة القيروان

ست واربعون مرحلة وقال محمد بن يوسف ثلاث وخمسون مرحلة
فمن سجلماسة الى قرار الامير لبنى مدرار الى حصن ابن مدرار
الى جبل اكسرايغ الى مدينة امسكور لمطماطة وهم على مداراة
لصاحب سجلماسة وقد تقدم ذكرها وبينها وبين سجلماسة خمس
مراحل ومنها الى مدينة جراوة ست مراحل فى عامر وغامر منها
موضع يعرف بالصدور منها مخرج الطريق الى مليلة وهو موضع
معروف قريب من العمارة على ماء طيب ثم من جراوة الى القيروان
كما تقدم ۞ فاما الطريق من سجلماسة الى مدينة مليلة فمن
سجلماسة الى الصدور كما ذكرنا ثم الى اجرسيف قرية عامرة على
نهر ملوية الى جرواو موضع كثير ما ينزله بالاخصاص ويروى
(بياض مقداره ثلاث كلمات) سيعمرونه الى فلوع جارة وهى مدينة
عامرة فى جبل على ماء ملح وقد تقدم ذكرها الى مدينة مليلة
فذلك خمس عشرة مرحلة وقد تقدم ذكر مليلة ۞

۞ الطريق من سجلماسة الى اغمات ۞

من سجلماسة الى تيحمامين يومان وفى تيحمامين معدن للنحاس ومن
تيحمامين الى وادى درعة يومان وعلى وادى درعة شجر كثير وثمار
عظيم وهناك شجر التاكوت يشبه شجر الطرفاء وبهذا التاكوت يدبغ
الجلد الغدامسى وعلى وادى درعة سوق فى كل يوم من ايام الجمعة
فى مواضع مختلفة منه معلومة وربما كان عليه فى اليوم الواحد
سوقان وذلك لبعد مسافته وكثرة الناس عليه طول عمارته المتصلة
سبعة ايام ومن وادى درعة الى موضع يقال له اذامست ومنه الى
ورزازات يومان وهو بلد هسكورة وتمشى فى بلد هسكورة اربعة ايام

الى منازل فيبل يقال له هزرجه وهناك جبل يقال له جبل هزرجة فيه اجناس من اليافوت المتناهي في الجودة وحسن اللون يتكون على حجارة الجبل الا انه خشن ضرس كـــالسعن لا ياخذه العمل ولا ينفعل للسنادج وهو كثير موجود ثمة ومن هناك مسافة يوم الى اغمات ۞

۞ ذكر مدينة اغمات ۞

وهي مدينتان سهليتان احدها تسمى اغمات ايلان والاخرى اغمات وريكة وبها مسكن رئيسهم وبها ينزل التجار والغرباء واغمات ايلان لا يسكنها غريب وبينهما ثمانية اميال ولهـا نهر لطيف جريته من القبلة الى الجوف ماؤه زعان يقال له تافيروت وحولها بساتين ونخل كثير وهو بلد واسع يسكنه قبايل مصمودة في قصور واجشـار وهو راخ الاسعار كثير الخير يحمل اليه من مدينة نفيس تفـاح جليل يباع منه وقر بعـــل بنصف درهم الا انه وخم الهواء الوان سكانها مصفرة كثير العقارب القتالة التى لا يداوى سليمها وبها اسوان جامعة فسوق اغمات وريكة يقوم يوم الاحد بضروب السلع واصناف المتاجر يذبح فيها اكثر من مائة ثور والف شاة وينفد في ذلك اليوم جميع ذلك وكانت امرة اهل اغمات دولا بينهـــم يتولى الرجل سنة ثـــم يديلونه باخر منهم عن تراض واتفـاق كذلك ذكر محمد بن يوسف القيرواني وساحل اغمـات رباط قوز على البحر المحيط وفيه تنزل السفن من جميع البلاد ولا تخرج منه السفن صادرة الا في زمان الامطار وتكدر الهواء واغبرار الجو فحينئذ تصدف لهم الرياح البرية فان تمادى ذلك لهم سلموا وان انحى

الجو وصفا الهواء هبت لهم الرياح البحرية من الغرب فيهيج عليهم البحر وقذفهم في البرارى فقلّ ما يسلمون ۞

۞ والطريق من مدينة اغمات الى رباط فوز ۞

من وريكة الى نفيس خمسة وثلاثون ميلا ومن نفيس الى شعشاون ثلاثون ميلا ومنها الى مرامر ثلاثون ميلا ومنها الى رباط فوز خمسة وعشرون ميلا وذلك عشرون ومائة ميل ۞

۞ الطريق من مدينة اغمات الى مدينة فاس ۞

من اغمات الى موضع يعرف بابواب عبد الخالق بن سى وهى احقاف رمل مرحلة ومنها الى حصن افيج فسيح يعرف بحصن نزار ونزار بالبربرية الغربال شبه به لانه مدور وهو موضع مجوب مرحلة ومنه الى وادى وانسيفن واد كبير انبعاثه من موضع يقال له حدود بين بلد زواغة ومدغرة ويقع فى البحر المحيط ويعبر على الزقاق المنفوخة مرحلة ومنها الى حصن يملوا مديد واسع مرحلة ومنه الى موضع يعرف ببنى وارث وهو كثير شجر العربيون وهى شجرة صغيرة شوكاء لها عساليج يسيل منها لبن مسهل مرحلة ومنه الى بلد زواغة مرحلة ومنهـا الى حصن داى وهو فى وسط غيضة كبيرة من اجناس الشجر وله سوق حافلة يجتمع فيها رفاق فاس والبصرة وسجلماسة بضروب الامتعة والمتاجر مرحلة ومنه الى وادى درنة نهر كبير يقع فى نهر وانسيفن المذكور مرحلة و منه الى مغيلة وكان مقدمهم موسى بن جليد وكان شديد الايد يمسك

بذنب الفرس الجواد ويهمزه فارسه فلا يكون له حراك مرحـــلة ومنه الى موضع يعرف باوزّقور كان يسكنه قوم يعرفون ببنى موسى من ربضية الاندلس فاستفسدوا الى من جاورهم واساووا عشرتهم فحاربوهم فغُلب الاندلسيون وقتــل منهـــم كثير وافترق باقيهم ببلاد اغمات وبقى منهم باوزقور نفر يسير بالامان فهم بها الى اليوم مرحلة ومنها الى سوق فنكور سوق عامرة حافلة يعمل بها برانس سود حصينة لا ينفذها الماء مرحلة ومنها الى ولهاصة مرحلة الى كـزناية مرحلة الى مدينة ورزيغة مرحـــلة وهى اهلة كثيرة المياه والثمار والخير يباع فيها الف حبة اجـــاص بربع درهم فتـل ميسور الفتى اهلها وسبى نساءها بعد زواله عن مدينة فاس سنة اربع وعشرين وثلاث ماية ومن ورزيغة الى مدينة اغيغى ومعـــنى اغيغى حجارة يابسة لانها مبنية بالحجر بغير طين وهى اليوم خـــالية وكان القوم الذين بنوها وسكنوها من ربضية الاندلس ايضـا اجلاهم البربر عنها الى وليلى فهم بها بقية يسيرة مرحلة ومنها الى ماسينه بلد كبير ويحسن فيه القطن ويجـود وفيه ســـوق لطيفة ومنها الى فاس مرحلة فذلك ثمانية عشر مرحلة ۞

۞ الطريق من مدينة درعة الى سجلماسة ۞

مدينة درعة يقال لها تيومتين وهى قاعدة درعة وقد تقدم ذكـر وادى درعة وان منبعثه من جبل درن وهذه المدينة اهلة عامرة بها جامع واسواق جامعة ومتـاجر رابحـة وهى فى شرق من الارض والنهر منها بقبليها وجريته من الشرق الى الغرب ويهبط لهـا من ربوة حمراء وكان صاحبها على بن احمد بن ادريس بن يحـــيى

ابن ادريس فمن مدينة تيومتين الى تامجّانت مرحلة وهو موضع ينبت شجرا يسمونه تامجانت وهو شجر يعظـــم ورقه هَدَبٌ كورق الطرفاء ومنه انية سجلماسة ودرعة وما والاها ومن هناك الى امسان تيسّن مرحلة وتفسيره المـــاء المـــلح ومنه الى تفودادن مرحلة وتفسيره بير الايايل وهناك معدن نحاس ومنها الى اجروا مرحلة وهذا كله بلد سرطة قبيل من صنهـــاجة ومنـــه الى تونفن ان وجلّيد تفسيره ابار الامير مرحلة ومنه الى امان يسيدان تفسيره ماء النعام ومنه الى اجر ان ووشان اى فدّان الذيب الى امرغاد مرحـــلة وامرغاد اخر بساتين سجلماسة ومنها الى سجلماسة ستة اميال ۞

۞ الطريق من مدينة تامدلت الى مدينة اودغست ۞

من تامَدلت الى بير الجماليين مرحلة وهذه البير عمقها اربع قامات من انباط عبد الرحمن بن حبيب ومنها الى شعب ضيق لا تسير فيـه الابل الا متتابعة مرحلة ثم تسير فى جبل يسمى ازور ثلاثة ايام وهو مجر تحفى فيه الابل تنبت ام غيلان ومن خرج فيه عن الطريق اصاب زبر حديد مثقبة لا تذيبه النار وهذا الجبل كثير الثعابين طوله مسيرة عشرة ايام من اول طريق سجلماسة الى جانب البحر المحيط ويقال ان جبل ازور متصل بجبل نفوسة من جبـال اطرابلس واحسبه جبل درن المذكور قبل هذا الذى ينبعث من تحته وادى درعة فتسير فى هذا الجبـل ثلاثة ايام الى ماء يسـمى تندفس ابار يحتفرها المسافرون فلا تلبث ان تنهـار وتندفن ثـم تسير منه ثلاثة ايام الى بير كبير يقال لها وين هَيّلون ثم تمشى ثلاثة ايام فى ارض سواء صحراء ربما وجد فيها الماء على نبعـا تحت

الرمل من بقية الامطار الى ماء نزر يقال له تازقى وتفسيرة الفيت ثم تسير منه الى بير انبطها عبد الرحمن بن حبيب واحتفرهـا في حجر ادعج صلب طولها اربع قامات مرحلة ثـم تسير منها الى بير يقال لها ويطونان وهي كبيرة لاتنزف ماؤها زعاق يسهل شاربيه من الناس والانعام وهي من عمل عبد الرحمن بن حبيب ايضـا طولها ثلاث قامات ثلاث مراحل ثم تمشى منه اربع مراحـل الى موضع يقال له اوكازنت ارض زرقاء ينبط اهل الربان فيها الماء على ذراعين وثلاث ثم تمشى في مجابة جبال رمل معترضة لا ماء فيهـا وهـو اصعب موضع بطريق اودغست اربعة ايام الى موضـع يقـال له وانزمين ابار قريبة الرشاء فيها العذب والشريب وعليه جبـل طويل صعب كثير الوحوش وبهذا الماء يجتمع جميع طرق بلاد السودان وهـو موضـع مخوف تغير فيه لمطة وجزولة على الربان ويتخذونه مرصدا لهـم لعلمهم بافضاء الطرق اليه وحاجة الناس الى الماء فيه ثم تمشى منه في بلد واران خمسة ايام مجابة في كثبان رمل الى بير عظيمة في حد بني وارث قبيل من صنهاجة على تلك البير شجر يقال له السفنى وهو شجر الاهليلج الا انه لا يثمر ثـم تسير منه يومين الى ماء يقال له اغرف ابار ملحـة تردهـا اذواد لصنهاجة فتصلح عليه وتصح به وكل ماء ملح فموافق للابل ثـم تسير منه ثلاثة ايام الى موضع يقال له افر تندى تفسيرة مجتمـع الماء فيه اصناف كثيرة من الشجر وفيه الحنا والحبق ثم تسير منه يوما في جبل يقال له ازجونان يقطع فيه السودان ثـم تمشى يوما في رمال شجرة الى ماء يقال له بير واران ماؤها زعاق ثـم تمـشى في ارض لصنهاجة كثير الماء من الابار ثلاثة ايام ثم تسير منه الى شرف عال مشرف على اودغست فيه طير كثير يشبه الحمام واليمام الا انه

اصغر روسا واغلظ منافر وبيه اشجار الصمغ الذى يجلب الى الاندلس يصمغ بها الديباج مرحلة ثم الى اودغست وهى مدينة كبيرة اهلة رملية يطل عليها جبل كبير موت لا ينبت شيئًا بها جامع ومساجد كثيرة اهلة فى جميعها المعلمون للقرءان وحولها بساتين النخل ويزدرع بيها القمح بالبوس ويسقى بالدلاء ياكله ملوكهم واهل اليسار منهم وساير اهلها ياكلون الذرة والمقاثى تجود عندهم وبها نجيرات تين يسيرة ودوالٍ يسيرة ايضا وبها جنانٌ حناء لها غلة كبيرة وبها ابار عذبة والغنم والبقر اكثر شيء عندهم يشترى بالمثقال الواحد عشرة أكبش وأكثر وعسلها ايضاء كثير ياتيها من بلاد السودان وهم ارباب نعم جزلة واموال جليلة وسوقها عامرة الدهر كله لا يسمع الرجل بيها كلام جليسه لكثرة جمعه وضوضاء اهله وتبايعهم بالتبر وليست عندهم بضة وبها مبان حسنة ومنازل رفيعة وهو بلد الوان اهلها مصفرة وامراضهم الحميات والطحال لا يكاد يخلو من احدى العلتين احد منهم ويجلب اليها القمح والتمر والزبيب من بلاد الاسلام على بعد وسعر القمح عندهم فى اكثر الاوقات القنطار بستة مثاقيل وكذلك التمر والزبيب وسكانها اهل افريقية وبرقجانة ونفوسة ولواتة وزناتة ونفزاوة هولاء اكثرهم وبها نبذ من ساير الامصار وبها سودانيات طباخات محسنات تباع الواحدة منهن بماية مثقال واكثر تحسن عمل الاطعمة الطيبة من الجوزينقات والقطايف واصناف الحلوات وغير ذلك وبها جوار حسان الوجوه بيض الالوان منثنيات القدود لا تنكسر لهن نهود لطاف الخصور ضخام الارداف واسعات الاكتاف ضيقة الفروج المستمتع باحداهن كانه يتمتع ببكر ابدا قال محمد ابن يوسف اخبرنى ابو بكر احمد بن خلوف الفاسى شيخ من اهل

الحج والخير قال اخبرني ابو رستم النفوسي وكان من تجار اودغست
انه راى منهن امراة رافدة على جنبها وكذلك يفعلن في اكثر
حالهن اشفاقا من الجلوس على اردافهن وراى ولدها طفلا يلاعبها
فيدخل تحت خصرها وينفذ من الجهة الاخرى من غير ان تتجافى
له شيئا لعظم ردفها ولطف خصرهـــا والحيوان الذى يعمـل منه
الدرق حوالى اودغست كثير جدا ويتجهز الى اودغست بالنحاس
المصنوع وبثياب مصبغة بالحمراء والزرقة مجنحة ويجلب منها العنبر
المخلوق الجيد لقرب البحر المحيط منهم والذهب الابريز الخالص
خيوطا مفتولة وذهب اودغست اجود من ذهب اهل الارض واصحه
وكان صاحب اودغست في عشر الخمسين وثلاث ماية تين يروتان
ابن ويسنو بن نزار رجل من صنهاجة وكـان قد دان له ازيـد
من عشرين ملكا من ملوك السودان كلهم يودى اليه الجزية وكـان
عمله مسيرة شهرين في مثلها في عمارة يعتد في مـــاية الف نجيب
واستمده تعرس ملك ماسين على ملك اوغام فامده بخمسين الف
نجيب فدخلت بلد اوغام وعساكره غافلة فغنمت البلد واحرقته
فلما نظر اوغام الى ما حل ببلده هان عليه المـــوت فرمى بدرقته
وثنى رجله عن دابته وجلس عليها فقتلته اصحـــاب تين يروتان
فلما عاين نساء اوغام اليه فتيلا ترديين في الابار وقتلـــن انفسهن
بضروب القتل اسفا عليه وانفة من ان يملكهن البيضان ۞
فامـــا الطريق من اودغست الى بلد سجلماسة فمن اودغست الى
تامدلت على مـــا ذكرناه ايضا وذلك اربعون مرحلة ومن تامدلت
الى سجلماسة على ما ذكرناه قبل هذا احدى عشرة مرحلة فذلك
احدى وخمسون مرحلة وبين اودغست ومدينة القيروان مـــاية
مرحلة وعشر مراحل ۞

۞ الطريق من مدينة اغمات الى السوس على ما ذكره مومن ابن يومر الهوارى ۞

من اغمات وريكة الى مدينة نفيس وهى تعرف بالبلد النفيس كثير الانهار والثمار ليس فى ذلك القطر موضع اطيب منه ولا اجمل نظرا وهى قديمة اولية غزاها عقبة بن نافع صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بها الروم ونصارى البربر وكانوا قد اجتمعوا بها لحصانتها وسعتها فلزمهم حتى فتحها وبنا بهـا مسجدا الى اليوم واصابوا فيها غنايم كثيرة وذلك سنة اثنتين وستين وهى اليوم اهلة عامرة بها جامع وحمام واسوان جامعة بينها وبين البحر مسيرة يوم يسكنها قبايل من البربر اكثرهم مصمودة وكان صاحبها حمزة بن جعفر الذى نسب اليه السوق من بنى عبيد الله بن ادريس بن ادريس مرحلة ومن مدينة نفيس الى مدينة افيفن مرحلة وهى مدينة فى بطحاء كثيرة المياه والفواكه ومنها الى مدينة تامرورت مرحلة وهى مدينة لطيفة طيبة ومنها ترقا فى جبل درن وهو جبل معترض فى الصحراء معمور بقبايل صنهاجة وغيرها وهو الجبل الذى يقال انه متصل الى المقطم بمصر ومن هذا الجبل ينزل الى بلاد السوس وذكر محمد بن يوسف فى كتابه ان تامرورت هو اول صعود هذا الجبل ويقال انه اكبر جبال الدنيا وهو يتصل بجبل اوراس وبجبل نفوسة المجاور لاطرابلس وفى الحديث ان بالمغرب جبلا يقال له درن يزف يوم القيامة باهله الى النار كما تزف العروس الى بعلها قال ويمشى فى الجبل الى موضع يقال له الملاحة وفى اعلى الجبل نهر عظيم كبير والجبل كثير الاشجار والشعراء والثمار ومن الجبل الى موضع يعرف باسطوانات

ابى على فى الجبل ايضا وعن يمين هذا الموضع على مسيرة يوم الموضع المعروف بتازرارت وفيه معدن فضة قديم غزير المادة ومن اسطوانات ابى على الى قبيل من البربر يعرفون ببنى ماغوس ولهم سوق عامرة وعن يمين بنى ماغوس قبيـــل يقال لهم بنو لمـاس وكلهم روافض ويعرفون بالبجليين نزل بين ظهرانهم رجل بجلى من اهـل نفطة قسطيلية قبل دخول ابى عبد الله الشيعى افريقية يقـال له محمد ابن ورستّد فدعاهم الى سب الصحابة رضوان الله عليهم واحل لهم المحرمات وزعم ان الربا بيع من البيوع وزادهم فى الاذان بعد اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا خير البشر ثم بعد حى على الفلاح حى على خير العمل ال محمد خير البرية وهم على مذهبه الى اليوم وان الامامة فى ولد الحسن لا فى ولد الحسين وكان صاحبهم ادريس ابو القاسم بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن ادريس، فان صح الحديث الذى ذكرنا فان المراد به هولاء والله اعلم ويلى بنى لماس قبيل من البربر فى جبل وعر مجوس يعبدون كبشا لا يدخل احد منهم السوق الا مستترا ومن بنى ماغوس الى ابجلى قاعدة بلد السوس ومدينته مرحلة وهى مدينة على نهر كبير كثير الثمر وقصب السكر ومنهـا يحمل السكر الى جميع بلاد المغرب وعلى هذا الوادى اسواق كثيرة الى البحر المحيط ويقـال ان الذى جلب السافية الى مدينة السوس عبد الرحمن بن مروان اخو محمـــد الجعدى وانه هو الذى عمر وادى السوس الى وادى ماسّت مسيرة يومين عليه قرى كثيرة وهو ينصب فى البحر المحيط وماست التى اضيف اليها الوادى رباط مقصود عندهم له موسم عظيم وجمع جليل وهو ماوى للصالحين ومن وادى السوس الى مدينة نول ثلاث مراحل فى عمـارة جزولة ولمطة ومدينة نـول اخر مدن الاسلام وهى فى اول الصحراء ونهرها

تصب في البحر المحيط ومن مدينة نول الى وادى درعـــة ثلاث مراحل ومدينة ايجلى مدينة كبيرة سهلية بغربيها نهـــر كبير جار من القبلة الى الجوب عليه بساتين كثيرة متصلة ولم يتخذوا قط عليه رحى فاذا سئلوا عن المانع لهم من ذلك قالوا كيف يسخر مثل هذا الماء العذب في ادارة الارحاء وهي كثيرة الفواكه والخير وربما بيع حمل التمر بها بدون كراء الدابة من البستان الى السوق وقصب السكر اكثر شيء بها يحمل الرجـــل بربع درهم منه ما يوده ثقله ويعمل بها السكر كثيرا وقنطار سكرها يبتاع بمثقالين واقل ويعمل بها النحاس المسبوك يتجهز به الى بلاد الشرك وبها مسجد جامع واسوان وفنادق والذى افتتحهـــا عقبة بن نافـــع واخرج منها سبيا لم ير مثله حسنا وتماما كانت تبـاع الجارية الواحدة منهن بالف دينار واكثر ودخلها عبد الرحمن بن حبيب بعد ذلك وبها معسكره الى اليوم وبالسوس زيت الهرجان وشجره يشبه شجر الكمثرى الا انه لا يفوت اليد واغصانه نابتة من اصله لا ساق له وهي شوكاء وثمرها يشبه الاجاص فيجمع ويترك حتى يذبل ثـم يوضع على النار في مقـــل فخّار فيستخرج دهنه وطعمه يشبه طعم القمح المقلو وهو جيد محمود الغذا يسخن الكلى ويدر البول وبالسوس عسل يفوق عسل الامصار يلقى النبيذيون على الكيـــل الواحد منه خمسة عشر كيلا من ماء فحينئذ ياتى شرابا وان كان اقل من ذلك بقى حلوا ولا ينحل الا في الماء الشديد الحرارة ولونه لون الرماد وتبايع اهل سوقه بالحلى المكسورة اتقار الفضة والدرهم المسكوك عندهم قليل ومثاقيلهم تعرف بالفزديرية لان رجلا تولى سكتهم يعرف بابى الحسن الفزديرى وبالسوس توفى عبد الله بن ادريس وبها قبره ويقبلى ايجلى وعلى ست مراحل منهـــا مدينة

تامدلت اسسها عبد الله بن ادريس بن ادريس وهى سهلية عليها سور طوب وحجر وبها حمامان وسوق عامرة ولهـــا اربعة ابواب وهى على نهر عنصره من جبل على عشرة اميال منها وما بينهما بساتين وعلى هذا النهر ارحاء كثيرة وارضها اكرم ارض واكثرهـا ربعا تعطى الحبة ماية وبها معدن فضـــة غزير كثير المـادة وبشرق تامدلت مدينة درعة بينهما مسيرة ستة ايام وتسير من تامدلت الى وادى درعة ثلاث مراحل ومنها الى اجروا ست مراحل كلهـا على مياه ومنها الى مرغاد مرحلة ومنها الى سجلماسة ستة اميـــال واهل السوس واغمات اكثر الناس تكسبا واطلبهم لرزق يكلفـون نساءهم وصبيانهم التحرف والتكسب وبارض اغمات والسوس شجـــر الهلجان لا يكون الا هناك يستخرج من حبـه زيت طيب كثير النفع وذلك انهم يجنون ثمره فتعلفه الماشية ثم يعمدون الى عجمه فيطحن ويطبخ ويستخرج منه دهنه فيكادون يستغنون بـه عـن جميع الزيوت لكثرته عندهم ۞

۞ الطريق من وادى درعة الى الصحراء الى بلاد السودان ۞

من وادى درعة خمس مراحل الى وادى تارجا وهو اول الصحراء ثم تمشى فى الصحراء فتجد الماء على اليومين والثلاثة حتى تصل الى راس المجابة الى البير المسماة تزامت بير معينة غير عذبة وهى الى الملوحة اقرب قد انبطت فى حجر صلد من عمل الاول ويزعم قـوم ان بنى امية صنعتها وفى الشرق منها بير تسمى بير الجماليين وعلى مغربة منها ايضا بير تسمى نالى كلها غير عذب وبين هذه الابار الثلاثة وبلاد الاسلام مسيرة اربعة ايام ومنهـا الى جبـــل يسمى

بالبربرية ءادرار ان ورّال تفسيره جبل الحديد مثل ذلك ومن هذا
الجبل مجابة ماؤها على ثمانية ايام وهى المجابة الكبرى وذلك الماء فى
بنى ينْتَسرْ من صنهاجة ومن بنى ينتسر الى قرية تسمى مُدّوكَنْ
لصنهاجة ايضا ومنها الى مدينة غانة اربعة ايام ومن الابار المذكورة
مجابة ماؤها على اربعة ايام الى ايزل وهو جبل فى الصحراء الى قبيل
من صنهاجة يعرفون ببنى لمتونة ظواعن رحالة فى الصحراء مراحلهم
فيه مسيرة شهرين فى شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الاسلام
ويصيفون فى موضع يسمى امَطّلوس واخر يسمى تالبُوبَنْ وهم الى
بلاد السودان اقرب بينهم وبين بلاد السودان نحو عشر مراحل
وليس يعرفون حرثا ولا زرعا ولا خبزا انما اموالهم الانعام وعيشهم
من اللحم واللبن ينفد عمر احدهم وما راى خبزا ولا اكله الا ان
يمر بهم التجار من بلاد الاسلام أو بلاد السودان فيطعمونهم
الخبز ويتحفونهم بالدقيق وهم على السنة مجاهدون للسودان وكان
رئيسهم محمد المعروف بتارشْنى من اهل الفضل والدين والحج والجهاد
وهلك بموضع يقال له قنقارة من بلاد السودان وهم قبيل من
السودان بغربى مدينة بانكلابين وهى مدينة يسكنها جماعة من
المسلمين يعرفون ببنى وارث من صنهاجة وخلف بنى لمتونة قبيلة
من صنهاجة تسمى بنى جُدّالة وهم يجاورون البحر ليس بينهم
وبينه احد وهذه القبايل هى التى قامت بعد الاربعين واربع ماية
بدعوة الحق ورد المظالم وقطع جميع المغارم وهم على السنة متمسكون
بمذهب مالك بن انس رضى الله عنه وكان الذى نهج ذلك فيهم
ودعا الناس الى الرباط ودعوة الحق عبد الله بن ياسين وذلك ان
رئيسهم كان يحيى بن ابراهيم من بنى جدالة وحج فى بعض
السنين ولقى فى صدره عن حجه الفقيه ابا عمران الفاسى فساله ابو

عمران عن بلده وسيرته وما ينتحلونه من المذاهب فلم يجد عنده علما بشىء الا انه رءاه حريصا على التعلم صحيح النية واليقين فقال له ما يمنعكم من تعلم الشرع على وجهه والامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال له لا يصل الينا الا معلمون لا ورع لهم ولا علم بالسنة عندهم ورغب الى ابى عمران ان يرسل معه من تلاميذه من يثق بعلمه ودينه ليعلمهم ويفهم احكام الشريعة عندهم فلم يجد ابو عمران فيمن رضيه من يجيبه الى السير معه فقال له ابو عمران انى قد عدمت بالقيروان بغيتكم واما بملكوس ففيها حاذقا ورعا قد لقينى وعرفت ذلك منه يقال له وجّاج بن زلوى فمر به فربما ظفرت عنده ببغيتك فجعل ذلك يحيى بن ابراهيم اوكد همه فنزل به وعلمه ما جرى له مع ابى عمران فاختار له وجاج من اصحابه رجلا يقال له عبد الله بن ياسين واسم امه تين يزامارن من اهل جزولة من قرية تسمى تماماناوت فى طرف صحراء مدينة غانة فوصل به الى موضعه واجتمعوا للتعلم منه والانقياد له فى سبعين رجلا فغزوا بنى لمتونة وحاصروهم فى جبل لهم فهزموهم وجعلوا ما اتخذوا من اموالهم مغنما فلم يزل امرهم يقوى واستعملوا على انفسهم يحيى بن عمر بن تلاجّاجين وعبد الله بن ياسين منهم فيهم متورع عن اكل لحمانهم وشرب البانهم لما كانت اموالهم غير طيبة وانما كان عيشه من صيد البرية ثم امرهم ببناء مدينة سموها ارتنَّى وامرهم ان لا يشف بناء بعضهم على بناء بعض فامتثلوا ذلك وهم يسمعون له ويطيعون الى ان نقموا عليه اشياء يطول ذكرها وكانهم وجدوا فى احكامه بعض التناقض فقام عليه فقيه منهم كان اسمه الجوهر بن سكّم مع رجلين من كبرائهم يقال لاحدهما ايار وللاخر اينتكّوا فعزلوه عن الراى والمشورة

وقبضوا منه بيت مـالهم وطردوه وهدموا داره وانتهبوا ما كان
فيها من اثاث وخرق فخرج مستخفيـا من قبايل صنهاجة الى ان
اتى وجاج بن زلوى فقيه ملكوس فعاتبهم وجاج على ما كان منهم
الى عبد الله واعلمهم ان من خـالف امـر عبد الله فقد فـارق
الجماعة وان دمه هدر وامر عبد الله بالرجوع اليهم فرجع وقتل
الذين قاموا عليه وقتل خلقا كثيرا ممن استوجب القتل عنده
بجراية او فسق واستولى على الصحراء كلها واجـابه جميـع تلك
القبايل ودخلوا في دعوته والتزموا السنة بـه ثـم نهضوا الى لمطة
وسالوهم ثلث اموالهم ليطيب لهم بذلك الثلثـان وهاكذا سن
لهم عبد الله في الاموال المختلطة فاجـابوهم الى ذلك ودخلـوا
معهم في دعوتهم واول ما اخذوا من البلاد المخالفة لهم درعـة
ولهم في قتالهم شدة وجلد ليس لغيرهم وهم يختارون المـوت على
الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف وهم يقاتلون على الخيل والنجب
واكثر قتالهم رجالة صفوفا بايدى الصف الاول القـنى الطوال
للمداعسة والطعان وما يليه من الصفوف بايديهم المزاريق يحمل
الرجل الواحد منها عدة يزرقها فلا يكاد يخطى ولا يشوى ولهم
رجل قد قدموه امام الصف بيده الراية فهم يقفون مـا وقفت
منتصبة وان امالها الى الارض جلسوا جميعـا فكانـوا اثبت من
الهضاب ومن فر امامهم لم يتبعوه وهم يقتلون الكلاب لا يستصحبون
منها شيًا وكان يحيى بن عمر اشد النـاس انقيادا لعبـد الله
ابن ياسين وامتثالا لما يامره به ولقد حدث جماعة ان عبد الله قال
له في بعض تلك الحروب ايهـا الامير ان عليك حقا ادبا فقـال له
يحيى وما الذى اوجبه علىّ قال له عبد الله انى لا اخبرك به حتى
اودبك واخذ حق الله منـك فطاع له الامير بذلك وحكمه في

بشرته بضربه الفقيه ضربات بالسوط ثم قال له الامير لا يدخل القتال بنفسه لان حياته حياة عسكره وهلاكه هلاكهم ۞ وغزا المرابطون مدينة سجلماسة بعد ان خاطبوا اهلها ورئيسهم مسعود بن وانودين المغراوى فلم يجيبوهم الى ما ارادوا فغزوهم فى جيش عدته ثلاثون الف جمل سرج فقتلوا مسعودا واستولوا على مدينة سجلماسة وتخلفوا فيها جماعة منهم ثم عادوا الى بلادهم فغدر اهل سجلماسة بالمرابطين فى المسجد وقتلوا منهم عددا كثيرا وذلك سنة ست واربعين واربع ماية وندم اهل سجلماسة على ما فعلوا وتواترت رسولهم على عبد الله بن ياسين ان يرجع اليهم بالعساكر ويذكرون ان زناتة رجعوا اليهم فندب عبد الله المرابطين الى غزو زناتة ثانية فابوا عليه وخالف عليه بنو جدالة وذهبوا الى ساحل البحر فامر عبد الله الامير يحيى ان يتحصن بجبل لمتونة وهو جبل منيع كثير الماء والكلاء فى طوله مسافة ستة ايام وفى عرضه مسافة يوم وهنالك حصن يسمى اركى حوله نحو عشرين الف نخلة كان بناه ياتّوا بن عمر الحاج اخو يحيى بن عمر فصار يحيى فى جبل لمتونة وذهب عبد الله بن ياسين الى مدينة سجلماسة فى مايتى رجل من قبايل صنهاجة ونزل موضعا يقال له تامدولت حصن فيه مياه ونخل كثير ويشرف عليه جبل فيه معدن فضة معلوم هناك فاجتمع لعبد الله جيش كثيف من سرطة وترجة ولهم هنالك حصون وكان ابو بكر بن عمر بدرعة مع احمد بن عامَدْجنوا فامره عبد الله مكان اخيه يحيى المتخلف بجبل لمتونة ثم رجعت جيوش بنى جدالة الى يحيى بن عمر فحاصروه فى الجبل وذلك سنة ثمان واربعين وهم فى نحو ثلاثين الفا وكان مع يحيى ايضا عدد كثير وكان معه لبى بن وارجاى

رءبس تكرور وكان التقاؤهم هناك بموضع يسمى تبفريلّى بين تاليوين وجبل لمتونة بقتل يحيى بن عمر رحمه الله وقتل معه بشر كثير وهم يذكرون انهم يسمعون في هذا الموضع اصوات الموذنين عند اوقات الصلوات وهم يتحاموته ولا يدخـــله احد ولا اخذ منه سيف ولا درقة ولا شيء من اسلحتهم ولا ثيابهم ولم تكن للمرابطين بعد كرة الى بنى جدالة وفي سنة ست واربعين غزا عبد الله بن ياسين اودغست وهو بلد قايم العمارة مدينة كبيرة فيها اسواق ونخل كثير واشجار الحناء وهي في العظم كشجر الزيتون وهو كان منزل ملك السودان المسمى بغانة قبل ان تدخل العرب غانة وهي متقنة المباني حسنة المنازل ومسافة ما بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين وبينها وبين مدينة غانة خمسة عشر يوما وكان يسكن هذه المدينة زناتة مع العرب وكانوا متباغضين متدابرين وكانت لهم اموال عظيمة ورقيق كثير كان للرجل منهم الف خـــادم واكثر فاستباح المرابطون حريمها وجعلوا جميع ما اصابوا فيها فيئا وقتل فيها عبد الله بن ياسين رجلا من العرب المولدين من اهل القيروان معلوما بالورع والصلاح وتلاوة القرءان وحج البيت يسمى زبافرة وانما نقموا عليهم انهم كانوا تحت طاعة صاحب غـــانة وحكمه وغزا عبد الله بن ياسين اغمات سنة تسع واربعين واستولى على بلاد المصامدة سنـــة خمسين وقتل ببرغواطة سنـــة احدى وخمسين بموضع يســـمى كريفلت وعلى قبره اليوم مشهد مقصود ورابطة معمورة ولم يقتل عبد الله بن ياسين حـــتى استولى على سجلماسة واعمالها والسوس كله واغمات ونول والصحراء ۞ ومما يذكرونه ولا يشكـــون فيه من براهين صلاح عبد الله انه ذهب في بعض اسفاره فعطشوا فشكوا ذلك اليه فقال عسى الله ان يجعل لنا من

امرنا فرجا ثم سار بهم ساعة وقال لهم احفروا بين يدى فحفروا فوجدوا الماء بادنى حفر فشربوا وسقوا واستقوا اعذب ماء واطيبه ويذكرون انه نزل منزلا تقرب منه بركة ماء وكانت كثيرة الضفادع لا يسكن نقيقها فاذا وقف عبد الله على البركة لم يسمع لها ركز وهم الان لا تقدم طايفة منهم احدا للصلاة الا من صلى وراء عبد الله وان كان في تلك الطايفة اقرا منه واورع ممن لم يصل وراءه وكان عبد الله نكاحا للنساء يتزوج في الشهر عددا منهن ويطلقهن لا يسمع بامراة حسناء الا خطبها ولا يتجاوز بصدقاتهن اربعة مثاقيل ۞

۞ ما شذ فيه عبد الله بن ياسين من الاحكام ۞

من ذلك اخذه الثلث من الاموال المختلطة وزعم ان ذلك يطيب باقيها ويحله وقد تقدم ذكر هذا وان الرجل اذا دخل في دعوتهم وتاب عن سالف ذنوبه قالوا له قد اذنبت ذنوبا كثيرة في شبابك فيجب ان يقام عليك حدودها وتطهر من اثمها فيضرب حد الزانى ماية سوط وحد المفترى ثمانين سوطا وحد الشارب مثلها وربما زيد على ذلك وهكذا يفعلون بمن تغلبوا عليه وادخلوه في رباطهم وان علموا انه قتل قتلوه سواء اتاهم تايبا طايعا او غلبوا عليه مجاهرا عاصيا لا ينفعه توبته ولا يغنى عنه رجعته ومن تخلف عن مشاهدة الصلاة مع الجماعة ضرب عشرين سوطا ومن فاتته ركعة ضرب خمس اسواط وياخذون الناس بصلاة ظهر اربعا قبل صلاة الظهر في الجماعة وكذلك في ساير الصلوات ويقولون انك لابد قد فرطت في سالف عمرك فاقض ذلك واكثر عوامهم يصلون

بعير وضوء اذا اعجلهم الامر جزعا من الضرب ومن رفع صوته في المسجد ضرب على قدر ما يراه الضارب له صلاحا وزكاة العطر ياخذونها وينفقونها على انفسهم ومما يحفظ من جهل ابن ياسين ان رجلا اختصم اليه مع تاجر غريب عندهم فقال التاجر في بعض مراجعته لخصمه حاش لله ان يكون ذلك فامر عبد الله بضربه وقال لقد قال كلاما قطيعا وقولا شنيعا يوجب عليه اشد الادب وكان بالحضرة رجل قيرواني فقال لعبد الله وما تنكر من مقالته والله عز وجل قد ذكر ذلك في كتابه فقال حكاية عن النسوة اللاتي قطعن ايديهن في قصة يوسف ۞ حاش لله ما هذا بَشَرًا انْ هذا الّا ملك كريم ۞ فرفع الضرب عن ذلك الرجل ۞ وامير المرابطين الى اليوم وذلك سنة ستين واربع ماية ابو بكر ابن عمر وامرهم منتشر غير ملتئم ومقامهم بالصحراء وجميع قبايل الصحراء يلتزمون النقاب وهو فوق اللثام حتى لا يبدو منه الا محاجر عينيه ولا يفارقون ذلك في حال من الاحوال ولا يميز رجل منهم وليه ولا حميمه الا اذا تنقب وكذلك في المعارك اذا قتل منهم القتيل وزال قناعه لم يعلم من هو حتى يعاد عليه القناع وصار ذلك لهم الزم من جلودهم وهم يسمون من خالف زيهم هذا من جميع الناس افواه الذبان بلغتهم وطعامهم صفيف اللحم الجاف مطحونا يصب عليه الشحم المذاب او السمن وشرابهم اللبن قد غنوا به عن الماء يبقى الرجل منهم الاشهر لا يشرب ماء وقوّتهم مع ذلك مكينة وابدانهم صحيحة ومن سير اهل الصحراء في المنهم بسرقة ان يعمدوا الى عود فيشق باثنين ويشد على صدغيه في مقدم راسه ومؤخره فلا يتمالك ان يقر ولا يصبر على ذلك الضغط لحظة لشدته ۞

ومما في هذه الصحراء من الحيوان اللمط وهو دابة دون البقر لها قرون دقاق حادة لذكرانها واناثها وكلما كبر منها الواحد طـال قرنه حتى يكون اكثر من اربعة اشبار واجود الدرق واغلاها ثمنـــا ما صنع من جلود العواتق منها وهي التي طال قرناها لكبر سنها فمنع النبل علوهـــا ودواب الفنك اكثر شيء في هذه الصحراء ومنها يحمل الى جميع البلاد وعندهم الكبـــاش الدمانية خلقها خلق الضان الا انها اجمل وشعرها شعر الماعز لا اصواف لهـــا وهي احسن الغنم خلقا والوانا ولا تنبت هذه الصحراء ولا بلاد اغمات ولا السوس شجر المرسين وهو شجر الاس وهو عندهم عزيز يجلب اليهم من ساير البلاد ومن غرايب تلك الصحراء معدن ملح على يومين من الحجابة الكبرى وبينه وبين سجلماسة مسيرة عشرين يوما تحفر عنه الارض كما تحفر عن ساير المعادن والجواهر ويوجد تحت قامتين او دونها من وجه الارض ويقطع كما يقطع الحجارة ويسمى هذا المعدن تاتنتال وعليه حصن مبنى حجارة الملح وكذلك بيوته ومشاربه وغرفه كل ذلك ملح ومن هذا المعدن يتجهز بالملح الى سجلماسة وغانة وساير السودان والعمل فيه متصل والتجار اليه متسايرون وله غلة عظيمة ومعدن للملح اخر عند بنى جدالة بموضع يسمى اوليل على شاطى البحر ومن هناك تتحمله الرفاق ايضا الى ما جاوره وبغرب اوليل في البحر جزيرة تسمى ايونى وهي عند المد جزيرة لا يوصل اليها من البر وعند الجزر يوصل اليها على القدم ويوجد فيهـــا العنبر واكثر معاش اهلها من لحوم السلاحف فهي اكثر شيء عندهم في ذلك البحر وهي مفرطة العظم وربما دخل الرجل منهم في محار ظهورها فيتصيد فيها كالقارب وسنذكر من كبر السلاحف بطريف قبرق ما هو اشنع من هذا ولهم اغنام ومواش وهذه الجزيرة مرسى

من المراسى والطريف منها الى نول على ساحل البحر لا يعارفه مسيرة شهرين يمشى العير فى ارض اكثرها صبى ينبو عنه الحديد وبكل فيه المعاول وانما يشربون فى طريقهم من قلات يحتفرونها عند جزر البحر فتنبض ماء عذبا واذا مات لهم ميت فى طريقهم هذا لم يمكنهم مواراته لصلابة الارض وامتناعها على الحفر فيسترونه بالحطام والحشيش او يقذفونه بالبحر ۞

۞ ذكر بلاد السودان ومدنها المشهورة واتصال بعضها ببعض والمسافات بينها وما فيها من الغرايب وسير اهلها ۞

المصاقبون لبلاد السودان بنو جدالة هم اخر الاسلام خطة واقرب بلاد السودان منهم صنغانة بين اخر بلادهم وبينها مسيرة ستة ايام ومدينة صنغانة مدينتان على ضفتى النيل وعمارتها متصلة الى البحر المحيط ويلى مدينة صنغانة ما بين الغرب والقبلة على النيل مدينة تكرور اهلها سودان وكانوا على ما ساير السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكير والدكور عندهم الصنم حتى وليهم وارجابى بن رابيس فاسلم واقام عندهم شرايع الاسلام وحملهم عليها وحقق بصايرهم فيها وتوفى وارجابى سنة اثنتين وثلاثين واربع ماية فاهل تكرور اليوم مسلمون وتسير من مدينة تكرور الى مدينة سلى وهى مدينتان على شاطى النيل ايضا واهلها مسلمون اسلموا على يدى وارجابى رحمه الله وبين سلى ومدينة غانة مسيرة عشرين يوما فى عمارة السودان القبيلة بعد القبيلة وملك سلى يحارب كفارهم وليس بينه وبين اولهم الا مسيرة يوم واحد وهم اهل مدينة قلنبو وهو واسع المملكة كثير العدد يكاد يقاوم

ملك عانة وتبايع اهل سلى بالذرة والملح وحلق النحاس وازر لطاف من قطن يسمونها الشكيات والبقر عندهم كثير وليس عندهم ضان ولا معز واكثر نبات ارضهم الابنوس ومنه يحتطبون وفيما يتصل ببلادهم من النيل فى موضع يقال له صحافى حيوان فى الماء يشبه الفيل فى عظم خلقته وفنطيسته وانيابه يسمونه فغوا وهو يرعى فى البرارى ويأوى الى النيل وهم يميزون موضعه من النيل بتحرك الماء على ظهره فيقصدونه بمزاريق حديد فصار فى اسافلها حلق قد شدت فيها الحبال المديدة فيرمونه بالعدد الكثير منها فيغوص ويضطرب فى اسفل النيل فاذا مات طفا على الماء فجذبوه واكلوا لحمه وصنعوا من جلده هذه الاسواط التى تسمى السرياقات ومن هناك تحمل الى الافاق ويلى هذا البلد مدينة قلنبوا بينهما مسيرة يوم على ما تقدم وهى على النيل واهلها مشركون ويتصل بقلنبو مدينة ترنقة وهو بلد عريض وعندهم تصنع الازر المسماة بالشكيات التى تقدم ذكرها وهى اربعة اشبار فى مثلها وليس فى بلدهم كثير قطن غير انهم لا تكاد تخلوا دار احدهم من شجرة قطن وحكم اهل هذه البلاد والمذكور قبلها من بلاد السودان ان يخير صاحب السرقة فى بيع السارق او قتله وحكمهم فى الزانى ان يسلخ من جلده ومن ترنقة تصل العمارة بالسودان الى بلد زافقوا وهم صنف من السودان يعبدون حية كالثعبان العظيم ذا عرف وذنب راسه كراس البختى وهو فى مغارة بالمفازة وعلى فم المغارة عريش واحجار ومسكن قوم متعبدين معظمين لتلك الحية ويعلقون نفيس الثياب وحر المتاع على ذلك العريش ويضعون له جفان الطعام وعساس اللبن والشراب وهم اذا ارادوا اخراجه الى العريش تكلموا كلاما وصفروا صفيرا معلوما فيبرز اليهم واذا هلك

وال من ولاتهم جمعوا كل من يصلح للمملكة وقربوهم اليهــا وكلموا
بكلام يعلمونه فتدنو الحيــة منهم فلا تزال تشمهم رجلا رجلا
حتى تنكز احدهم فانها فاذا نكزته ولت الى المغارة فيتبعها ذلك
المنكوز باجدّ ما يقدر عليه من السير ليجذب من ذنبه او عرفه
باشدّ ما يقدر عليه شعرات فيكون مدة ملكه انهم بعدد تلك
الشعرات لكل شعرة سنـــة لا تخطيهم ذلك بزعمهم وتليهم بلاد
القروبين وهى مملكة للقروبين على حدتها ومن غريب ما فيها بركة
يجتمع فيها الماء ينبت فيها نبــات اصوله ابلغ شىء فى تقوية الباه
والعون عليها والملك يمنع منها ولا يصل منها شىء الى غيره وله من
النساء عدد عظيم فاذا اراد ان يطوف عليهن انذرهن قبل ذلك
بيوم ثم استعمل ذلك الدواء فيطوف عليهن كلهن ولا يكاد ينكسر
وقد اهدى اليه بعض ملوك المسلمين المجاورين له هدية نفيسة
واستهداه شيئًا من هذا النبــات فعاوضه على هديته وكتب اليه
يقول ان المسلمين لا يحل لهم من النساء الا قليل وقد خفت عليك
ان بعثت اليك الدواء ان لا تقدر على امساك نفسك فتاتى بما لا
يحل لك فى دينك ولاكنى قد بعثت اليك نباتا ياكله الرجل العقيم
فيولد له وبلاد القروبين يبدل الملح فيها بالذهب ۞

۞ ذكر غانة وسير اهلها ۞

وغانة سمة لملوكهم واسم البلد اوكار واسم ملكهم اليوم وهى سنــة
ستين واربع ماية تنكامنين وولى سنة خمس وخمسين وكــان اسم
ملكهم قبله بسى وولّيهم وهو ابن خمس وثمانين سنة وكان محمود
السيرة محبا للعدل موثرا للمسلمين وعمى فى اخر عمره فكـــان يكتم

ذلك عن اهل مملكته ويريهم انه يبصر وتوضع بين يديه اشياء فيقول هذا حسن وهذا قبيح وكان وزراؤه يلبسون ذلك على الناس ويلغزون للملك بما يقول فلا تفهمه العامة ويسمى هذا خال تنكامنين وتلك سيرتهم ومذهبهم ان الملك لا يكون الا في ابن اخت الملك لانه لا يشك فيه انه ابن اخته وهو يشك في ابنه ولا يقطع على صحة اتصاله به وتنكامنين هذا شديد الشوكة عظيم المملكة مهيب السلطان ومدينة غانة مدينتان سهليتان احدهما المدينة التى يسكنها المسلمون وهى مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا احدها يجمعون فيه ولها الايمة والموذنون والراتبون وفيها فقهاء وحملة علم وحواليها ابار عذبة منها يشربون وعليها يعتملون الخضراوات ومدينة الملك على ستة اميال من هذه وتسمى بالغابة والمساكن بينهما متصلة ومبانيهم بالحجارة وخشب السنط وللملك قصر وقباب وقد احاط بذلك كله حايط كالسور وفى مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك وحول مدينة الملك قباب وغابات وشعراء يسكن فيها سحرتهم وهم الذين يقيمون دينهم وفيها دكاكيرهم وقبور ملوكهم ولتلك الغابات حرس ولا يمكن احد دخولها ولا معرفة ما فيها وهناك سجون الملك فاذا سجن فيها احد انقطع عن الناس خبره وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله واكثر وزرائه ولا يلبس المخيط من اهل دين الملك غيره وغير ولى عهده وهو ابن اخته ويلبس ساير الناس ملاحف القطن والحرير والديباج على قدر احوالهم وهم اجمع يحلقون لحاهم ونساؤهم يحلقن رؤسهن وملكهم يتحلى بحلى النساء فى العنق والذراعين ويجعل على راسه الطراطير المذهبة عليها عمايم القطن الرفيعة وهو يجلس للناس

والمظالم في فبة ويكـون حوالى الفبة عشرة افراس بثيـاب مذهبة
ووراء الملك عشرة من الغلمـــان يحملون الجحف والسيوف المحلاة
بالذهب وعن يمينه اولاد ملوك بلده فد ضفروا رؤسهم على الذهب
وعليهم الثياب الرفيعة ووالى المدينة بين يدى الملك جـالس في
الارض وحواليه الوزراء جلوســا على الارض وعلى باب الفبـة كلاب
منسوبة لا تكاد تفارق موضع الملك تحرسـه في اعنافهـــا سواجير
الذهب والفضة يكون في الساجور عدد رمانات ذهب وفضة وهم
ينذرون بجلوسه بطبـل يسمونه دبا وهـــو خشبة طويلة منفورة
فيجتمع الناس فاذا دنا اهل دينه منــه جثوا على ركبهم ونثروا
التراب على رؤسهم فتلك تحيتهم له واما المسلمون فانمـا سلامهم
عليه تصفيفا باليدين ودياناتهم المجوسية وعبادة الدكاكير واذا
مات ملكهم عفدوا له فبة عظيمة من خشب الساج ووضعوهـا في
موضع فبره ثم اتوا به على سرير فليل الفرش والوطا فادخلـوه في
تلك الفبة ووضعوا معه حليته وسلاحه وانيته الــتى كان ياكل
فيها ويشرب وادخلوا فيها الاطعمة والاشربة وادخلوا معه رجـالا
ممن كان يخدم طعامه وشرابه واغلفوا عليهم باب الفبة وجعلوا
فوق الفبة الحصر والامتعة ثم اجتمع الناس فردموا فوفهـا بالتراب
حتى تاتى كالجبل الضخم ثم يخندفون حولها حــتى لا يوصــل الى
ذلك الكوم الا من موضع واحد وهم يذبحون لموتاهم الذبائح ويفربون
لهم الخمور ولملكهم على حمار الملح دينـــار ذهب في ادخاله البلد
وديناران في اخراجه وله على حمل النحاس خمسة مثافيل وعلى حمل
المتاع عشرة مثافيل وافضل الذهب في بلاده ما كان بمدينة غياروا
وبينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشر يوما في بلاد معمورة
بفبايل السودان مساكن متصلة واذا وجد في جميع معادن بلاده

الندرة من الذهب استصعباها الملك وانما يترك منها للناس هذا التبر الدقيق ولولا ذلك لكثر الذهب بايدى الناس حتى يهون والندرة تكون من اوقية الى رطل ويذكر ان عنده منه ندرة كالحجر الضخم وبين مدينة غيارو والنيل اثنا عشر ميلا وفيها من المسلمين كثير وغانة بلدة مستوبية غير اهلة لا يكاد يسلم الداخل فيها من المرض عند امتلاء زرعهم ويقع الموتان فى غربائها عند استحصاد الزرع ۞ فاما الطريق من غانة الى غيارو فالى مدينة سامَقَنْدَى اربعة ايام واهل سامقندى ارمى السودان بالنشاب ومنها الى بلد يسمى طافة يومان واكثر شجر طافة شجر يسمونه تادمبوت وهو شجر الاراك الا ان له ثمرا كالبطيخ داخله شىء يشبه القند تشوب حلاوته حمضة نافع للمحمومين ومن هناك الى خليج من النيل يقال له زوغوا مسيرة يوم تخوضه الجمال ولا يعبره الناس الا فى القوارب ومنه الى بلد يقال له غرنتل وهو بلد كبير ومملكة جليلة لا يسكنه مسلمون ولاكنهم يكرمونهم ويخرجون لهم عن الطريق اذا دخلوا بلادهم وتلد عندهم الفيلة والزرافات ومن غرنتل الى غيارو وملك غانة اذا احتفل ينتهى جيشه ماىتى الف منهم رماة ازيد من اربعين الفا وخيل غانة قصار جدا وعندهم الابنوس الجيد المجزّع وهم يزدرعون مرتين فى العام مرة على ثرى النيل اذا خرج عندهم واخرى على ثرى وبغربى غيارو على النيل مدينة يرسنى يسكنها المسلمون وما حولها مشركون و فى يرسنى معز قصار فاذا وضعت الماعزة ذبحوا الذكور وابقوا الانثى وعندهم شجر تحتك بها هذه المعزى فتحمل من ذلك العود وتلد من غير ذكر وهذا معلوم عندهم غير منكر وحدث به جماعة من المسلمين الثقات ومن يرسنى يجلب السودان العجم المعروفون بنو نغمارته

وثم تجار التبر الى البلاد وما وازاها من ضفة النيل الثانية مملكة كبيرة ازيد من مسيرة ثمانية ايام سمة ملكهم دو وهم يقاتلون بالنشاب ووراءه بلد اسمه ملل وملكهم يعرف بالمسلمانى وانما سمى بذلك لان بلاده اجدبت عاما بعد عام فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتى كادوا يفنونها ولا يزدادون الا قحطا وشقاء وكان عنده ضيف من المسلمين يقرا القرءان ويعلم السنة فشكا اليه الملك ما دهمهم من ذلك فقال له ايها الملك لو امنت بالله تعالى واقررت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام واقررت برسالته واعتقدت شرايع الاسلام كلها لرجوت لك الفرج مما انت فيه وحل بك وان نعم الرحمة اهل بلدك وان يحسدك على ذلك من عاداك وناواك فلم يزل به حتى اسلم واخلص نيته واقراه من كتاب الله ما تيسر عليه وعلمه من الفرايض والسنن ما لا يسع جهله ثم استانا به الى ليلة جمعة فامره فتطهر فيها طهرا سابغا والبسه المسلم ثوب قطن كان عنده وبرزا الى ربوة من الارض فقام المسلم يصلى والملك عن يمينه ياتم به فصليا من الليل ما شاء الله والمسلم يدعو والملك يومّن فما انفجر الصباح الا والله قد اعمهم بالسقى فامر الملك بكسر الدكاكير واخراج السحرة من بلاده وصح اسلامه واسلام عقبه وخاصته واهل مملكته مشركون فوسموا ملوكهم مذ ذاك بالمسلمانى ومن اعمال غانة المنضافة اليها بلد يسمى سامه ويعرف اهله بالبكم بينه وبين غانة مسيرة اربعة ايام وهم يمشون عراة الا ان المراة تستر فرجها بسيور تضفرها وهن يوفرن شعر العانة ويحلقن شعر الراس وحدث ابو عبد الله المكى انه راى منهن امراة وقفت على رجل من العرب طويل اللحية فتكلمت بكلام لم يفهمه فسال الترجمان عن مقالتها فذكر انها تمنت ان يكون شعر

لحيته في عانتها فامتلى العرب غضبا واوسعها سبا والبكم لهم حـــذق بالرماية وهم يرمون بالسهام المسمومة ويورثون الابن الاكبر مال الاب كله وبغربى مدينة غانة مدينة انبارة وملكها اسمه تارم وهو معاند لملك غانة وعلى تسع مراحل من مدينة انبارة مدينة كوغة وبينها وبين غانة مسيرة خمس عشرة مرحلة واهلها مسلمون وحواليها المشركون واكثر ما يتجهز اليها بالملح والودع والنحاس والفربيون والودع والفربيون انفق شىء عندهم وحواليهـــا من معادن التبر كثير وهى اكثر بلاد السودان ذهبا وهناك مدينة الوكن وملكها يسمى فمر بن بسى ويقال انه مسلم يخفى اسلامه وببلاد غانة قوم يسمون بالهُنَيْهِيّين من ذرية الجيش الذى كان بنو امية انفذوه الى غانة فى صدر الاسلام وهم على دين اهـــل غـــانة الا انهم لا ينكحون فى السودان ولا ينكحونهم فهـــم بيض الالوان حســـان الوجوه وبسلى ايضـــا قوم منهم يعرفون بالفامان وببلاد غانة حكم الماء وذلك انه من ادعى عليه بمال او دم او غير ذلك عمد امينهم الى عود فيه حرافة ومرارة ورقّة وصب عليه من الماء قدرا ما وسقاه المدعا عليه فان رماه من جوفه علم انه برى وهنّى بذلك وان لم يرمه وبقى فى جوفه صحت الدعوى عليه ومن الغرايب ببلاد السودان شجرة طويلة الساق دقيقته يسمى تورزى تنبت فى الرمال ولها ثمر كبير منتفخ داخله صوف ابيض تصنع منه الثياب والاكسية ولا تؤثر النار فيما صنع من ذلك الصوف من الثياب لو اوقدت عليه الدهر واخبر الفقيه عبد الملك ان اهل اللامس بلـــد هناك ليس لهم لبس الا من هذا الصنف ومن هذا الجنس حجارة بوادى درعة تسمى بالبربرية تامطْغُست تحـــك باليد فتلين الى ان تاتى فى قوام الكتان فيصنع منها الامرّة والقيود للدواب

فلا توثر النار في شيء من ذلك وقد صنع منها كساء لبعض ملوك زناتة بسجلماسة واخبرني الثقة انه شهد تاجرا قد جلب منه منديلا الى فردلند صاحب الجلالقة وذكر انه منديل لبعض الحواريين وان النار لا توثر فيه واراه ذلك عيانا فعظم موقعه من فردلند وبذل له فيه غناه وبعث به فردلند الى صاحب قسطنطينية ليوضع في كنيستهم العظمى فعند ذلك بعث اليه صاحب قسطنطينية التاج وامره بالتتويج وقد حدث جماعة انهم راوا منه هداب منديل عند ابي الفضل البغدادي تحمى عليه النار فيزداد بياضا ويكون له الدار غسلا وهو كثوب الكتان ۞

واذا سرت من غانة تريد طلوع الشمس تسير في طريق معمورة بالسودان الى موضع يقال له اوغام يحرثون الذرة وهو عيشهم ثم تسير من هناك اربعة ايام الى موضع يقال له راس الماء وهناك تلقى النيل خارجا من بلاد السودان وعليه قبايل من البربر مسلمون يسمون مداسة وبازائهم من الشط الثاني مشركوا السودان ثم تسير من هناك ست مراحل على النيل الى مدينة تيرقّى ويجتمع في سوق هذه المدينة اهل غانة واهل تادمكة وتعظم السلاحف بتيرقى وتتخذ في الارض اسرابا يمشي فيها الانسان ولا يطيقون استخراج واحدة منها الا بعد شد الحبال فيها واجتماع العدد الكثير عليها واخبرني الفقيه ابو محمد عبد الملك بن نخاس الغرفة ان قوما عرسوا في طريق تيرقى والارضة هناك تاتي على ما تجده وتفسد ما وصلت اليه وتخرج من التراب آكواما كالروابي ومن الغرايب ان ذلك التراب ثرّ ندٍ والماء هناك غير موجود على ابعد حفر فلا توضع الامتعة الا على الحجارة المجموعة او الخشب الموضوعة فارتاد كل واحد من القوم لمتاعه حرزا من الارضة وبدر احدهم فيما ظن الى

صخرة كبيرة فانزل عليها وقرن بعيرين كانا معه فلما هب من نومه سحرا لم يجد الصخرة ولا ما كان عليها فارتاع ونادى بالويل والحرب فاجتمعوا اليه يسئلونه عن خطبه فاخبرهم فقالوا لو طرفك لصوص لاخذوا المتاع وبقيت الصخرة فنظروا فاذا اثر سلحفاة ذاهبة من الموضع فاتبعوه اميالا حتى ادركوها وحملا المتاع على ظهرها وهى التى حسبها صخرة ۞ ومن تيرقى يرجع النيل نحو الجنوب فى بلاد السودان فتسير عليه نحو ثلاث مراحل فتدخل بلاد سغمارة وهم قبيل من البربر فى عمل تادمكة ويحاذيهم من الشط الثانى مدينة كوكوا للسودان وسياتى ذكرها وما والاها ان شاء الله ۞

فاما الجادة من غانة الى تادمكة وبينهما مسيرة خمسين يوما فمن غانة الى سغنغو ثلاث مراحل وهى على النيل وهى اخر عمل غانة ثم تصحب النيل الى بوغرات فيه قبيل من صنهاجة يعرفون بمداسة واخبر الفقيه ابو محمد عبد الملك انه راى فى بوغرات طايرا يشبه الخطاف يفهم من صوته كل سامع افهاما لا يشوبه لبس قُتل الحسين قتل الحسين يكرر مرارا ثم يقول بكربلا مرة واحدة قال عبد الملك سمعته انا ومن حضر من المسلمين معى ومن بوغرات الى تيرقى ثم تسير منها فى الصحراء الى تادمكة وتادمكة اشبه بلاد الدنيا بمكة ومعنى تادمكة هيئة مكة وهى مدينة كبيرة بين جبال وشعاب وهى احسن بناء من مدينة غانة ومدينة كوكوا واهل تادمكة بربر مسلمون وهم يتنقبون كما يتنقب بربر الصحراء وعيشهم من اللحم واللبن ومن حب تنبته الارض من غير اعتمال ويجلب اليهم الذرة وساير الحبوب من بلاد السودان ويلبسون الثياب المصبغة بالحمرة من القطن والنولى وغير ذلك وملكهم يلبس عمامة حمراء وقميصا اصفر وسراويل زرقاء ودنانيرهم تسمى الصلع لانها ذهب محض غير مختومة ونساؤهم

فايفات الجمال لا تعدل بهن اهل بلد حسنا والزنا عندهم مباح وهن يبادرن التجار اينهن تحمله الى منزلها ۞ فان اردت من تادمكة الى القيروان فانك تسير فى الصحراء خمسين يوما الى وارجلان وهى سبعة حصون للبرابر اكبرها يسمى اغرم ان يكامّن اى حصن العهود ومنها الى مدينة قسطيلية اربعة عشر يوما ومن قسطيلية الى القيروان سبعة ايام على ما تقدم وبين وارجلان وقلعة ابى طويل مسيرة ثلاثة عشر يوما ومن تادمكت الى غدامس اربعون مرحلة فى الصحراء والماء فيها على مسيرة اليومين والثلاثة احساء وغدامس مدينة لطيفة كثيرة النخل والمياه واهلها بربر مسلمون وبغدامس دواميس كانت سجنا للكاهنة التى كانت بافريقية واكثر طعام اهل غدامس التمر والكماة تعظم عندهم حتى تتخذ فيها الارانب حجرة وبين غدامس وجبل نفوسة سبعة ايام فى الصحراء وبين نفوسة ومدينة اطرابلس ثلاثة ايام على ما تقدم ۞

وطريق اخر من تادمكة الى غدامس ۞ تسير من تادمكة ستة ايام فى عمارة سغمارة ثم فى مجابة اربعة ايام الى الماء ثم فى مجابة ثانية اربعة ايام ايضا وفى هذه المجابة الثانية معدن لحجارة تسمى تاسى النسمت وهى حجارة تشبه العقيق وربما كان فى الحجر الواحد الوان من الحمرة والصفرة والبياض وربما وجد فيها فى النادر الحجر الجليل الكبير فاذا وصل به الى اهل غانة غالوا فيه وبذلوا فيه الرغايب وهو اجل عندهم من كل علق يقتنى وهو حجر يجلى ويثقب بحجر اخر يسمى تنتواس كما يجلى اليوقوت ويثقب بالسنباذج لا يعمل فيه الحديد شيئا الا بالتنتواس ولا يوصل اليه ولا يعلم موضعه حتى ينحر الابل على معدنه وينضح دمه فحينئذ يظهر ويلفظ وفى بونو معدن للناس انسمت ايضا ومعدن هذه المجابة

افضل وتسير من هذه الجابة الى جابة ثالثة وفى هذه الجابة معدن الشب ومنها يحمل الى البلاد وتسير من هذه الجابة الى جابة رابعة احد عشر يوما فى رمال جرد لا ماء فيها ولا نبت يتزود الرفان الماء والحطب فيها كما تتزود الطعام والعلف وعلى يسار السائر فى هذه الجابة جبل الرمل الاحمر الذى يتصل بسجلماسة وهو الذى يكون فيه العنك والثعلب الدهى وهو اخر حد افريقية واذا سار السائر من بلاد كوكو على شاطى البحر غربا انتهى الى مملكة يقال لها الدمدم ياكلون من وقع اليهم ولهم ملك كبير وملوك تحت يده وفى بلدهم قلعة عظيمة عليها صنم فى صورة امراة يتالهون له ويحجونه وبين تادمكة ومدينة كوكوا تسع مراحل والعرب تسمى اهلها البزركانيين وهى مدينتان مدينة الملك ومدينة المسلمين وملكهم يسمى قندا وزيهم كزى السودان من الملاحف وثياب الجلود وغير ذلك بقدر جدة الانسان منهم وهم يعبدون الدكاكير كما تفعل السودان ويضرب بجلوس الملك الطبل ويرقص النساء السودانيات بالشعور الجثلة المسترسلة ولا يتصرف احد منهم فى مدينته حتى يفرغ من طعامه ويقذف بافيه فى النيل فيجلبون عند ذلك ويصيحون فيعلم الناس انه قد فرغ من طعامه واذا ولى منهم ملك دفع اليه خاتم وسيف ومصحف يزعمون ان امير المومنين بعث بذلك اليهم وملكهم مسلم لا يملكون غير المسلمين ويزعمون انهم انما سموا كوكوا لان الذى يفهم من نغمة طبلهم ذاك وكذلك ءازور وهير وزويلة يفهم من نغمة طبلهم زويلة زويلة وتجارة اهل بلد كوكوا بالملح وهو نقدهم والملح يحمل من بلاد البربر يقال لها توتك من معدن تحت الارض الى تادمكة. ومن تادمكة الى كوكوا وبين توتك وتادمكة ست مراحل ۞

۞ ذكر نبذ من سير البربر وسياساتهم لسوى ما وقع منها مفترقا في موضعه من هذا الكتاب ۞

ذكروا ان رجلا شيخا خرج مع امراته وكانت شـــابة يريد قلعة حماد فصحبه في بعض الطريق فتى شـــاب كلف بتلك المراة وكلفت به فتواطيا على ان يدعى كل واحد منهمـــا زوجية الاخر ويسقطا الشيخ فلما وصلا الى القلعة شكى ذلك الشيخ الى حماد مـا دهمه من امرها ووصف له حاله معهما فوقف حـاد الشاب والمراة فتغارا على نكاحهمـا وانكرا ما يدعيه الشيخ فجعل حماد يباحث الشيخ هـل صحبهم في طريقهم احد او هل له شبهة فقال مـا صحبنا في طريقنا غير هذا الكلب فاندلى لكلب كان معه فامر الشيخ بربط الكلب الى ثمرة او وتد كان هناك ثم امر المراة بحـــله فذهبت اليه فارسلته ثم امرها فربطته والكلب لا ينكر شيًا من ذلك ثم قـــال للشاب قم فارسل الكلب ثم اربطه فلمـــا هم بذلك نبحه الكلب وانكره فقال للمراة هذا زوجك الشيخ وهذا الفاسق فخلعك عليه وامر بضرب عنق الفتى ۞ وذكر ان رجلا كان له امراتان وكـان كلفا باخرتهمـــا نكاحا فقالت له الاولى ان هذه الـــتى تكلف بها تخونك وانها تفجر مع غلام لهـا فاستعمل الركوب والسقوط عـن الدابة وسيق الى منزل امراته الاخرة محـولا لا يقلب عضوا بزعمه فاجتمع اهله ونســاؤه اليه يمرضونه ويلطفونه الى ان مضى هزيع من الليل فعزم عليهـــم وصرفهم الى منازلهم وبـقى مـــع امراته واستعمل النوم والتثاقل حـتى كانه مغمى عليه فراى امراته قد خرجت عنه الى البيت الذى كان فيه المتهم بها فجمع حسه وصار عند باب البيت فسمعه يقول لهـــا ابطات على وتركتنى بلا

عشاء فقالت حبسنى عنك شغلى بهذا الرجل فلا تلمنى فانت للنفس وهـو للولد فصمت على ما سمـع وتغافل عنه ورجع الى مضجعه فما كان الا ضحى الغد حـتى تنادى فى ذلك الموضـع واصباحاه فثاروا الى العدو وراى هذا الساقط المتحامل على نفسه والانفة من تخلفه فلبس سلاحه وركب فرسه وحمل ذلك المتهم فيمن حمل من اتباعه معهم السلاح فلما برزوا الى عدوهم امر ذلك المتهم بالتقدم بين يديه فـلم يجد الى الحيدة سبيلا فلما خالط به العدو كلل عنه مدبرا فكان اول صريع ولم يعلم احد شيأ من امرها ثم انصرف الى منزله فحمدت امراته الله على سلامته فقـال لها لاكن الذى للنفس لم يسلم فانى انما انا للولد فعلمت انه قد سمع مقالتها فقالت ارسلنى الى اهلى فقال اذهبى فلما ابطات عليه اتى اهلها فقال ما بال امراتى لا تعود الى منزلها فقالوا له انا لا نقدر على صرفها فقال وانا لا اقدر على فراقها فلج بهم الامر حتى افتدت منه بجميع ما حمل اليها فى صداقها وما تكلف لها عند املاكهـا فلما قبض ذلك ووصل اليه قال لهم اما اذ وصلت الى حـقى فان الشان كيت وكيت واخبرهم بالقصة فقررها اهلها واستبانوا الريبة فيها فقتلوها فبلغ بسياسته الى التشفى منهـا بغير يده وتخلص من عشيرة امراته واسترجع جميـع حقه ﴿ وشبيـه بهذا عـن بعض كبرائهم ايضا انه اتهم امراته واخبر انه اذا غـاب خالفه رجل من اهل ناحيته الى امراته فاستعمل سفرا بعيدا وذكر ذلك لقبيله فتجهز معه نفر لذلك فلما صاروا وانتهوا الى ادنى مرحلة اعتذر لهـم بعذر يضطره الى الانصراف وعزم عليهـم فى النفوذ لطيتهم فكر راجعا حتى اتى بعض الشعاب مساء فاخفى فيه فرسه وسلاحه واتى اهله متسترا متجسسـا فتسلق جدارا او مكانا

يطلع منه على منزله امنا ان يعلم به منه فراى امراته على ما يكره
مع ذلك الرجل المتهم فولى راجعا الى الشعب ولبس سلاحه
وركب فرسه واتى المنزل فلما علم به اهله ارتاعوا واخفوا ذلك
الفاجر في بيت من الدار ودخل رب المنزل غير مكترث واعتذر في
رجوعه بعذر فقبلته امراته وجعلت تحاول له طعاما فلما كمل قربته
اليه فقال احضرى ضيفك فقالت وهل لى من ضيف قال نعم هو
ذاك في البيت الكذا فناكرته فقام اليه فاستخرجه وقال هلم الى
طعامنا فقال له ما لى الى الاكل من حاجة وانى الى الموت احوج لما
نالنى من هذه الفضيحة قال لا باس عليك فقد افتتن من هو
خير منك ولم يزل به حتى طعم ثم ارسله عن منزله مستترا
مسلما لم يربه بريب ثم اقبل على امراته فقال لا تعيى مما جرى لك
فان النساء قد يزللن ويملن بهواهن والمعصوم من الناس قليل
وعندى من الستر لامرك والطى لخبرك ما يسرك وقد علمت انه
لم يحملك على ما صنعت الا هوى غلب عليك غيه وانا تارك بينك
وبين هذا الذى احببتيه تنكحينه وتتشفين منه جهارا من غير
ريبة على ان تشترطى لى شرطا وتعقد لى على نفسك عقدا تلتزميه
فاجابته الى ذلك وقالت ما شرطك قال انك اذا اكملت عنده عاما
ان ترسلى الىّ فامرّ بك وهو حاضر فتخرجين الىّ متزينة في ثياب
تشف وتتكلمين معى في امره وتتشكين سوء عشرته فيستحمله
الغيرة على طلاقك فاعود الى حالى معك بعد ان تقضى حاجة
نفسك وترتفع عنى الريب في امرك باختيارك لى على هذا الذى قد
مال بك وقد علم سوء خلق صاحبه وتهافته الى الشر وقلة
ملكه لنفسه فعاقدته على ذلك ثم ارسل الى ابيها واهل بيتها
فصنع لهم طعاما فاطعمهم ثم قال لهم سلوا وليتكم كيف كانت

محبتى لها ومعاشرتى اياها بسالوها باثنت خيرا ووصفت مجاملة وبرّا فقال اسئلوها ما بالها اتريد المقام عندى فسالوها فقالت انى اكرهه وابغض قربه واحب بُعده ولا اجد من نفسى معينا على غير ذلك وقد جاهدتها على الاستمرار فى محبته فعزبت بى عن ذلك عزوفا لا رجعة معه فلا تتركونى معه فان ذلك يقتادنى الى الحمام ويفضى بى الى انواع السقام وقد تبرات اليه من جميع حقه والزوج فى ذلك كله يظهر الرغبة فيها والاشفاق من مفارقتها فما انفض جمعهم حتى ملكت امرها ورجعوا على زوجها ما صير اليها من حقها وشكروه على بره بها وولوها الملامة فى جميع امرها فلما حلت للازواج كان الغادر بها اول خاطب لها فتزوجته ومكثت معه حولا وهى تستبطى مرور الحول لما خبرته من فضل الاول على هذا فلما انقضى بعثت الى الاول على ما عاقدته معه فخرج مارا على منزلها فتلقته فى قميص يصفها ويتم جسمها تشكو زوجها وهو قاعد مع جماعتها فلما راى ذلك لم يتمالك غيرة ان قام اليها وطعنها طعنة كانت فيها نفسها فعمد اليه اهلها واخوتها فقتلوه واختلف الفريقان وزحف بعضهم الى بعض فكادت الحرب تفنيهم وتم للزوج الاول المراد فيهما ولم يرزا فى نفسه ولا فى ماله بمقدار قلامة ۞ وحدثوا ان حمادا قال ما تداهى احد قط علىّ ولا خدعنى الا امراة وكعاء من البربر قيل له وكيف كان ذلك قال نعم ان صاحبا كان لى بالقيروان نشا معى نشاة واحدة لم يفرق بيننا مكتب ولا مشهد وكنت قد خلطته بنفسى وجعلته محل انسى فلم يزل على ذلك حتى صرت الى ما انا فيه فبفقدته فجعلت افتقده فلا اقدر عليه ولا اجد سببا للوصول اليه فلما ان عتبت على اهل باغاية وشننت عليها الغارات لم انشب صبيحة ذلك

البوم ان سمعت مناديا ينادى يالله يالللاميم فقلت ما بالك ومن
انت فقال انا فلان بن فلان فاذا به صاحبى المطلوب قد حبسه
عنى نسكه وغلب على هواه ورع يماكه فاظهرت البشر بمكانه
والجذل بشانه ولو شبع فى جميع اهل باغاية لشبعته فجعلت الطبه
واونسه وهو كالواهان فسالته عن امره فقال انه فقد بنته فيمن
فقد من النساء فقلت له والله لو خرجت الى بالامس لحقنت دماء
اهل بلدك لحرمتك عندى فقال الغدر غالب والمحروم خايب قال
حماد ثم امرت القواد فاحضروا جميع ما كان فى جيوشهم من
النساء فعرف فيهن بنته قال فامرت بسترها وحملها مع ابيها
فرفعت صوتها قايلة لا والله يا حماد لا رجعت مع ابى ولا رجعت
مع الذى غصبنى قلت فما تريدين ويلك قالت انى لا اصلح الا للملوك
فلا حاجة لى فى السوقة فلما سمع ذلك ابوها سكن ما كان فى نفسه
لها وظن انها قد فتنت وفسدت عليه قال حماد فقلت لها ومن اين
لا تصلح الا للملوك قالت لان عندى علما لا اشارك فيه ولا يدعيه
غيرى قلت الا اريتنا شيئا من ذلك فقالت نعم تامر بقتل انسان
وتحضر امضى سيف اتكلم عليه بكلمات تمنع من تاثيره وتعود بيد
حامله اكلّ من قايمه قال حماد الذى يجرب هذا فيه لمغرور قالت
اويتّهم احد انه يريد قتل نفسه قال لا قالت فانى اريد ان يجرب
ذلك فى فتكلمت على سيف اختاروه ومدت عنقها فضربها السيّاب
ضربة ابان راسها فاستيقظت من غفلتى وعلمت انها تداهت على
وكرهت العيش بعد الذى جرى لها وعليها واستبان لابيها من
ذلك مثل الذى بان لى فجعل يلفى نفسه عليها ويتمرغ فى دمها
اسفا لما حل به منها واغتباطا بها لما راى من عظم انفتها
واختيارها للموت على ما نزل بها ۞ وبنو ورسيفسان من البربر اذا

ارادوا مباشرة الحرب تعربوا بذبح بغرة سوداء للشماريخ وهم عندهم الشياطين ويغولون هذا ذبح الشماريخ ويبعثون اوعيتهم في تلك الليلة من الطعام والعلب بلا يكون له وكاء ولا سداد ويغولون هذا طعام وعلب للشماريخ باذا غدوا للفتال توفعوا حتى يروا روابع الريح بيغولون فد جاءت الشماريخ اولياؤكم لنصرتكم بيحملون عند ذلك بينتصرون بزعمهم ويغولون ان ذلك لا يخطيهم وجماعتهم يعتفد ذلك غير مستترين به وهم اذا اضافوا الضيف جعلوا من طعامه للشماريخ ويزعمون انه ياكلونه الذين يوضع لهم وينتهون عن ذكر اسم الله عند شيء من ذلك ۞

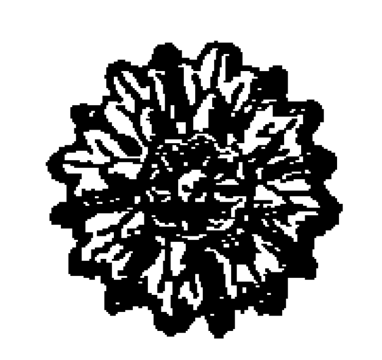
تم الكتاب

بعون الله

الوهاب

۞

فهرست مــا وجد ذكره في هذا الكتاب
من اسماء الامكنة وغيرها



بيان الخطاء والصواب لتصحيح نص هذا الكتاب

خطا	صواب	صحيفة	سطر
تاحروبت	تاجربت	١٢	٤
يغربون	يغربون	١٢	١٨
انواح	انواع	١٥	٤
وجهها	وجهها	١٨	١٢
انا وغلام	وانا غلام (جايز)	٢٥	٣
علغة	فلعة	٦٩	١٦
تجرة	شجرة	٧٠	٧
شاظى	شاطى	٧٩	١٦
فرطناتش	برطناتش	١٠٩	١٢
ما نعدم	ما تغدم	١١٢	١٨
الى اليوم ثم الى وادى نكرة (خطا)	الى اليوم ثم الى وادى المغاول ثم الى وادى نكرة (الصواب)	١١٥	٥
الهماجر	المهاجر	١١٧	٢٠
بحانة	بجانة	١٢٥	١٣
بمكت	بمكث	١٥١	٥
يرم	يوم	١٦٧	١٤

y remarque cependant l'absence d'un feuillet qui devait se trouver entre les feuillets numérotés maintenant 83 et 84 ; on s'aperçoit aussi qu'une partie considérable de la notice sur les Idricides y manque, que le copiste a laissé plusieurs mots en blanc et oublié quelques phrases. Pour racheter ces imperfections, on y trouve un morceau unique, un routier maritime de l'Afrique et de la Syrie, ainsi que plusieurs passages qui manquaient dans le manuscrit de Paris. Ayant collationné celui-ci avec la copie du manuscrit de Londres, il m'a été facile de combler presque toutes les lacunes, et de rétablir le texte à peu près dans l'état où l'auteur nous l'avait laissé ; puis, voulant m'assurer de l'exactitude de mon travail, j'en communiquai la copie à M. de Gayangos, qui eut l'obligeance d'y ajouter toutes les variantes qu'il put découvrir dans le manuscrit de l'Escurial, n° 1630. Ce volume, écrit en caractères maghrebins, renferme les deux premiers tiers de la description de l'Afrique. Le texte n'est pas toujours correct, bien qu'il offre parfois de bonnes leçons, mais il nous fournit un passage assez long qui appartient évidemment à l'ouvrage et que l'on cherche inutilement dans les autres manuscrits. Des quatre manuscrits qui ont servi de base à notre texte arabe, celui d'Alger est le moins important, puisqu'il n'est qu'une copie du manuscrit de Londres ; mais ayant été écrit à Cairouan par un homme assez intelligent, il fournit certaines variantes ou corrections qui ont le mérite d'être justes et bonnes.

La traduction de ce traité géographique est achevée et sera bientôt mise sous presse.

De Slane.

Alger, 20 juillet, 1857

mauvais texte qu'il avait entrepris de traduire. Telle était, en effet, l'imperfection du manuscrit dont il se servait que, malgré toutes ses recherches, un très-grand nombre de noms de localité demeuraient illisibles. On remarqua aussi, avec regret, que presque toute la partie historique de l'ouvrage n'avait pas été traduite et l'on y reconnut même plusieurs lacunes impossibles à remplir sans le secours d'un second manuscrit du même ouvrage. Malgré ces imperfections, le travail de cet orientaliste fournira toujours une preuve frappante de tout ce que peuvent effectuer la critique et l'érudition.

L'occupation de l'Algérie par la France, les travaux des officiers de l'état-major, et les cartes publiées par le Dépôt de la guerre venaient, depuis quelques années, de fournir aux géographes une foule d'excellentes notions sur la topographie de l'Afrique, lorsqu'un petit manuscrit, très-mal écrit en caractères maghrebins, tomba sous les yeux de M. Berbrugger, qui l'acheta pour la bibliothèque dont il est le conservateur. En examinant ce volume, je reconnus qu'il renfermait le texte de l'Afrique d'El-Bekri, texte portant les points diacritiques et offrant une foule de bonnes leçons à la place des noms illisibles qui déparaient le manuscrit de Paris. Heureux de cette découverte, je pris la résolution de publier l'ouvrage avec une traduction complète ; et, grâce à la complaisance d'un savant orientaliste, M. Rieu, j'ai pu me procurer une copie très-exacte de l'ancien manuscrit d'El-Bekri qui se trouve dans la bibliothèque du Musée britannique, à Londres. Ce volume, renfermant 119 feuillets in-4°, et portant le n° 374, commence par la description de l'Egypte et finit par celle de l'Afrique. Écrit en caractères maghrebins et portant, sur chaque nom, les points diacritiques et les points-voyelles, il offre presque partout des leçons d'une exactitude parfaite. On

manuscrit, les points diacritiques ; mais les phrases les plus difficiles et les noms propres en sont dépourvus, précisément quand la présence de ces signes était d'une nécessité absolue. Une phrase arabe privée de points diacritiques, mais correctement écrite, se laisse toujours lire avec assez de facilité par ceux qui sont habitués à la marche et aux tournures ordinaires de cette langue ; mais les noms propres auxquels un copiste peu intelligent aura négligé d'ajouter ces signes essentiels, peuvent résister à la pénétration des déchiffreurs les plus habiles. Prenons, par exemple, le groupe de quatre lettres بعرى ; on peut le lire de plus de trois cents manières, si l'on ne connait pas les mots qui le précèdent et qui le suivent. Pour retrouver le nom d'une ville ou d'un pays écrit de cette façon absurde, il faut le connaître d'avance ; et, si on ne l'a pas déjà vu dans les autres géographes arabes, ou dans les ouvrages des voyageurs, ou dans les cartes, on doit renoncer à le chercher.

Avec tous ses défauts, le manuscrit de Paris ne laissa pas d'être d'une grande importance pour la géographie de l'Afrique ; fait que le savant M. Quatremère avait bien apprécié ; aussi, ne craignit-il pas d'entreprendre une traduction abrégée de cet ouvrage, dont il avait, lui le premier, découvert le nom de l'auteur. Après avoir examiné les travaux des anciens géographes et historiens africains, et parcouru les nombreux récits que l'on doit au zèle des voyageurs européens, il fit paraître, en 1831, ses extraits d'El-Bekri dans le recueil publié par l'Institut de France et intitulé *Notices et Extraits des manuscrits de la Bibliothèque du Roi*. Le travail de M. Quatremère obtint sur le champ l'approbation des orientalistes et des géographes les plus distingués ; on admira surtout la profonde érudition déployée dans les notes qui servaient à éclaircir les difficultés du

plusieurs renseignements à notre géographe et à l'auteur du *Bayan* (1).

D'après les indications d'El-Bekri, il faudrait admettre que Mohammed Ibn-Youçof était originaire de Cairouan ; mais Ibn-Hazm, l'un des grands historiens de l'Espagne musulmane, assure que le père et la mère de ce géographe étaient natifs de Guadalaxara (2).

La notice d'El-Bekri sur l'Afrique septentrionale, traité dont le texte original paraît ici pour la première fois, n'était pas inconnu au savant Deguignes et à l'illustre orientaliste S. de Sacy ; mais le nom de l'auteur avait échappé à leurs recherches. Le manuscrit dont ils s'étaient servi et qui se trouve dans la Bibliothèque impériale, ancien fonds, n° 580, est incomplet ; il commence par les derniers feuillets de la description de l'Egypte et se termine brusquement par les premières pages de la notice consacrée à l'Espagne : ce volume, n'ayant ni commencement ni fin, ne pouvait fournir aucune indication relative au titre qu'il devait porter et au nom de celui qui l'avait composé. La description de l'Afrique ne s'y trouve pas même en entier : plusieurs feuillets manquent et on y remarque des omissions faites par le copiste, et dont quelques-unes ont une étendue très-considérable. L'écriture, qui est du caractère oriental, est très-belle et appartient évidemment à une époque ancienne ; mais elle est dépourvue des points qui servent à distinguer les lettres dont la forme est semblable. Il est vrai que les mots les plus faciles à lire portent, dans ce

---

(1) Cet ouvrage, dont nous devons une édition (texte arabe) au zèle intelligent de M. Dozy, renferme une histoire très-détaillée de l'Afrique et de l'Espagne pendant les premiers siècles de la domination musulmane,

(2) El-Maccari, traduit par M. de Gayangos, vol. I, page 176, et vol. II, page 171 ; *Ibn-El-Abbar*, apud Casiri, t, II, p. 127 ; *Dozy*, introduction au *Bayan* p. 43.

terminé son ouvrage avant l'an 453, bien qu'il ait déclaré lui-même y avoir mis la dernière main en 460.

La notice des Béreghouata est, au contraire, une pièce rédigée pour le gouvernement oméïade ; notre auteur lui-même déclare qu'elle avait pour base les renseignements fournis par un envoyé béreghouatien qui s'était trouvé à la cour de Cordoue.

Ajoutons qu'El-Bekri n'avait jamais visité l'Afrique et que sa description de ce pays n'a pu être qu'un travail de compilation. Souvent, dans ses emprunts, il cite ses autorités et, plus d'une fois, il inscrit sur ses pages le nom d'un auteur alors célèbre, Mohammed-Ibn-Youçof. Toutes les fois qu'il n'indique pas les sources où il a puisé, on est porté à supposer qu'il trouvait ses renseignements à Cordoue et dans les archives de l'ancien royaume des Oméïades.

Puisque le nom de Mohammed-Ibn-Youçof se présente ici, je profiterai de l'occasion, pour offrir quelques renseignements au sujet de cet écrivain.

Mohammed-Ibn-Youçof, surnommé Ibn-El-Werrac *(le fils du libraire* ou *du marchand de papier)*, naquit en l'an 292 (904 - 5 de J.-C.) et mourut en 363 (973-4). On le désigne quelquefois par le surnom d'*Et-Tarîkhi* (*l'historien* , *l'annaliste*), parce qu'il avait composé, par l'ordre du sultan oméïade, El-Hakem-El-Mostancer , plusieurs ouvrages sur l'histoire et la géographie de l'Afrique. Parmi ces traités , on distingua particulièrement l'histoire de la ville de Tèhert *(Tiaret)*, celle d'Oran , celles de Tunis , de Sidjilmessa , de Nokour , de Ceuta, et de Basra du Maghreb. Une partie considérable d'un de ses ouvrages sur les ***Routes et Royaumes*** de l'Afrique se trouve reproduite dans celui d'El-Bekri. Ses monographies de villes et de dynasties ont fourni

La notice sur la secte almoravide est d'une date trop récente pour avoir appartenu à cette classe de documents. Celui qui la rédigea indique comme un des derniers faits qui s'étaient passés chez ce peuple, la révolte des Djoddala contre Yahya-Ibn-Omar, et il nous apprend que cet événement eut lieu en 448 de l'hégire. Il ignorait le nom de Youçof-Ibn-Tachefîn ; il ne savait pas que ce chef avait obtenu le gouvernement du Maghreb en l'an 453, qu'il avait fondé la ville de Maroc l'année suivante, et conquis la ville de Fez douze mois plus tard. El-Bekri est tout aussi mal renseigné que lui. On peut tirer de là plusieurs conclusions : 1° que, dans la première moitié du cinquième siècle de l'hégire, les événements qui se passaient en Afrique n'étaient pas bien connus en Espagne ; 2° que les princes musulmans dont les états se trouvaient dans ce dernier pays avaient trop à faire chez eux pour s'occuper du Maghreb, pays dans lequel ils n'exerçaient aucune autorité ; 3° que le géographe El-Bekri, n'ayant pas apprécié l'importance de la grande révolution qui s'accomplissait dans le Maghreb à l'époque où il tenait la plume, avait négligé de prendre des renseignements sur ce sujet et qu'il s'était borné à faire des emprunts aux ouvrages de ses prédécesseurs et aux documents rassemblés par les soins d'un gouvernement prévoyant ; 4° que les règles de la critique littéraire peuvent mener à de fausses conclusions : car elles veulent que, pour déterminer l'année de la composition d'un ouvrage, on remarque les dernières dates, les dernières indications historiques qu'il renferme, que l'on cherche ailleurs l'événement le plus important qui soit arrivé après celles-ci, puis que l'on admette que l'auteur écrivait dans la période intermédiaire. Si l'on suivait ce principe et que l'on attribuât à El-Bekri la notice dont nous parlons, on serait obligé de conclure qu'il avait

mérite que par l'étendue ; — une notice de l'Irac, de la Transoxiane et des peuples barbares qui avoisinent la Mer Caspienne (1) ; — les premières pages d'une description de l'Espagne.

La partie de cet ouvrage qui concerne l'Afrique septentrionale est bien plus instructive que celles dont l'Egypte et les contrées de l'Asie forment le sujet principal. On voit que, pour rédiger cette notice intéressante, El-Bekri avait eu à sa disposition des documents de la plus haute importance. Ses itinéraires si exacts et si détaillés, ses descriptions de villes et de provinces, son routier maritime, ses notices des tribus, ses renseignements au sujet des princes dont les états avoisinaient l'Espagne, sont trop nombreux et trop intéressants sous un point de vue politique, pour être les fruits d'un travail auquel se serait livré un simple amateur de géographie. Ce sont plutôt des extraits de documents officiels, de pièces réunies en un seul dépôt, de rapports que le célèbre El-Mansour, ministre tout-puissant du dixième souverain oméïade, se serait fait adresser par ses agents et qui ont pu se trouver encore dans les archives de Cordoue à l'époque où notre auteur y faisait son séjour. Il est vrai que, dans la description de l'Afrique, aucun aveu ne se trouve qui puisse corroborer cette opinion ; mais le caractère uniforme de ces pièces semble indiquer qu'elles ont été rédigées sous une même inspiration et dans un but unique : celui de faciliter le progrès de la domination oméïade et d'étendre l'influence de cette dynastie sur toutes les contrées de l'Afrique.

---

(1) On ne connaît qu'un seul exemplaire du volume qui renferme la notice de l'Irac et de la Transoxiane. M. de Gayangos, le propriétaire de ce manuscrit précieux, a bien voulu me l'envoyer de Madrid et le laisser entre mes mains pendant plusieurs mois.

noms propres, un dictionnaire *(modjam)* de noms de lieu dont l'orthographe n'est pas bien connue ; enfin, un traité de géographie générale que l'on désigne sous le titre banal de *Routes et Royaumes*, en arabe, *El-Meçalek-wa'l-Memalek* (1).

De tous ces écrits il nous reste, 1° le *Modjam*, ouvrage précieux dont les bibliothèques de Leyde et de Milan possèdent chacune un exemplaire. Un abrégé de ce dictionnaire se trouvait, et se trouve peut-être encore, dans une bibliothèque particulière à Constantine (2). 2° Une partie des *Routes et Royaumes*. Ce traité, le plus important de tous les écrits sortis de la plume d'El-Bekri, devait former plusieurs volumes et offrir la description et l'histoire de tous les pays connus aux musulmans du onzième siècle. Il nous reste de cette vaste compilation la notice de l'Afrique septentrionale, traité dans lequel les géographes et les historiens arabes ont puisé à pleines mains ; — la description de l'Egypte, notice renfermant quelques indications utiles ; mais qui, comparée avec celle du célèbre El-Macrîzi sur le même sujet (3), est aussi inférieure par le

(1) Il existe, en arabe, un grand nombre d'ouvrages géographiques que l'on désigne ordinairement ainsi plutôt que d'employer les titres plus ou moins fantastiques que les auteurs leur avaient imposés.

(2) J'ai feuilleté ce volume ; et, ne soupçonnant pas que j'avais entre les mains un mauvais abrégé du *Modjam*, j'exprimai, au sujet de ce dernier ouvrage, une opinion peu favorable. M. Dozy, dans son mémoire sur les Bekrides, déclara que j'étais bien injuste envers notre géographe, mais il a su depuis comment j'avais été induit en erreur. M. Reinaud, de l'Académie des Inscriptions et belles lettres, a donné une bonne notice du *Modjam* dans son introduction à la traduction française de la Géographie d'Aboulfeda. Pour tout ce qui concerne les connaissances géographiques qui existaient chez les peuples musulmans du moyen âge, le traité de M. Reinaud est le plus satisfaisant et le plus sûr à consulter.

(3) L'ouvrage d'El-Macrizi, le Varron de l'Egypte, a été publié en arabe à Boulac, en l'an 1853. Il remplit plus de mille pages d'impression, format in-folio.

devait plus tard s'illustrer par sa description de l'Afrique.

En l'an 456 (1064), ou 458, Abd-El-Azìz mourut à Cordoue; et son fils, Abou-Obeid, se rendit à la cour d'Almérie, dont le souverain, Mohammed-Ibn-Maan, l'accueillit avec bienveillance et l'admit au nombre de ses familiers. En l'an 478 (1085-6), Abou-Obeid remplissait une mission diplomatique auprès d'El-Motamed-Ibn-Abbad, roi de Séville, et eut alors l'occasion d'assister à l'embarquement de ce prince qui, voyant l'Espagne musulmane prête à succomber devant les armes du roi chrétien (Alfonse VI, roi de Léon et de Castille), s'était décidé à passer en Afrique et à solliciter l'appui du sultan almoravide, Youçof-Ibn-Tachefîn.

Abou Obeid-El-Bekri mourut dans le mois de choual, 487 (oct.-nov. 1094), dans un âge très avancé et avec la réputation d'un épicurien qui aimait autant le jus de la treille que la poésie et les lettres. Quelques auteurs lui donnent le surnom d'*El-Cortobi (le cordovien)*, parce qu'il avait séjourné assez longtemps dans l'ancienne capitale de l'Espagne musulmane. Il s'était acquis une haute réputation par ses poésies et par divers ouvrages dans lesquels il déploya un grand savoir comme controversiste, comme philologue, comme botaniste, comme historien et comme géographe.

Parmi les nombreux écrits d'El-Bekri, on cite une démonstration de la mission divine de Mahomet, une vue générale des plantes et des arbres de l'Andalousie, un commentaire sur les anecdotes philologiques d'Abou-Ali-'l-Cali (1), un commentaire sur les proverbes recueillis par Abou-Obeid (2), un traité sur la dérivation des

(1) Pour l'histoire de ce philologue célèbre, on peut consulter le dictionnaire biographique d'Ibn-Khallikan, traduit en anglais par M. de Slane, vol I, page 210.

(2) La vie du grand philologue, Abou-Obeid-El-Cacem-Ibn-Sellam, se trouve dans la traduction d'Ibn-Khallikan, vol II, page 486

En l'an 402 (1011-2), lors de la guerre civile qui amena la chute de l'empire oméïade en Espagne, Abou-Zeid suivit l'exemple des autres chefs et se posa en souverain indépendant ; puis, ne pouvant lutter contre des voisins aussi ambitieux et plus puissants que lui-même, il se mit sous la protection du seigneur de Niebla (1).

En l'an 443 (1051-2), son fils et successeur, Abou-'l-Mosab-Abd-El-Aziz, se laissa enlever Huelva par El-Motaded-Ibn-Abbad, souverain de Séville ; et, pour se tirer avec avantage d'une position qu'il n'aurait pas pu conserver, il vendit le territoire de Saltès au prince dont il venait d'éprouver, à son détriment, l'esprit envahisseur. Devenu plus avisé à la suite d'une expérience qui lui avait coûté si cher, il usa d'un tour d'adresse que la mauvaise foi d'El-Motaded rendait bien nécessaire ; et, s'étant esquivé avec ses trésors, il se réfugia dans Cordoue, ville qui obéissait alors à Djehwer-Ibn-Mohammed, ancien garde-des-sceaux des khalifes Hicham et El-Hakem. Il y amena son fils, qui sortait seulement de l'enfance et qui attirait déjà tous les cœurs par les grâces de sa figure, la vivacité de son esprit et l'étendue de ses connaissances littéraires. Ce jeune homme se nommait Abou-Obeid-Abd-Allah-El-Bekri, le même qui

---

bre de bons renseignements. Jusqu'à présent, on ne trouve, en aucune langue européenne, un ouvrage qui fasse mieux connaître l'histoire de l'Espagne musulmane.

(1) En 1849, M. le professeur Dozy publia à Leyde, le premier volume d'un recueil de mémoires sur l'histoire de l'Espagne arabe pendant le moyen âge. Cet ouvrage, intitulé : *Recherches sur l'histoire politique et littéraire de l'Espagne,* renferme plusieurs traités qui nous font enfin connaître, d'une manière claire et satisfaisante, quelques parties de l'histoire de cette péninsule pendant la domination musulmane. La notice sur le Cid est une véritable révélation ; après l'avoir lue, on sait à quoi s'en tenir au sujet de ce noble aventurier, qui avait beaucoup de belles qualités, mais qui ignorait également les sentiments du patriotisme et ceux de l'humanité. Dans un chapitre de treize pages, M. Dozy a réuni et discuté avec beaucoup de jugement, les renseignements épars que les historiens arabes nous fournissent au sujet des Bekrides ; tout ce qui se trouve ici relativement à cette famille est emprunté à la notice du savant et spirituel hollandais.

sitaient pas à sacrifier les intérêts de leurs sujets et même ceux de la religion.

A l'époque où notre auteur écrivait, c'est-à-dire, en l'an 460 de l'hégire (1067-8), une partie de ces dynasties avait disparu, mais il en restait encore plusieurs : les Abbadites régnaient à Séville, les Zirides berbers à Grenade, les Beni-dî-'n-Noun à Tolède, les Houdites à Saragosse, les Beni-'l-Aftès à Badajoz, les Beni-Abi-Amer à Valence, les Beni-Taher à Murcie et les Beni-Maan à Almérie. Dénia et les îles Baléares avaient aussi leurs souverains.

Au nombre des familles qui se partagèrent les dépouilles des Oméïades, il s'en trouvait une dont le souvenir aurait péri si elle n'avait pas donné le jour à un homme qui se distingua dans la carrière des lettres. Vers l'an 392 de l'hégire (1001-2 de J.-C.), pendant que le sultan Hicham-El-Mowaïyed occupait le trône, un arabe, nommé Abou-Zeid-Mohammed-El-Bekri, fils d'Aiyoub, cadi de Niebla, et aïeul de notre auteur, obtint le gouvernement de Huelva et de Saltès. La ville de Huelva, en arabe *Ouelba,* est située sur l'Océan atlantique, au confluent du Gibraléon et du Tinto, et à vingt lieues à l'O.S.O. de Séville. La langue de terre qui sépare ces deux rivières et qui a toujours été renommée pour sa fertilité, porte, chez les écrivains musulmans, le nom de l'*île* (c'est-à-dire, de la *presqu'île*) *de Chaltîs*. Ce dernier mot est la représentation arabe de *Saltès*, nom qui se trouve inscrit sur un document géographique de la plus haute importance, la Carte catalane, dressée en l'an 1375. Vis-à-vis d'Huelva se voit l'île de San-Francisco de la Rabida, localité trop petite pour contenir une ville (1).

---

(1) Voyez *the History of the mohammedan Dynasties in Spain*, traduite de l'arabe d'El Maccari par M. de Gayangos ; vol. I, page 379. Cette traduction abrégée est accompagnée de notes qui fournissent un grand nom-

méridionale du Tell, avaient envahi et saccagé toutes les campagnes de la Tunisie et de Tripoli.

L'Espagne musulmane, dont la domination s'était fait sentir pendant l'espace d'un siècle dans les provinces de la Tingitane, n'y exerçait plus aucune influence. En l'an 422 (1031 de J-C.), la famille des Oméïades cessa de régner sur l'Andalousie, après avoir donné seize souverains à ce pays. Établie dans Cordoue, elle avait conservé le pouvoir pendant deux cent quatre-vingt-quatre ans, malgré la lutte incessante qu'elle eut à soutenir contre les Chrétiens de Léon et de Castille, et contre ses propres sujets, les Arabes, les troupes berbères, et les *Mowelled*, race moitié-chrétienne, moitié-musulmane. La dynastie oméïade succomba à la suite d'une longue guerre civile et entraîna dans sa chute l'unité de l'empire. Les chefs des grandes familles, les commandants de troupes, tant arabes que berbères, les gouverneurs de provinces, de cantons, de villes et de simples châteaux, tous se déclarèrent indépendants. Chacun de ces petits souverains se vit bientôt exposé aux attaques de ses voisins, et quelques-uns seulement parvinrent à se maintenir et à se faire respecter. Parmi cette foule de roitelets, il s'était trouvé beaucoup de princes aimant les lettres et la poésie, affables, généreux, braves, doués des qualités les plus aimables ; pour être parfaits, il ne leur manquait que la bonne foi. Leur arme favorite, c'était la trahison, toutes les fois qu'ils cherchaient à se débarasser d'un puissant adversaire, d'un homme suspect ou d'un parent incommode. Chez eux, l'ambition étouffait les sentiments d'humanité et les affections de famille. Voulant tous entretenir une cour magnifique, s'entourer de parasites et de flatteurs, soudoyer des historiens mercenaires, acheter les louanges des poètes et la bienveillance des hommes de lettres, il leur fallait beaucoup d'argent ; et, pour se le procurer, ils n'hé-

PRÉFACE.

A l'époque où Abou-Obeid-El-Bekri rassemblait les matériaux du grand ouvrage géographique, dont cette description de l'Afrique septentrionale forme une des sections principales, trois dynasties berbères possédaient la totalité de ce pays : les Zîrides, auxquels le khalife fatemide, El-Moëzz, avait confié le gouvernement des provinces qui forment actuellement la régence de Tripoli, celle de Tunis et notre Algérie ; — les Hammadites, qui avaient enlevé toute cette dernière région à leurs parents, les Zîrides, — et les Beni-Zîri-Ibn-Atîya, souverains de la ville de Fez et de presque toutes les contrées que les géographes de l'antiquité avaient désignées par le nom de Tingitane. A la suite de la grande invasion des Arabes nomades, événement qui eut lieu en l'an 443 de l'hégire (1051-2 de J.-C.), les Zîrides perdirent la plus grande partie de leurs états ; mais les Hammadites purent encore se maintenir quelques années ; et, fidèles à la politique des premiers sultans fatemides, ils n'épargnèrent aucun effort pour subjuguer le pays de l'*Extrême Ouest* (*El-Maghreb-el-Acsa*), nom qui s'applique encore à l'ancienne Tingitane. Les Beni-Zîri-Ibn-Atiya avaient commencé par gouverner, au nom des Oméïades espagnols, la ville de Fez et les provinces qui en dépendent ; puis, après la chute de cette dynastie, ils s'étaient déclarés indépendants. Depuis bien des années, les Idrîcides n'exerçaient plus d'autorité en Afrique, mais une quatrième dynastie berbère, celle des Almoravides, commandés par Youçof-Ibn-Tachefîn, s'était déjà emparée de Sidjilmessa, du Dera et du Sous ; se frayant ainsi la voie à la conquête de l'Espagne. Les Arabes nomades, ayant occupé la frontière

A

MONSIEUR LE COMTE RANDON

MARÉCHAL DE FRANCE

SÉNATEUR

GOUVERNEUR-GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE

FONDATEUR DE LA SOCIÉTÉ HISTORIQUE ALGÉRIENNE

CET OUVRAGE

PUBLIÉ SOUS SON PATRONAGE ÉCLAIRÉ

EST DÉDIÉ

COMME UN TÉMOIGNAGE DE RESPECT ET DE RECONNAISSANCE

PAR SON TRÈS-DÉVOUÉ SERVITEUR

DE SLANE

DESCRIPTION

DE

L'AFRIQUE SEPTENTRIONALE

PAR

ABOU-OBEID-EL-BEKRI

TEXTE ARABE

REVU SUR QUATRE MANUSCRITS ET PUBLIÉ SOUS LES AUSPICES

de

M. LE MARÉCHAL COMTE RANDON

Gouverneur-Général de l'Algérie

par

LE B[on] DE SLANE

ALGER

IMPRIMERIE DU GOUVERNEMENT

1857

DESCRIPTION

DE

L'AFRIQUE SEPTENTRIONALE

PAR

ABOU-OBEID-EL-BEKRI

TEXTE ARABE

REVU SUR QUATRE MANUSCRITS ET PUBLIÉ SOUS LES AUSPICES

de

M. LE MARÉCHAL COMTE RANDON

Gouverneur-Général de l'Algérie

par

LE B^on DE SLANE

ALGER

IMPRIMERIE DU GOUVERNEMENT

1857

L'AFRIQUE SEPTENTRIONALE

PAR

ABOU OBEID EL BEKRI

